KARABUK UNIVERSITY

BALAGH

JOURNAL OF ISLAMIC AND HUMANITIES STUDIES

UNIKA

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Nov 1445 / 2023
ISSN: 2791-6561

Balagh Journal is an international, refereed journal published semi-annually in English and Arabic

Privilege on Behalf of Karabuk University Faculty of Theology
Fatih KIRIŞIK

Editor in Chief
Hossam Moussa SHOUSHA

Associate Editor
Doğan Delil GÜLTEKİN

Editorial Board*
Radwan Jamal El-Atrash | Elsayed Mohamed Salem Elawadi | Yusuf Deveci | Tlili Mounir | Qais Mohammad Alshaikh Mubarak | Ahmed Mohamed Elsharqawi Salem | Abdulaziz Abdullaa A H Al- Thani | El Ghalbzouri Toufik | Nizam Muhammed Saleh Yaqoobi |

Advisory Board*
Mohamed Abdellatif | Vasfi Abuzid | Mohamad Ali Alahmad | Mohammad Nader Ali | Omar Al-Chebli | Mahmut Sami Çöllüoğlu | Khaled Dershwi | Ahmed M. Al-Dubayan | Kemel Fettuh | Aladdin Gültekin | Ömer Faruk Habergetiren | Tariq Adbulrhman Al Hawas | Abderrahmane Hibaoui | Muhammad Al-Amin Ismail | Jassim Bin Mohammed Al- Jaber | Aiitmamat Kariev | Saim Kayadibi | Şükrü Maden | Abdulmuhsen Z M Almutairi | Mohammad Akram Nadwi | Bakri Brimo Alsamman | Yasser Tarshany | Tuğrul Tezcan | Mustafa Yıldız | Zekeriya Yılmaz | Osama Fathi | Ahmed Younis

*in alphabetical order by last name

Publication Type
International Electronic Periodical

Publication Period
Published semi-annualy

Publication Date
June 2023

Proofreading
Habibah Hossam Moussa Shousha

Correspondence
Journal of Islamic and Humanities Studies, Karabük Üniversitesi Demir Çelik Kampüsü İlahiyat Fakültesi Merkez / Karabük 78000
balagh@karabuk.edu.tr • balagh.karabuk.edu.tr

INDEX

Chief in Editor's Speech……..……1

2.....…….أدب الكلمة الهادفة في القرآن الكريم ودورها في الخطاب الإعلامي: سورة الشعراء أنموذجاً
Sadettin ALİOĞLU & Salih DERŞEVİ

23.....…….موقف الفكر الحداثي من مصادر معرفة الإله وصفاته وأفعاله
Halit HAKKI

39.....……الرد على علي منصور الكيالي من خلال كتب التفسير اللغوي للقرآن "دراسة تحليلية نقدية"
Usama DERŞEVİ

تأثير العقيدة الإسلامية في تصميم الإنشاءات المعمارية والزخرفية على شواهد القبور بجبانة دربند بإقليم داغستان
71.....خلال القرن الثالث عشر الهجري
Walid Ali KHALIL & Muhammad Naser ABOELKHIER

87.....تأثير الطيبي في مباحث علم البيان على السيوطي في كتابه "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار"
Habib KILIÇ

102.....أثر التلقي عند المفسر في تفسير القرآن الكريم
Khaled Abdullah Ali BRIAH & Tuğrul TEZCAN

133.....معوقات النهوض العلمي في العالم الإسلامي من منظور تاريخي
Hamdi SHAHIN

171.....علاقة المقاصد بالخلق والتكوين نحو تفعيل النظر المقاصدي في الخلق الإلهي
Vasfi Âşûr Ebû ZEYD

195.....دلالة السياق القرآني في تفسير سورة الفاتحة عند المحقق سعيد بن خلفان الخليلي
Badriya Ali Waleed AL HINAI & Radwan Jamal ELATRASH

إستراتيجية لتنمية أصول الوقف: دراسة في شركة لا تنس التعاونية بمعهد دار السلام كونتور للتربية
215.....الإسلامية الحديثة
Khurun'in ZAHRO' & Mulyono JAMAL & Suraji BADİ' & Syamsuri SYAMSURİ

تعليم العربية بالصلوات الجهرية منهج مقترح لتفعيل دور المسجد في تعليم العربية (سلطنة بروناي أنموذجا).....245
Mohamed Elsayed MOHAMED

الأزمة الخليجية بين قطر والإمارات والبحرين والسعودية ومصر ٢٠١٧ والموقف السياسي العماني تجاه الأزمة.....272
Salim Ahmed Bakhit SAFRAR & El Fatih Abdullahi ABDELSALAM

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Nov 1445 / 2023
ISSN: 2791-6561

كلمة رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله الأمين، وبعد..

يسر مجلة بلاغ أن تضع بين أيدي الباحثين هذا العدد المتميز بمقالاته متعددة المواضيع، ذات الطابع الإنساني، مربوطاً بالشريعة الإسلامية ربطاً أكاديمياً علمياً لا يفصل بين الدين والعلوم الإنسانية كافة، إذ لا انفصام بينهما، ولا يفصل بين الشريعة الإسلامية بكل مصادرها وبين العلوم الإنسانية إلا جاهل أو حاقد.

ويجدر بنا في أسرة مجلة بلاغ العريقة أن تنوه على أن محاولة إبعاد الشريعة عن واقع البحث الأكاديمي الإنساني، هي محاولة فاشلة، وسنعمل على صدها ودحرها بنشر المقالات التي تبين العلاقة الوثيقة بين الشريعة وعلوم الإنسان كافة، فهذه واحدة من أهم أسس هذه المجلة الغراء.

ويعُّد هذا العدد تكريساً للمعرفة والإبداع، حيث تضمن العديد من البحوث العلمية الرصينة القيمة والتي تصب في تحقيق الغاية من هذا العدد وهي عدم الفصل بين الشريعة والحياة، وقد تنوعت جهود الكتابة حول موضوعات شائكة وماتعة للغاية في هذا العدد المبارك.

ويجدر بنا مع إصدار هذا العدد أن نذكر الجهود القيمة المشكورة التي بذلها نخبة متميزة من المحررين والمحكمين المخلصين، فجزى الله الجميع على جهودهم المباركة خير الجزء.

راجين من الله عز وجل أن تكون محتويات هذا العدد نافعة لجميع الباحثين وطلاب العلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٥/٦/١٤٤٥ (ذو القعدة) الموافق: ٢٠٢٣/١٢/١٨

رئيس التحرير

الأستاذ المساعد الدكتور: حسام موسى محمد شوشه

Assist. Prof. Dr. Hossam Moussa Mohamed Shousha

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 25,05,2023 | Accepted: 23.10.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10276395 0000-0002-7132-6388

أدب الكلمة الهادفة في القرآن الكريم ودورها في الخطاب الإعلامي: سورة الشعراء أنموذجاً

The Literature Of The Purposeful Word in The Holy Qur'ān And Its Role in The Media Discourse: : Surat As-Shu'arā' As Model

سعد الدين علي أوغلو* **&** **صالح درشوي****

Sadettin ALİOĞLU **&** **Salih DERŞEVİ**

ملخص: تسهم الكلمة الهادفة في تشكيل القناعات لدى الأفراد والمجتمعات، فهي مناط حياة الإنسان؛ إما أن تحمل الخير، وإما أن تحمل الشر. وقد مثل الشاعر فيما مضى الإعلام المعاصر الذي كان يوجه عقول العامة، وقد سمَّى الحق –سبحانه– سورة من القرآن الكريم باسم " الشعراء"، إشعاراً بأهمية الشعراء ودورهم في الخطاب والإقناع، وإشارة إلى أثر الكلمة الهادفة في تشكيل الرأي المجتمعي. تناول البحث أثر الكلمة الهادفة إيجاباً من خلال صوت الحق الذي مثَّلَهُ خطاب الأنبياء لأقوامهم، وسلباً من خلال دعوات التضليل والإفساد التي نادى بها المضللون؛ وذلك في نطاق ما ورد في سورة الشعراء من حوارات بين الأنبياء وأقوامهم. وقد سلك الباحثان في هذه الدراسة منهج الاستقراء والاستنباط، فظهرت لهما المقاصد التي هدفت لها السورة، والغرض من تسميتها بـ"الشعراء"، فالكون أقيم على ثنائية الحق والباطل، والتدافع بينهما سنة كونية، وأنصار كل فريق يوظف الكلمة لنشر معتقده والترويج له.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الكلمة الهادفة، أدب، الشعراء، الخطاب الإعلامي.

* Karabük University, Faculty of Islamic Sciences, Department of Arabic Language and Rhetoric. Karabük, Turkey. ORCID:0000-0002-7132-6388| E-Mail: saadalali17@gmail.com

**Assistant Professor, Karabük University, Faculty of Islamic Sciences, Department of Arabic Language and Rhetoric. Karabük, Turkey. ORCID: 0000-0002-1774-2460 | E-Mail: salihdersevi@karabuk.edu.tr

Abstract: Words hold immense power in shaping the beliefs of individuals and communities, either for good or evil. Historically, poets were seen as the voice of contemporary media that influenced public opinion. The Quran even has a chapter dedicated to poets, highlighting their importance in rhetoric and persuasion. This study delves into the impact of meaningful words, exploring the positive influence of truth through the speeches of prophets and the negative effects of deceitful language used to corrupt people. The research analyzes the dialogues between prophets and their communities in Surah Ash-Shu'ara, using the method of induction and deduction to uncover the objectives of the Surah and the reasoning behind naming it "The Poets." The universe operates on the duality of truth and falsehood, and the battle between them is a universal law. Those in favor of either side use words to promote their beliefs and sway public opinion.

Keywords: Arabic, the purposeful word, literature, poets, media discourse.

١. مدخل

للكلمة الهادفة أثر بالغ في عقول السامعين وتفكيرهم، بغض النظر عن نوع الهدف والغاية من الكلمة، إن خيرًا وإن شرًا. ويكون أثرها أكثر وقعًا على الدُّهَماء من الناس، الذين تدفعهم كلمة، وتأتي بهم أخرى. ولكن قبل الوقوف على أدب الكلمة الهادفة لابد من تعريف مفردات هذا العنوان، فـ"الأَدَبُ": في الأَصلِ الدُّعَاءُ مطلقًا، وكل ما يُتَأَدَّبُ بِهِ، والأَديبُ من النَّاس، سُمِّيَ بِهِ لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلى المحَامِدِ وَيَنْهَاهُمْ عَن المَقَابِحِ، والمأدبة هي المِدْعَاةُ، وكلُّ طَعَام صُنِعَ لِدعْوَة، أَوْ عُرْسٍ وجَمْعُه المآدِبُ، وَفِي الحَدِيث: «إِنَّ هذَا القُرْآنَ مَأْدَبَةُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدَبَتِهِ» يَعْني مَدْعَاتَه.[١].

والكلمة: "الْكَلِمَة تقع على الْحَرْف الْوَاحِد من حُرُوف الهجاء، وَتَقَع على لَفْظَةٍ وَاحِدَة مُؤَلَّفةٍ من جماعةِ حروفٍ لَهَا مَعْنى، وَتَقَع على قصيدة بكمالها، وخُطْبَة بأسْرها. يُقَال: قَالَ الشَّاعِر فِي كَلمته أَي فِي قصيدته، والقرآنُ كلَامُ الله، وكَلِمُ الله، وكَلِمَاتُ الله، وكلمةُ اللَّهِ..."[٢]

[١] انظر: محمّد الحسيني الزَّبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس* (الكويت: دار الهداية، ١٩٦٥م) ١٢/٢، "باختصار".

[٢] محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، *تهذيب اللغة*، تح:محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م) ١٤٧/١٠

أما "الهادفة": فمن "الهدف": هدَف إلى الأمر: جعله هدَفًا وغرضًا يسعى إليه"[٣] ؛ فقد يكون الهدف نظيفًا طيبًا، وقد يكون الهدف خبيثًا مضللًا.

أما "الخطاب": فللخطاب تعريفات مُعْجَمِيَّة سابقة وأخرى معاصرة: فقد ورد في مختار الصحاح: "خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا وَهُوَ الْكَلَامُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ"[٤]. أما التعريف المعاصر للخطاب: فقد ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة تعريفه بـ: "كلام يوجّه إلى الجماهير في مناسبة من المناسبات"[٥].

أما "الإعلام": فقد ورد تعريفه في معجم اللغة العربية المعاصرة بمصطلحات متعددة، منها: "الإعلام: مصدر أعلمَ، وهو: النشر بواسطة الإذاعة أو التّليفزيون أو الصّحافة، و"إعلام صادق- إعلامٌ سياسيّ "وإعلام الدّولة: أي المعلومات التي ترغب الدَّولةُ في نشرها بالصُّحف والمجلاّت والتّلفاز والإذاعة"[٦].

وتظل الكلمة مناط حياة الإنسان، إما أن تحمل في طيَّاتِها الخير الذي يثمر الخير، أو تحمل الشر الذي يثمر الشر. فالكلمة الطيبة يبقى أثرها الطيب، والكلمة الخبيثة لها أثرها الخبيث.

ولقد بين رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خطورة الكلمة الخبيثة فقال: " «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ»[٧]. وقد كان للكلمة من الشعر الأهمية الكبرى، والمكانة السامية عند العرب، ولعل الشاعر العربي فيما مضى يمثل الإعلامي المعاصر الذي يوجه عقول العامة؛ فالبيت من الشعر يرفع قبيلة ويحط أخرى، ويعز شخصًا ويذل آخر. ومن عجائب فعل الشعر بالعرب أن قبيلة نمير كانت من أشرف القبائل وأسماها: (وهي جمرة من جمرات العرب) فلما قال فيهم جرير[٨]:

---

[٣] معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٣٣٣/٣.

[٤] أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* (بيروت: المكتبة العلمية،١٤٣١هـ)، ١٧٣/١.

[٥] أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ٦٦٠/١.

[٦] أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ١٥٤١/٢.

[٧] أحمد بن حنبل الشيباني، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ١٤٩/١٢، رقم: ٧٢١٥.

[٨] ينظر: ابن سلام الجمحي، *طبقات فحول الشعراء* (جدة: دار المدني، د.ت)، ٣٧٩/٢

فغضَّ الطرف إنك من نمير*** فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ولو وضعت شيوخ بني نمير*** على الميزان ما عدلت ذبابا

سقطت قبيلة نمير وسقط أفرادها، ولم يرفعوا بعد ذلك رأساً، حتى كانوا لا يتسمون بهذا الاسم، فإذا قيل للواحد منهم ممن أنت؟ قال: عامريّ.[٩] وبيت من الشعر يرفع شأن قبيلة وضيعة؛ كما ورد في خبر قبيلة بني أنف الناقة التميمية، حيث كانت العرب تستهزئ بأفرادها وتسخر منهم، حتى إذا سُئل أحدهم من أي قبيلة انت؟ أجاب: من بني قريع، إلى أن جاء الحطيئة ومدحهم بقصيدة منها قوله[١٠]:

سيري أُمامَ فإنَّ الأكثرين حصىً***والأكرمين إذا ما يُنْسبونَ أبا

قومٌ هم الأنفُ والأذناب غيرهمُ***ومنْ يسوِّي بأنف الناقةِ الذَّنَبا

فأصبحوا بعد ما مدحهم الحطيئة إذاُ سئل أحدهم من أي قبيلة أنت قال باعتزاز وفخر: أنا من بني أنف الناقة. ولعل للكلمة الهادفة أثر بالغ في حياة الفرد والمجتمع، فهي تسهم في تشكيل القناعات لدى الأفراد والمجتمعات، وقد أبرز القرآن الكريم أثر الكلمة الهادفة في الحالين كليهما: الإرشاد أو الإضلال.

وللكلمة الهادفة–الهادية منها والمضللة– تأثيرها في المجتمعات البشرية، والصراع بين الحق والباطل لا ينقضي مادامت الحياة. وماورد في سورة الشعراء من حوارات تمثل حقيقة الإعلام بشقيه المرشد والمضلل. فهل يتمكن صاحب الكلمة الهادفة من إقناع شريحة كبيرة من المجتمع، بغض النظر عن صدقية الكلمة؟ وما مدى أثر الكلمة الخبيثة في تضليل المجتمع البشري؟ ومن هم أتباع الخطاب الإعلامي المضلل؟ ولماذا؟ وكذلك من هم أتباع الخطاب الإعلامي الهادي؟ ولماذا؟ وهل تصمد الكلمة الخبيثة إذا زخرفت وزينت أمام الكلمة الطيبة؟ أسئلة ستتم الإجابة عنها في هذه المقالة التي سلك الباحث فيها منهج الاستقراء والاستنباط؛ لإبراز أثر الكلمة الهادفة في تشكيل العقل الجمعي للمجتمعات الإنسانية. ولعل الدراسات التي تناولت هذه السورة كلها تعنى بمجال البلاغة: بيانها، وبديعها، ومعانيها، ولم يتطرق أحد من الباحثين للمقاصد التي هدفت لها السورة والغرض من تسميتها بـ"الشعراء "، وختمها بآيات تلقي الضوء على الأثر الإعلامي للشعراء، الذين وصفهم بأنهم يتبعهم الغاوون، وأنهم في كل واد من وديان القول يهيمون، حيث تجري تلك الوديان بالسيول التي تحمل الجيف والأرواث وسائر خشاش الأرض، باستثناء أصحاب الكلمة النظيفة الطيبة. لذلك آليت

[٩] الحسن بن مسعود اليوسي، *زهر الأكم في الأمثال والحكم*، تحقيق: محمد حجي (الدار البيضاء: الشركة الجديدة،١٩٨١ م)، ١/٦-٢٦.

[١٠] ينظر: إبراهيم بن علي بن تميم الحصري القيرواني، *زهر الآداب وثمر الألباب* (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ١/٥٤

أن أملأ هذه الفجوة بالبحث في ثنايا السورة عن أثر الكلمة الإعلامية ومدى إقناع المجتمعات بمقاصد حاملها، وذلك بتبصيرهم طريق الهداية والرشد، أو سوقهم إلى طريق الضلال والغواية.

٢. الشعراء في القرآن الكريم ولما كان الشاعر هو الإعلامي الذي يسمع صوته في المجتمع العربي، فقد سمَّى الحق –سبحانه– سورة من القرآن الكريم باسم " الشعراء"، وفي هذا الاسم إشعار بأهمية الشعراء، الذين كانوا يمثلون الصوت المسموع والمتبوع، وإشارة لطيفة لمن يقرأ السورة، ليتدبر مضمونها، الذي لا يخلو من وقفات تبرز خطر الصوت الإعلامي، ودوره في تشكيل العقل الجمعي للمجتمعات الإنسانية.

وقد ختمت السورة بوصف دقيق للحال الذي يمثله الشعراء، ومدى تأثير شعرهم في عقول العامة من الناس.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١١]

نستشف من الآيات الأخيرة في هذه السورة الكريمة، أن الشعراء في البيئة العربية هم الذين يمتلكون الخطاب الإعلامي، الذي ينقاد له الرأي العام في المجتمع، وأكثر الشعراء ينتهجون الإعلام المضلل، فينشرون الكلمة الكاذبة ويصدقها رعاع الناس وعوامهم؛ ويستثنى من الشعراء القليل من الصادقين، الذين يبلغون الكلمة النقية الصادقة.

٣. مهمة الأنبياء الإعلامية وما يكتنفها من الحرج

والمتأمل في مضمون السورة الكريمة " الشعراء" يجد تيارين إعلاميَّين متقابلين، تيار يدعو إلى الهداية والرشاد يمثله الأنبياء، ويقابله تيار آخر يدعو إلى الضلال والغواية، يمثله (الملأ) وهم سادة الأقوام وأغنياؤهم. لقد افتتحت السورة الكريمة بالإشارة إلى الكتاب المبين وهو القرآن، الذي يحمل في طياته كلمة الصدق ودعوة الحق، التي يحملها الرسل ويبلغونها إلى الخلق،﴿طسٓمٓ * تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾[١٢] فما من رسول إلا أتى قومه بالكتاب المبين، وقدم لهم الحجج والبراهين الدالة على صدق دعوته.

---

[١١] الشعراء ٢٢٤؛ ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧

[١٢] الشعراء ١–٢

٣. ١. دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

محمد رسول الله –عليه السلام هو سيد الرسل– يشتد كربه ويزداد حزنه، لتكذيب قومه وإعراضهم وسخريتهم، لذلك تفتتح السورة بالآية التي تصور حالته النفسية حينما يأتي قومه حاملًا الخطاب الإعلامي الصادق، فيواجه بالسخرية والتكذيب من سادة القوم وكبرائهم، فيحزن ويشتد حزنه حتى يوشك أن يقتل نفسه، كمدًا وحسرة على تفريط قومه وجحودهم، وعدم استجابتهم، فيواسيه ربه ويُعَزّيه، بأنه معه يُسنِدُه، لا يسلمه ولا يخذله، ويتوعد المكذبين برسالته والساخرين منها، ويهددهم بأحداث تسوؤهم وتخزيهم، بسبب تكذيبهم واستهزائهم.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ * إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ * وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ * فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[١٣].

وهكذا تفتتح السورة الكريمة بتصوير المهمة الشاقة للرسول الكريم، الذي يحمل الخطاب الإعلامي الهادي الرشيد، كيف يقابل بتنكر القوم لدعوته، وتكذيب رسالته، كما تصور الحالة النفسية الصعبة التي تعتريه حينما كلف بالرسالة الإعلامية، التي يأمره الله –سبحانه–بتبليغها إلى قومه، لما يعلم من تكذيب الأقوام، وعدم الاستجابة لمضمون لرسالة. لأنه يحدُّ من شهواتهم، ويكبح جماح أهوائهم.

وفي قوله –سبحانه– ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾ قال الزمخشري: "أي:"وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا، إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به"[١٤] ، ففي الآية إشارة لتعنتهم ونكرانهم وعدم قبولهم دعوة النبي محمد عليه الصلاة السلام. وقد تدرج إنكارهم من الإعراض الذي هو تكذيب خفي غير معلن، إلى التكذيب الصريح، حيث تصاعد نكرانهم حتى بلغ الاستهزاء بالرسالة وبحاملها، لذلك يتوعدهم –سبحانه–بعذاب قريب معجل في الدنيا وعذاب مؤجل في الآخرة: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾. وقد جعل وعيده وتهديده بسبب الاستهزاء لأنه أعلى درجات الإنكار والتكذيب. قال الشوكاني–رحمه الله–: " فَالْإِعْرَاضُ عَنِ الشَّيْءِ عَدَمُ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِ، ثُمَّ انْتَقَلُوا عَنْ هَذَا إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، وَهُوَ التَّصْرِيحُ بِالتَّكْذِيبِ ثُمَّ انْتَقَلُوا عَنِ التَّكْذِيبِ إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، وَهُوَ الِاسْتِهْزَاءُ ... وقال:

---

[١٣] الشعراء ٣–٤–٥–٦

[١٤] محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ)، ٣/ ٢٩٩

﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ مَا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ، أَوْ مَا كَانُوا بِهِ يُكَذِّبُونَ، لِأَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ أَشَدُّ مِنْهُمَا وَمُسْتَلْزِمٌ لَهُمَا، وَفِي هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ"[١٥]

وهكذا يبدو للمتأمل في دعوة النبي محمد–عليه الصلاة والسلام– كم يكتنفها من مشاق وصعوبات يمثلها الإعراض التكذيب والاستهزاء من قومه حيث كان عند قومه الصادق الأمين قبل الدعوة؛ وأصبح الساحر المجنون الكاذب–في تصورهم –بعد الدعوة.

٣. ٢. دعوة النبي موسى صلى الله عليه وسلم

ولو وقف القارئ يتأمل موقف موسى عند تكليفه بتبليغ الرسالة من قبل الله –سبحانه –لأدرك صعوبة المهمة التي تنتظره، ولعلم مدى ثقل هذه المهمة؛ فحينما ناداه ربه وكلفه بتبليغ الرسالة إلى فرعون وقومه: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[١٦] شعر موسى –عليه السلام –بثقل المسؤولية، وخطورة المهمة، فأبدى اهتمامه وطاعته لأمر ربه، ولكنه أعرب عن خوفه من تكذيب القوم له، وجحودهم رسالته، وعبر عن خشيته من هول الموقف الذي يمكن أن يتسبب بالإرتاج عليه وحبس الكلام في فمه، في مقام صعب التصور، وطلب من ربه أن يسعفه بمن يأنس به، ويساعده في تبليغ الرسالة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾[١٧]

قال ابن عاشور في التنوير والتحرير: " وَلَيْسَ الْقَصْدُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ التَّنَصُّلَ مِنَ الِاضْطِلَاعِ بِهَذَا التَّكْلِيفِ الْعَظِيمِ، وَلَكِنَّ الْقَصْدَ تَمْهِيدُ مَا فَرَّعَهُ عَلَيْهِ مِنْ طَلَبِ تَشْرِيكِ أَخِيهِ هَارُونَ مَعَهُ لِأَنَّهُ أَقْدَرُ مِنْهُ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ وَالْخَطَابَةِ..."[١٨]. ويتذكر موسى في ذلك المقام ما كان أحدثه، يوم وكز القبطي فقضى عليه، ويتذكر تآمرهم به، وقرارهم تنفيذ حكم الإعدام به، فيبسط الشكوى لربه، ويعرب عن خشيته من بطشهم به عند دخوله عليهم فيقول: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[١٩]. والمتبادر إلى الذهن أن موسى كان يجزع من الموت، ويخاف سطوة فرعون وبطش جنده؛ ولكن ابن عاشور يرى غير هذا، فموسى في مقام

---

[١٥] محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) *فتح القدير* (دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ) ٤/ ١١٠

[١٦] الشعراء ١٠– ١١

[١٧] الشعراء ١٢–١٣

[١٨] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، *التحرير والتنوير* (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ١٠٨/١٩.

[١٩] الشعراء ١٤

النبوة، وقد حظي بتكليم الله له، فما عادت روحه عزيزة عليه بقدر ما يعزُّ عليه عدم تبليغ الرسالة، التي شرفه الله –تعالى–بها، يقول: " وَقَوْلُهُ: فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ لَيْسَ هَلَعًا وَفَرَقًا مِنَ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَصْبَحَ فِي مَقَامِ الرِّسَالَةِ مَا كَانَ بِالَّذِي يُبَالِي أَنْ يَمُوتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ خَشِيَ الْعَائِقَ مِنْ إِتْمَامِ مَا عُهِدَ إِلَيْهِ، مِمَّا فِيهِ لَهُ ثَوَابٌ جَزِيلٌ وَدَرَجَةٌ عُلْيَا" [٢٠] وهنا يأتي التأييد الإلهي، والنصرة الربانية لموسى وأخيه، فيعزز مهمته بالمؤآزرة التي لا تقف أمامها كل قوى الأرض، فليطمئنُّ موسى وأخوه، لمعية الله المرافقة لهما في كل خطوة، ومع كل مرحلة من مراحل تبليغ الرسالة: ﴿قَالَ كَلَّآۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ * فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[٢١]. وينطلق موسى وأخوه بثقة وعزيمة، يقرع باب فرعون بالحجة البالغة فيزعزع جبروته ويهين كبرياءه، فيطلب من موسى البينة والآية، ثم يلجأ إلى السحرة ليعزز مكانته، ولكنه ينهزم في مواجهة البينة ويفشل أمام البرهان، فينقلب إلى أبواقه الإعلامية التي تضلل الناس وتشوه الحقائق، ويسخر جيشه وقوته ليطمس الحق بباطله، ولكن الله–سبحانه– يهلكه وجنده، وينصر موسى ومن معه.

٣. ٣. دعوة النبي إبراهيم عليه السلام

إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– يواجه قومه بالمفاصلة والمزاولة، فيعلن الولاء لله رب العالمين، والعداء لمعبودات قومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ * أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ * فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ* ﴾[٢٢] هنا يواجه الخليل إبراهيم قومه بعقيدته التي يمثلها التوحيد، ويبرأ من معبوداتهم ، التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم ، فكل ما سوى الله باطل، لذلك يصرح بعداوته وبغضه؛ بل يبين لهم بهذا التصريح: أن كل معبود من دون الله سيكون عدواً لمن عبده يوم القيامة. ثم يفصل الخليل إبراهيم–عليه السلام– في بيان صفات معبوده ليحبب إلى قومه التوجه إليه بالعبادة، والتخلي عن معبوداتهم التي لا تضر ولا تنفع، فينسب إلى ربه – سبحانه– الهداية، والإيجاد من العدم، والإمداد بالصحة والعافية، الإماتة والإحياء، ويسهب في ذكر صفات الخالق سبحانه ثم يتضرع إليه متوسلاً. أن يغفر له الخطايا والذنوب يوم الحساب والجزاء، وما أراد إلا التلطف في دعوتهم، حيث نسب لنفسه الخطيئة ولم ينسبها لقومه، واستوهب من ربه الحكمة، وتمنى أن يلحقه بالصالحين: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ* وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ * وَالَّذِي

[٢٠] الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، ١٠٨/١٩.

[٢١] الشعراء ١٥–١٦–١٧

[٢٢] الشعراء ٧٥–٧٦–٧٧

يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ* رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ*﴾[٢٣] وهذا الخطاب الدعوي من نبي الله إبراهيم يحمل في طياته الأسلوب الأمثل للداعية الذي يريد أن يوصل الرسالة للمدعوين بطريق غير مباشر، لأن توجيه الخطاب المباشر ربما يرفضه المتغطرسون والمتكبرون.

ويستمر في دعوتهم، ويداوم على نصحهم وإرشادهم، ولكنهم لا يستجيبون، ولما لم ينفعهم نصحه وإرشاده صعَّد من خطابه، فأظهر التضجر منهم ومن معبوداتهم: ﴿قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ*﴾[٢٤] حينئذ كان ردهم قاسيًا، وبطشهم شديدًا، حيث أججوا نارًا عظيمة وأرادوا حرقه فيها ليكون عبرة لغيره، لولا أن تداركته رحمة ربه، فكانت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم :﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ * قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ* ﴾[٢٥] وهنا تطوى صفحة قوم براهيم، بعدما بدت العداوة بينه وبين قومه، فيهاجر وينتقل إلى حياة أخرى في وطن غير وطنه، ليتمم رسالته الإعلامية التي كلف بتبليغها إلى الناس، وهناك في أرض الشام يستقر بإبراهيم المقام، ويبدأ دعوته من جديد.

٣. ٤. دعوة النبي نوح عليه السلام

وكذلك الحال مع نوح، الذي ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، يجادلهم ليبين لهم الحق، فيعاني من تكذيبهم وسخريتهم، وتأففهم وتضجرهم من كثرة جداله لهم، بل تأنف أنفسهم من اتباعه والإيمان برسالته، لأن أتباعه من الفقراء والمساكين والأرقاء والعبيد: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ *﴾[٢٦]. يطلبون منه طرد المستضعفين من مجالسه، ليتبعوه ويؤمنوا بدعوته؛ ولكنه يأبى عليهم، ويبين لهم أن وظيفته التي أرسل بها ماهي إلا إبلاغ الرسالة لعامة الناس، فمن شاء اتبع وله الفوز والفلاح، ومن شاء أعرض وأدبر وسيكون له سوء المآل والعاقبة. ويعلن قراره برفض طلبهم بقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * ﴾[٢٧]

---

[٢٣] الشعراء ٧٨...٨٣

[٢٤] الأنبياء ٦٦ –٦٧

[٢٥] الأنبياء ٦٨–٦٩

[٢٦] الشعراء ١١١

[٢٧] الشعراء ١١٤– ١١٥

ويستمر في دعوته مع قلة أتباعه، حتى يضجر قومه من إصراره في دعوتهم وإلحاحه في تبليغ الرسالة، فيهددونه بالرجم إن لم يكف عن مهمته، ويتركهم وشأنهم:﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ* ﴾[٢٨] ولم يأبه لتهديدهم، واستمر في دعوته وإرشاده، واتبع أساليب شتى في وعظهم ونصحهم، لا يكل ولا يمل، حتى طلبوا منه أن يأتيهم بالعذاب الذي وعدهم: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ*﴾[٢٩]. ويظل يدعوهم ويعظهم إلى أن يوحي إليه ربه –سبحانه – أن يتوقف عن دعوتهم، ويفارقهم غير مأسوف عليهم، فما عاد ينفع فيهم الوعظ ولا النصح ولا الإرشاد: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ *﴾[٣٠]. بعد كل العناء والنصب الذي حل بنوح –عليه السلام – وبعد كل هذه المدة المديدة من الدعوة التي ما عرف التاريخ مثلها، لم يستجب له من قومه إلا القليل، الذين ينجيهم الله في السفينة، بعدما يصدر–سبحانه–حكمه العادل بإهلاك سائر القوم بالطوفان. ألف سنة ونوح –عليه السلام– يصدح بالإعلام الصادق يدعو القوم إلى سبيل الحق والرشاد، بلا كلل ولا ملل، والإعلام المضل من الخصم يبذل قصارى جهده ليثني العامة من الغاوين عن تصديق نوح والاقتناع برسالته. وتنتهي الجولة بهلاك الضالين على كثرتهم، ونجاة المؤمنين على قلتهم.

٤. مقارنة بين خطاب الرسل وخطاب طواغيت الأقوام

ولو تتبعنا سياق الآيات في هذه السورة المباركة، نجد خطاب الأنبياء لأقوامهم يتسم بالصدق والنصح والإشفاق، أما خطاب الكبراء من الأقوام فيتسم بالاستعلاء والغطرسة، والسخرية من الرسل، واتهامهم بالسحر. بل وينتقصون من قدرهم، ويعيرونهم بأتباعهم المساكين والفقراء المستضعفين. فهذا نوح يخاطب قومه، ويدعوهم إلى اتباع طريق الحق والرشاد، ويحرص على إقناعهم بأمانته وبعفته عن أموالهم، وأن مقصده وغايته هدايتهم وإرشادهم وما فيه مصلحتهم: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِين *فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[٣١]، فيتجلى خطاب الاستعلاء والاستكبار في قولهم، حيث يصرحون برفضهم اتباعه، وتأخذهم العزة بالإثم، كيف يؤمنون له ويصدقون دعوته وأتباعه أراذل القوم ومساكينهم، فيخاطبونه بالأنفة والكبرياء:﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١]، فيجيبهم إجابة الحكيم ليفهمهم أن المرء بمخبره لا بمظهره، وأن

[٢٨] الشعراء ١١٦

[٢٩] هود ٣٢

[٣٠] هود ٣٦

[٣١] الشعراء ١٠٦....١١٠

مردَّ النوايا إلى الله الذي يعلم السر وأخفى، وأن مهمته تبليغ هذه الرسالة، ولا فرق عنده بين غني وفقير، وعزيز وحقير: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ*﴾[٣٢]، ويقدم لهم الحجج والبراهين على صدق دعوته، ولا يملُّ من جدالهم وحوارهم؛ ولكنهم حينما تنقطع حجتهم يبادرون إلى التهديد والوعيد: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾[٣٣]. وهكذا يكون جواب العاجز عن ردِّ الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان؛ وهذا حال الجبابرة الطغاة في كل زمان ومكان، حينما تنقطع حجتهم وتخونهم الإجابة، يلجؤون إلى التهديد والوعيد بالرجم أو الحبس أو القتل.

وحينما يقف هود على قومه ويدعوهم إلى سبيل ربهم، مذكرًا بالنعم التي حباهم الله بها، لا يبعد جوابهم عمن سبقهم، بل قد يشتد رفضهم وإنكارهم لكل ما جاء به نبيهم، وردّ كل ما يدعوهم إليه:﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ *إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ مُعَذَّبِينَ*﴾[٣٤]، وكأنهم يقولون: لا تتعب نفسك، لن نصدق رسالتك، ولن نسمع خطابك، فحضورك وغيابك سواء، وكلامك وصمتك سواء، فهذا الخطاب الذي أتيت تدعونا به مكرور ممجوج، سبقك إليه من سبقك، فلن نقبل دعوتك، ولن نستجيب لك.

ولما يقف صالح –عليه السلام – على قومه خطيبًا، ويعلن تكليفه الذي جاء به، ويعدد النعم الممنوحة لهم من ربهم، يكذبونه ويرفضون دعوته، وينتقصون قدره، يتهمونه بالسحر، ويطالبونه بدليل حسي خارق للعادة تعجيزًا منهم، وتمحلًا:﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ * مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ *﴾[٣٥]. فلما أحضر لهم الدليل، وكان ناقة تخرج من جوف الصخر لا تشبه النياق يتبعها فصيلها؛ جحدوا الحق واستنكروا، واتهموا الرسول بالسحر والشعوذة، وكذبوا البرهان الحسي الذي لا يمكن نكرانه؛ بل وعقروا الناقة إمعانًا في الجحود والكفران، فكانت العاقبة الهلاك والخسران.

أما لوط –عليه السلام –فقد كانت مهمته الإعلامية أشق وأصعب من مهام الأنبياء السابقين، لقد بعث إلى قوم هو غريب عنهم، ليس من جنسهم ولا من عشائرهم، كانوا شواذ السلوك، قد انحرفت طباعهم

---

[٣٢] الشعراء ١١٢...١١٥

[٣٣] الشعراء ١١٦

[٣٤] الشعراء ١٣٦–١٣٧–١٣٨

[٣٥] الشعراء ١٥٣–١٥٤

عن الفطرة السليمة، فاكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وعاشوا حياة الفوضى الإنسانية، فتهارشوا كالبهائم، وتحاذفوا بالبندق، وصفقوا وصفروا في نواديهن، وتحرشوا بالمسافرين، وقطعوا الطريق على السابلة. ولما أعلن خطابه الإعلامي، بدأ يعرّف بنفسه، وينصح لهم، وللغريب أن يبدي ما خفي عمن لا يعرفه من المجتمع الجديد لكي يوثق العلاقة بهم:﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ *﴾[٣٦]، ويظهر لهم حسن نيته، واستغناءه عن أموالهم: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ﴾[٣٧] فلما أصغوا إليه ليسمعوا ما يدعوهم إليه، فاجأهم بما لم يحتسبوا، وبادرهم باستفهام إنكاري تعجبي، يكشف سوء أفعالهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ*﴾[٣٨]. وهنا تظهر خبايا نفوسهم، فيجهرون بالرفض لنصيحة نبيهم، أيها الغريب دعنا وشأننا، وإلا فسنطردك من قريتنا، ونبعدك عن أرضنا: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ*﴾[٣٩]. وهنا تنتهي مهمة النبي، وتنطوي رسالته، فيقرر المفاصلة، ويعلن البراءة منهم ومن سلوكياتهم ويستغيث بالله ويلتجئ إليه، طالبًا النجاة منهم ومن سوء أعمالهم: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * ﴾[٤٠]. وهنا تأتي نصرة الله لعبده الغريب، المغلوب على أمره، فينجيه من خبثهم ومكرهم، وينزل بهم سوء العذاب فيهلكهم ويجعلهم عبرة لمن خلفهم.

وحينما يقف شعيب –عليه السلام– على أصحاب الأيكة، يذكرهم ويعظهم، ويدعوهم إلى تقوى الله وطاعته، وحسن التعامل مع خلقه، وينهاهم عن تطفيف الكيل، وبخس الناس حقوقهم، فيتهمونه بالسحر ويكذبونه، ويحطون من قدره، ويتحدونه أن يأتيهم بالعذاب الذي يعدهم به. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ * وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ*﴾[٤١] عندئذٍ يكل أمره إلى الله، ويلتجئ إلى كنفه، ويبرأ من علمه وينسب كل العلم إلى الله،

[٣٦] الشعراء ١٦٢-١٦٣
[٣٧] الشعراء ١٦٤
[٣٨] الشعراء ١٦٥-١٦٦
[٣٩] الشعراء ١٦٧
[٤٠] الشعراء ١٦٨- ١٦٩
[٤١] الشعراء ١٨٥-١٨٦-١٨٧

فيصرون على تكذيبه والنيل من مصداقية دعوته؛ فينزل عليهم البلاء ويحل بهم الهلاك: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[42]*

وهكذا يبدو للمتأمل أن الرسل دعوتهم واحدة، ومقاصدهم واحدة، غايتهم هداية الأقوام، ومرادهم إرشادهم مع زهدهم بأموالهم ومتاعهم. والأقوام تتشابه تعاملاتهم مع رسلهم، فكلهم يرمونهم بالكذب، ويتهمونهم بالسحر والتجديف والجنون، ويتحدونهم ويستخفون بإنذاراتهم، لذلك يحل بهم سخط الله وينزل بهم عذابه.

٥. الإعلام المضلل وأساليبه المتشابهة على مرّ الزمان

لو تتبعنا طريق الأنبياء في الدعوة، وتبليغ الرسالة لوجدنا الحال نفسه يواجه كل نبي حينما يدعو قومه إلى الإيمان بالرسالة التي يحملها من ربه. وتتكرر معاناة الأنبياء مع أقوامهم، وكأنما أولئك الأقوام قد تواصوا بالحال نفسه، فتعاهدوا على تكذيب الأنبياء والسخرية منهم؛ فقوم هود وقوم صالح وقوم لوط، وسائر الأقوام الذين بعثت إليه الأنبياء قد واجهوا أنبياءهم بالتكذيب والسخرية والاستهزاء، واتهامهم بالجنون: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ * أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ *﴾[٤٣] وهذا ديدن الأقوام مع رسلهم دائمًا، اتهامات جاهزة تتوارثها الأجيال كابرًا عن كابر، وكأن الآباء أوصوا بها الأبناء، وكل منهم كان رافضًا للدعوة التي جاءتهم من عند مولاهم الحق. قد عميت بصائرهم، وغلبتهم أهواؤهم وتحكمت بهم شياطينهم. فكم لاقى الأنبياء والرسل من أقوامهم، وكم عانوا من الاضطهاد والطرد والإبعاد، وكم نالهم من التنكيل والتعذيب فصبروا على كل ذلك، حتى أتاهم أمر الله بالنصرة على الأقوام، أو مزايلتهم والهجرة من الأوطان.

٦. الخطاب الهادف بين دعاة الهداية ودعاة الضلال

الخطاب الهادف يقوم على المجادلة والمناظرة بين فريقين: فريق يحمل الفكرة الخطأ والسبيل الضال، ويقابله فريق يحمل الفكرة الصواب والسبيل الرشيد؛ وكل فريق من طرفي الحوار يحاول أن يثبت حجته، ويؤيد برهانه بالأدلة التي يعرضها ويتبناها؛ ويبقى الحق والباطل في صراع دائم مادامت الحياة؛ ويظل التدافع مستمرًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

[42] الشعراء ١٨٨-١٨٩

[٤٣] الذاريات ٥٢-٥٣

٦. ١. الحوار بين موسى وفرعون

وتنقلنا السورة الكريمة "الشعراء" إلى مشهد إعلامي طريف، حيث يُعقد المؤتمر الصحفي بحضور فرعون وحاشيته، ويتقدم نبي الله موسى بصحبة أخيه هارون عليهما السلام، ليدلي بتصريح إعلامي صادق يلقيه أمام الملأ من قوم فرعون؛ يعلن فيه قرارًا من رب العزة –جل جلاله – مفاده: كف يد فرعون عن بني إسرائيل، وانتهاء مدة استعبادهم واسترقاقهم، وإخلاء سبيلهم، واصطحاب موسى لهم إلى الأرض المقدسة. وهنا يبدأ الضخ الإعلامي من فرعون بتوبيخ موسى وتذكيره بالجريمة التي ارتكبها قبل فراره من مصر: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ *﴾[٤٤]، وهنا يبدو السؤال من فرعون والاستفهام مفاده المنُّ على موسى بتربيته والعناية به صغيرًا، وعتابه ولومه على ما وقع منه قبل هجرته وفراره. ويرد موسى معتذرًا عن فعلته، ومجيبًا على أسئلة خصمه، مبينًا مضمون الرسالة التي يحملها من ربه، ويستمر الحوار بين موسى وفرعون، ويعلن موسى مبدأ التوحيد لله رب العالمين، فحينئذٍ يتساءل فرعون مستخفًا بدعوة موسى، متجاهلًا معرفته بالله سبحانه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤٥] ويشتم المتأمل رائحة الاستهزاء والسخرية من سؤال فرعون "وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ؟". ويجيب موسى بخطاب واثق هادئ، واصفًا شمول الربوبية والملك لله سبحانه: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[٤٦] وهنا يأتي الخطاب المضلل من فرعون، حيث يلتفت إلى حاشيته وأتباعه، متسائلًا تساؤل المنكر المستهزئ: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾[٤٧]. مازالت تساؤلات فرعون تفيد السخرية والاستهزاء وكأنه يحرضهم على إنكار دعوة موسى عليه السلام. ولا يأبه موسى باستهزاء فرعون بل يثابر مضيفًا بثقة وثبات: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء:٢٦] ، يبدو من الحوار مدى قوة كلمة الحق في خطاب موسى؛ وضعف خطاب فرعون رغم المظهر الساخر المتغطرس؛ موسى الإعلامي الجاد، وفرعون الذي يستقبل الخطاب الموسوي بالأسئلة الساخرة؛ ويستمر الحوار حتى تنقطع الحجة الإعلامية لفرعون فيتهم موسى بالجنون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] ويستمر موسى بتبليغ رسالته الإعلامية، حتى يصل الأمر بفرعون إلى استعمال خطاب التهديد والوعيد: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ

---

[٤٤] الشعراء ١٨– ١٩

[٤٥] الشعراء ٢٣

[٤٦] الشعراء: ٢٤

[٤٧] الشعراء ٢٥

ٱلۡمَسۡجُونِينَ* ﴾[٤٨] عند ذلك يكشف موسى عن مفاجأة مدهشة من أجل إثبات حجته، وتعزيز خطابه الذي بادرهم به. فيقدم عرضًا طريفًا، يجعل منه دليلًا قاطعًا يوثق صدق رسالته، فيحول العصا ثعباناً يرعب الحضور، فعن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: "ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرةً فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رأى فرعون أنها قاصدةٌ إليه، اقتحم عن سريره، فاستغاث بموسى أن يكفَّها عنه، ففعل"[٤٩]. كما يخرج يده من جيبه، فتسطع نورًا يبهر أبصارهم؛ قال ابن عباس: " أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني: من غير برص ثم أعادها إلى كمه، فعادت إلى لونها الأول "[٥٠].

ولم يبق أمام كل من حضر إلا التصديق والاقتناع؛ ولكن التضليل الإعلامي الذي يبتكره فرعون يزرع الشك في نفوس الحاضرين، فيفترض سوء النية من الرسول، وينسب إليه أعمال السحر، وغايته سلب أملاكهم وديارهم، ويحملهم مسؤولية الموقف: ﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ * يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ *﴾[٥١]، وهنا تتهافت الاقتراحات، وتثمر الخدعة الإعلامية من فرعون، فيقرر الحاضرون دعوة كل ساحر في البلاد ليناظر موسى ويبطل سحره: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ * ﴾[٥٢]، ويقبل موسى التحدي، ويحدد اليوم الموعود للمناظرة السحرية العجيبة، ويبدأ الضخ الإعلامي المضلل يدعو الناس للاجتماع، مع افتراض تغلب السحرة ، وذلك قبل موعد المناظرة: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ *﴾[٥٣]. يبث إعلاميو فرعون في روع الناس احتمال غلبة السحرة، ولكي تتهيأ الطبائع التي تميل للفريق المنتصر، وأن انتصار فريق السحرة أمر حاصل، وذلك من أجل تعزيز موقفهم؛ ولكن الله غالب على أمره، ينصر رسله ويهزم خصومهم، وتغلب عصا موسى حبال السحرة وعصيهم، ويقر السحرة بصدق رسالة موسى، ثم يؤمنون بدعوته. وهنا تنطلق أبواق الإعلام المضلل، لتوحي للناس أن السحرة متآمرون مع موسى، وأن المناظرة كلها تمثيل من أجل إقناع الناس بخطاب موسى، الذي يرمي إلى إفساد حياتهم وسلب ديارهم وأموالهم، ويبطش فرعون بالسحرة، فيقطع أيديهم وأرجلهم، ويصلبهم فوق جذوع النخل، أمام العيون النواظر. وبدأت دعوة موسى تثمر وتؤتي

---

[٤٨] الشعراء ٢٩

[٤٩] محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ت)، ١٣/١٦.

[٥٠] الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ١٠/٣٤٦.

[٥١] الشعراء ٣٤–٣٥

[٥٢] الشعراء ٣٦–٣٧

[٥٣] الشعراء ٣٩–٤٠

أكلها، فبعض شباب بني إسرائيل بادروا الانضمام إلى صف موسى وأعلنوا الإيمان به وتصديق خطابه، على حذر وخوف من بطش فرعون ومن يمالئه من كبراء بني إسرائيل أصحاب المصالح. ويعلم فرعون أن تطورات الأمور أخذت بالتسارع، وما عادت كما يرغب ويحب، فبدأت أبواقه الإعلامية تنشر الإشاعات الكاذبة، وتصف الجماعة المؤمنة بأوصاف منفرة، لكي يتجنبهم الناس ولا يتابعوهم: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ *﴾[٥٤] ينشرون الإشاعات، ويبثون في روع الناس أقبح الصور وأشنع السِّيَر، ولا يتوانون عن إلصاق شتى الأوصاف الذميمة، والتهم الوخيمة بالفئة المؤمنة بموسى.

٦. ٢. أبواق فرعون والإعلام المضلل

٦. ٢. ١. التقليل من شأن الخصم

وهي الصفة التي تنطلي على العامة ودهماء المجتمع؛ حيث يوصف الخصم بالسذاجة والبساطة والقلَّة، وعدم مواكبة الحضارة التي يعتد بها الخصم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾[٥٥]، وهكذا وُصِف أتباع موسى بالشرذمة، وأصلها في اللغة القطعة من السفرجلة[٥٦]. وتوحي بمعنى الانتقاص من قدرهم والتقليل من شأنهم؛ فالتحقير من الخصم، والحط من قدره يجعل مساحة المعارضة التي يشكلها الخصم ضيقة، وشأن أفرادها ضئيل، وعددهم قليل؛ فلا قيمة لهم، ولا يهمنا أمرهم، وهذا ديدن الطغاة والظلمة المتكبرين في كل زمان ومكان.

٦. ٢. ٢. اتهام الخصم بإحداث الفوضى والإخلال بالنظام العام

يُتَّهَمُ الخصم بإحداث الفتن في المجتمع، والإخلال بالأمن العام، وعصيان النظام، ولذلك يصمهم بصفات مفادها التسبب في تكدير الحياة العامة، ويحشد لذلك كل أساليب الكذب لجمع شتات المجتمع على رأيه، ليكسب التأييد من العامة، والموافقة على استئصال الخصم: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾[٥٧] يرفعون سقف التهم فينسبون إلى الخصم كل ما يعكر صفو مجتمعهم أو يخل بأمنهم، ويحدث الفتنة بين صفوفهم. فهم سبب

---

[٥٤] الشعراء ٥٣

[٥٥] الشعراء ٥٤

[٥٦] الشِّرْذِمةُ: القِطْعة مِنَ الشَّيْءِ، وَالجَمْعُ شَراذِمُ؛ قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جُؤَيَّةَ: فَخَرَّتْ وأَلْقَتْ كلَّ نَعْلٍ شَراذِماً، ... يَلُوحُ بِضَاحِي الجِلْدِ مِنْهَا حُدُورُها

اللَّيْثُ: الشِّرْذِمةُ الْقِطْعَةُ مِنَ السَّفَرْجَلة وَنَحْوِهَا، انظر: محمد بن مكرم ابن منظور الرويفعى (ت ٧١١هـ)، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر،١٤١٤هـ)، ٣٢٢/١٢

[٥٧] الشعراء ٥٥

الغيظ الذي يعترينا، وسبب غضبنا، لذلك سيكون بطشنا بهم شديد، فلا لوم ولا عتب والعذر واضح، فالمتسبب بإغاظة المجتمع بأسره يحكم عليه سلفًا بالهلاك.

٦. ٢. ٣. التحذير من خطر الخصم

يُحذر الناس من خطر الخصم. وهذا شأن الطواغيت في كل زمان ومكان، عندما تنقطع حجتهم يلجؤون إلى التضليل الإعلامي، وينسبون إلى خصومهم شتى التهم التي تعكر صفو المجتمع، وتستفز القائمين على استقراره وأمنه: ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ * ﴾[٥٨] ففي طيات هذه التهمة الكثير من الإيحاءات النفسية؛ ينبغي أن نحذر خطرهم، ونتجنب التعاون معهم، أو الاتصال بهم جميعًا، وكل من يتواصل بهم فهو متهم بجريمتهم، والانتماء إلى حزبهم، وسيؤخذ بجريرتهم، فحذار من الميل إليهم، وإيانا وإياكم والتواصل معهم.

تهم ثلاثة جاهزة تؤلفها الحكومات الظالمة المتسلطة دائمًا، على مر العصور والدهور، وقد اعتادت على إلصاقها بكل من يخرج عن طاعتها، ويتنكب طريقتها.

٦. ٣. نموذج من الأساليب البلاغية في الخطابات الإعلامية

اتسمت الأساليب البلاغية في الحوارات بين الرسل والملأ من الأقوام بالتباين، ما بين أساليب إنشائية وأساليب خبرية، فغالب الخطابات التي تصدر من الرسل أساليبها خبرية، وغالب الخطابات الصادرة من الذين استكبروا أساليبها إنشائية. وذلك لأن الرسل يحملون رسالة إعلامية غرضها البلاغ والبيان، أما الطواغيت فغالب ما في خطاباتهم الإنكار والسخرية والاستهزاء.

فعندما يدخل موسى وأخوه هارون على فرعون ليؤدي رسالته الإعلامية، التي مفادها بأن الله رب العالمين؛ يتساءل فرعون بأسلوب الاستفهام الذي يحمل في طياته الانتقاص والتقليل من قدر إله موسى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٥٩] نسمع جواب موسى بأسلوبه الخبري الحازم الجازم المفعم بالثقة واليقين، حيث يقول: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾[٦٠] وهنا نلاحظ حذف المبتدأ "هو" بعد القول، والإسراع بالإفصاح عنه بالخبر:" رب السموات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا..." وهذا الإيجاز من بلاغة الخطاب القرآني، وغرضه تعظيم الرب –سبحانه– الذي شملت ربوبيته كل شيء معهود للمتلقي وغير

[٥٨] الشعراء ٥٦

[٥٩] الشعراء ٢٣

[٦٠] الشعراء ٢٤

معهود، فهو: "رب السموات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا"، وهنا يأتي الخطاب الفرعوني بأسلوب الاستفهام الذي يحمل السخرية والتهكم، ويظهر التعجب من قول موسى، حيث يلتفت إلى حاشيته وجلسائه من الملأ ويقول متسائلًا: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾[٦١] .وكأن لسان حاله يقول لهم هل تصدقون هذا القول من هذا " المهين ولا يكاد يبين" الذي يأتينا بخطاب غريب عن بيئتنا؟.

ويصَعِّد موسى من خطابه بأسلوبه الخبري الواثق المستفز: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[٦٢] لقد انتقل–عليه السلام– من ذكر العام "رب السموات والأرض وما بينهما" إلى ذكر الخاص "ربكم ورب آبائكم" وأكد الآباء بالصفة "الأولين" إمعانًا في الاستفزاز والإحراج. لقد كان خطابه عاما، ولكنه الآن يوجه إلى فرعون المتأله، الذي يدعي أنه إله مصر وأهلها، وإلى الحاضرين الذين يؤلهون فرعون، ولا يتخذون غيره إلهًا. حينئذ ينفعل فرعون الذي ظل يكتم الغيظ، ويتجمل بالتحمل والصبر، ويظهر الاستعلاء وعدم الاهتمام بما يقال، ولكنه عندما سمع: أن رب موسى هو رب كل شيء، بل ربه هو وربُّ آبائه الأولين، الذين يزعم أنهم آلهة، وأن لهم السلطة المطلقة؛ وأن هذه الربوبية أصبحت وهمًا؛ وهنا يلتفت إلى الملأ حوله بأسلوب خبري مؤكد بتأكيدات متعددة متتالية، يؤكد لهم أن كل ما يسمعونه لا صحة له ولا مصداقية، فيتهم موسى بالجنون، وربما كان يكفيه القول: "هذا مجنون " ولكنه أفصح عن غيظه وقلقه، فعبر بقوله:﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[٦٣] حيث أكد الخبر بـ" إنَّ، والَّذي، وإليكم، واللام"، ليعزز مكانته التي شعر أنها تزعزعت، ويوحي إلى من حضر من الملأ أن هذه الأخبار التي يلقيها موسى لا تصدر عن عاقل، فما هذا إلا كلام مجنون. فما يزداد موسى إلا إصرارًا على إبلاغ الرسالة، فيمضي بتعداد خصائص الربوبية التي ينسبها إلى رب العزة جل جلاله: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٦٤]، وهنا يفقد فرعون صوابه، ويتميز غيظه، ويصرخ بأعلى صوته مهددًا موسى بالعقوبة الشديدة: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[٦٥] لم يقل له: " لَأَسْجُنَنَّكَ" ويكتفي بها، ولكنه يطنب في وعيده لموسى، إمعانًا في التهديد والترهيب؛ قال ابن عاشور " سَلَكَ فِيهِ طَرِيقَةَ الْإِطْنَابِ لِأَنَّهُ أَنْسَبُ بِمَقَامِ التَّهْدِيدِ لِأَنَّهُ يُفِيدُ مَعْنَى

[٦١] الشعراء ٢٥
[٦٢] الشعراء ٢٦
[٦٣] الشعراء ٢٧
[٦٤] الشعراء ٢٨
[٦٥] الشعراء ٢٩

لَأَجْعَلَنَّكَ وَاحِدًا مِمَّنْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ فِي سِجْنِي، فَالْمَقْصُودُ تَذْكِيرُ مُوسَى بِهَوْلِ السَّجْنِ ... وَقَدْ كَانَ السِّجْنُ عِنْدَهُمْ قَطْعًا لِلْمَسْجُونِ عَنِ التَّصَرُّفِ بِلَا نِهَايَةٍ، فَكَانَ لَا يَدْرِي مَتَى يَخْرُجُ مِنْهُ. "[٦٦]

وهكذا تتجلى الأساليب البلاغية، والدلالات المعنوية في الخطابات الإعلامية لكل من أصحاب الخطاب الرشيد الهادي، وهم الرسل، وأصحاب الخطاب المضلل وهم الطواغيت من الأقوام، يستخدم كل منهم المؤكدات لتأكيد خطابه، وينوع في الأساليب ليقنع القوم برأيه؛ ويظل السجال بين الحق والباطل قائمًا ما قام الوجود، دائمًا ما دامت الحياة.

٧. الخاتمة

للكلمة الأهمية الكبرى، والمكانة السامية عند العرب، فللكلمة البليغة الهادفة الأثر البالغ في إقناع السامع بالفكرة التي يعرضها المتحدث؛ ولا عجب من قدرة صاحب الكلمة الفصيحة على إقناع العامة بفكرته؛ فبقدر فصاحة كلمته التي ينطق بها تكون استجابة السامعين، ولعل الشاعر العربي فيما مضى يمثل الإعلامي المعاصر الذي يوجه عقول العامة من الناس؛ فالبيت من الشعر يرفع قبيلة ويحط أخرى، ويعز شخصًا ويذل آخر.

والشاعر هو الذي يسمع صوته في المجتمع العربي، لذلك سمَّى الحق –سبحانه– سورة من القرآن الكريم باسم " الشعراء"، وفي هذا الاسم إشعار بأهمية الشعراء، الذين كانوا يمثلون الصوت المسموع والمتبوع، ولا تخلو السورة من وقفات، تبرز خطر الصوت الإعلامي، ودوره في تشكيل العقل الجمعي للمجتمعات الإنسانية.

وماورد في سورة الشعراء من حوارات يمثل حقيقة الإعلام بشقيه المرشد والمضلل. والتأمل في معاني سورة الشعراء يدرك مراميها ومقاصدها. وقد تطرق الباحثان للمقاصد التي هدفت لها السورة والغرض من تسميتها بـ"الشعراء "، وختماها بآيات تلقي الضوء على الأثر الإعلامي للشعراء، الذين وصفهم الحق – سبحانه–بأنهم ﴿يتبعهم الغاوون﴾، وأنهم في كل واد من وديان القول يهيمون، باستثناء أصحاب الكلمة النظيفة الطيبة.

والمتأمل في النظام الكوني يجده قد انبنى على المثاني وقام على التقابل في التعامل، فالصراع بين الحق والباطل لا ينقضي مادامت الحياة، والتدافع سنة كونية تقوم بها هذه الحياة.

---

[٦٦] التحرير والتنوير، ج١٩، ١٢٢

فالأنبياء يبلغون رسالات ربهم، ويصبرون على أذى المجرمين من أقوامهم، وخطابهم الإعلامي في سائر العصور والأزمان متشابه، كله يدعو إلى الإصلاح، ويهدف إلى تبصير الأقوام بحقيقة وجودهم ووظيفتهم في الحياة، كما يهدف إلى تعريفهم بمنهج التعامل مع الخلق ومع الخالق.

أما المجرمون فيواجهون الرسل بالتكذيب والتحقير والتهم الزائفة، ويتمادون في إيذاء الرسل وإنكار دعوتهم، ويجاهرون في معاداتهم؛ ولذلك يأذن الله بطي صفحة الدعوة عندهم، فيأمر النبي بالانصراف عن قومه، وينجيه ومن آمن معه من بيئتهم الفاسدة، ويرسل على المجرمين العذاب والهلاك بشتى أصنافه وأنواعه، فمنهم من تأخذهم الصيحة، ومنهم من تهلكهم الريح، ومنهم من ينزل عليهم حجارة النار، ومنهم من يأفك بهم الأرض أو يخسفها؛ ومنهم من يغرقه بالطوفان، وكل منهم ينال جزاء جحوده وإنكاره.

وقد استنتج الباحثان حقيقة كونية لا تتبدل ولا تتغير؛ فالمجرمون يترصدون أصحاب الرسائل ودعاة الحق، ويجتهدون في إفشال دعوتهم، ولا عجب من ديمومة المواجهة والمناكفة بين أهل الحق وبين خصومهم، وقد عرض رب العزة –جل جلاله– هذه الحقيقة المتمثلة في العلاقة بين الرسل وأتباعهم من جانب، والمجرمين وأتباعهم من جانب آخر، قال–سبحانه–: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[٦٧] يختم الآية بتطمين أنصار الحق ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ حيث يتكفل –سبحانه– لأهل الحق بالهداية والنصرة. فهو الهادي إلى سداد الأمور في مسالكها، وهو الناصر في إنجاح دعوة الحق في مآلاتها. وموعود الله –سبحانه– لعباده بنصرة الحق وإزهاق الباطل حاصل لامحالة، وحاشاه أن يخلف الميعاد. وتبقى كلمة الحق واضحة ناصعة، تنتظر من يحملها ويبلغها إلى من يتلقاها بالقبول والتسليم، ويعمل بمقتضاها، كي يسعد في دنياه، ويفوز في أخراه.

[٦٧] الفرقان ٣١

المراجع

ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ

الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام. د.ن، د.ت.

الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء. جدة: دار المدني، د.ت

الزَّبيدي، محمّد الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: دار الهداية، ١٩٦٥م.

الزمخشري محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي،٤٠٧ هـ

الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ

الشيباني، أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ت.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد، وآخرون. معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت: المكتبة العلمية،١٤٣١هـ.

القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الحصري. زهر الآداب وثمر الألباب. بيروت: دار الجيل، د.ت

اليوسي، الحسن بن مسعود. زهر الأكم في الأمثال والحكم. تحقيق: محمد حجي، الدار البيضاء: الشركة الجديدة،١٩٨١م.

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 25.05.2023 | Accepted: 18.10.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10276600 0009-0003-3960-1911

موقف الفكر الحداثي من مصادر معرفة الإله وصفاته وأفعاله

The Position Of Modernist Thought On The Sources Of Knowing God His Attributes And The Acts

خالد حقي*

Halit HAKKI

الملخص

درج الفكر الحداثي إلى تصورات خاصة في مصادر معرفة الله، والتعرف إلى صفاته وأفعاله. فكان أن قال الفكر الحداثي أن لا طريق إلى معرفة الله بالطرق العقلية البتة. بل إن الطريق الوحيد لمعرفة الله هو الصفاء الذي يجده الإنسان في قلبه. ثم شككت في حدود القدرة الإلهية، وقالت بمحدوديتها. ورأت بأن هناك تعارض بين وجود الإله الرحيم والشر الموجود في العالم. فكان هذا البحث ليعرض هذه الأفكار ويعرض الإجابات الإسلامية عليها.

الكلمات المفتاحية: الحداثة– مصادر معرفة الإله– القدرة الإلهية– الشر في العالم.

Abstract: Modernist thought tended to special perceptions in the sources of knowing God, and identifying His attributes and actions. It was that the modernist thought said that there is no way to know God through rational methods at all. Rather, the only way to know God is the purity that a person finds in his heart. Then questioned the limits of divine power, and said its limited. Modernist believed that there is a conflict between the existence of a merciful God and the evil that exists in the world. So, This research was to present these ideas and present the Islamic answers to them.

* Assistant Professor, Iğdır University, Faculty of Ilahiyat, Department of Kelam. ORCID: 0009-0003-3960-1911 E-Mail: khaled.hakki@igdir.edu.tr

Keywords: modernity - Sources of Konine God - Divine Omnipotence - Problem of Evil.

Introductory Remarks On The Notion Of Modernity (Hadatha):

Research on the notion of modernity involves a great deal of difficult, and that is because it is a term that resists clear definition. It has likewise been associated with other concepts and connotations, and has been expanded such that any attempt to arrive at a sufficiently exhaustive definition is incredibly difficult. But difficulty does not imply impossibility, as it is possible to come to some definitions that contain its most distinctive features.

Modernity: A Lexical Definition

The term modernity lexically is the opposite of what is ancient or prior, and to exist after not existing. It also implies an occurrence at the current moment, or it can imply a new thing or event that has appeared without precedence.

Modernity: A Technical Definition

Modernity is for man to place himself at the center of everything, as the measure, the master, and the controller. This occurs for man after achieving the utmost certainty in himself and his knowledge, and his determination to deliberate the affairs of the world.

The feature of modernity around which there is some consensus is "to be free from the past and tradition, and to fight it; and to struggle against every ancient and inherited belief or science."[1]

The Relationship Between The Terms Modernity And Post-Modernity:

(Post-modernity, beyond-modernity) - these terms signify philosophical concepts and technical notions that came the modernist movement, as a reaction to an appraisal of modernism such that it fills in the gaps and

[1] Alnahawi, Adnan Ali Rida, Takuim nazariat Alhadatha (Riyadh: Dar Al-Nahawi lil nashr wa altawziaa, 1992) 41.

corrects its errors, while relying on new foundations that are not contained within modernism, such as the notion of "unreason'.

Postmodern philosophy has focused on the denial of a single truth, to affirm the multiplicity of truth, and the reliance upon imagination and whim. In this regard, postmodernism represents the sophists of this age, who rely on skeptical modes of argument to deny realities, and reject the notion of a complete reality, and to affirm epistemological relativism and religious pluralism. Postmodernism therefore does not seek final answers as much as it wrought by anxiety of questioning and feverish research.[2]

Currents in Modernism

Modernism is not capture by a single trend or current but represents a multiplicity. Each of these trends has its own unique features. For the purposes of this study, we may distinguish between the following currents:

First: Realist Modernism (Rationalism)

This group contends "that it is possible to arrive at certain conclusions about metaphysical questions, including matters of religion, and that this may occur through rational inquiry."[3] This type of modernism also holds that religion is a collection of human constructions that appeared in human history as a result of certain intellectual developments. This trend likewise held that divinity was also a notion that evolved historically according to intellectual and social factors; so, this trend has adopted atheism as an epistemic assumption, and it attempted to demonstrate its truth claims through rational argument.[4]

Second: Skeptical Modernism (Sophists)

This group of modernists doesn't believe it is possible to arrive at certain conclusions regarding metaphysical questions, and this stance derives from two preliminary points:

[2] The previous source, 38.
[3] Fouda, Saeed, Maqalat Naqdiay fi alhadathat wal-ilmaniati (Beirut:Dar Al-Zakhair, 2015), 21.
[4] The previous source, 13.

First: it is not possible to achieve metaphysical knowledge, because it lays beyond the reach of human reason, even if it is true in itself. Secondly: it is not possible to prove metaphysical theses because they do not exist beyond human belief, as each belief derives from some individual or social need.[5]

In addition to the previous current, there is a specific type of modernism that is best represented by the philosopher Taha Abderrahmane, a figure with deep understanding of logic and philosophy, and has been quite prolific and effective in his replies to other modernists and undermining many of their basic principles.[6]

However, in his response to Arab modernists, he does not reject modernism as such. Rather, he too calls for a type of modernism, and indeed he describes himself as a modernist; his main criticism rather is that the reality of Arab modernists in their uncritical adoption of western modernism as the core of their movement. Instead, he seeks a modernism that stems from religion, and calls for an Islamic modernism that opposes a modernism that has waged a war against tradition and judges it to be a hurdle to progress and development.[7]

1. Modernist Thought on the Sources of Knowing God and a Reply:

Modernist thought is antithetical to the idea that one can provide rational arguments for the existence of God, and it attempts to show this in a multitude of ways, such as the denial of the argument from design, ad by stating that if God is not subject to experiment and observation then he does not exist, and so forth, it remains to discuss what modernist thought has said about the traditional rational arguments for the existence of God.

The denial that there is any rational argument for the existence of God either leads to the denial of God's existence as we have seen earlier, or, it may lead someone to affirm His existence but in alternative ways, as is the case with several modernist authors.

[5] The previous source, 21.

[6] Abdul Rahman, Taha, B'us Al-dahrania Al-naqd al-iintimai lifasl al-akhlaq an al-diyn (Beirut: Al-Shabaka Al-arabiya lil Abharth wa Al-nashir, 2014), 155.

[7] Abdul Rahman, Taha, Ruh Al-hadatha _Almadkhal ila T'asis Al-hadatha Al-Islamiati (Morocco: Al-Markaz Al-Thqafi Al-Arabi, 2006), 16-17.

1.1 Religious Experience as Proof of God's Existence:

The philosopher Taha Abdurrahman holds that there are no incontrovertible arguments for the existence of God, even if the conclusions they produce are true. In other words, the arguments for the existence of God do not produce psychological certainty, and that certainty in God's existence cannot occur unless one engages in Sufi or religious experience.[8]

Abdurrahman holds that theoretical judgments in metaphysics are not demonstrative propositions as is the case in mathematics, for example, and that the philosopher, no matter how hard they work at refining their proof, it will remain quite distant from what would meet the requirements for authentic inference not subject to disagreement. Therefore, it is only spiritual and religious experience that can give the practitioner objective knowledge of things, but not with introspective means, nor in any organized or principled manner.[9]

In sum then, his views are as follows:

1- Arguments for the existence of God cannot amount to more than opinion.

2- In religious experience, one may acquire evidence of the truth of their beliefs.

3. He rejects philosophical arguments and says they emerge from pure reason, and they amount to no more than rhetorical arguments. He relies on what he calls established reason and aided reason.[10]

1.2 Criticism of Religious Experience as a Source for Knowing God:

The agreement of humanity is not a condition for the truth of a proposition, nor is consensus, nor the absence of any kind of disagreement.

Why is it acceptable to achieve incontrovertible truth in arithmetic and geometry, but not in metaphysics? Many logical, arithmetic, and geometric propositions lack any extramental referent, and despite that, it does lose its

[8] Abdul Rahman, Taha, Alamal Al-Dini wa Tajdid Al-Aqil (Morocco: Al-Markaz Al-Thqafi Al-Arabi, 1997), 28.
[9] The previous source, 38
[10] The previous source, 28.

certainty and its truth in itself. The subjects of mathematical propositions do not have existence extramentally, there is no "10" nor "100," but it remains possible to construct universal propositions out of these concepts, such as multiplication tables. The same applies to geometric shapes, squares, triangles, and circles, for they do not have corresponding entities in extramental reality. What exists extramentally are physical objects, and despite that, judgments made of these shapes can be true or false.[11]

1.3 Religious Experience:

It may be the case that non-inferential knowledge of God, or religious experience, or inborn intuition, all occur. However, there is no opposition between the notion that knowledge of God occurs by natural disposition, or religious experience, and having knowledge through reason. The evidence for the necessity of God's existence is innumerable, and the Noble Qur'an adopts rational arguments as well and they are the most important in affirming the existence of God. For God has held us responsible on the basis of our reason and the reading of the open book of the universe.

But if we concede their claim, it is also true that there is a great deal of people who do not believe in God by their natural disposition or their religious experience but by virtue of reason. And we concede also that there are people who believe and worship in this manner, but that does not mean that one should not pursue rational argumentation, for it is the foundation. So religious activity without proof happens, but the religion itself requires evidence.

Ultimately, these experiential methods are very important in understanding the Sufi path,[12] as it strengthens the connection between man and his Lord. There may be many people who have built their faith on this path, for it develops the tie between theoretical knowledge and experiential knowledge, and there is no doubt that it this method is authentic and beneficial. But there is no connection between the beauty of this path and its attractiveness, and it being evidence for the existence of God. At best, it can only be a proof for the existence of God for a single individual, "and it is not possible to reach the level of certainty in ascertaining its source, even if the

[11]Al-Amili, Hassan Muhammad Makki, Nazariat Al-ma'arifa – madkhal ila Al-ilm wa Al-fasafa wa Al-ilahiat (Qom: Maktabat Al-Tawhid) 218.
[12] Abdul Rahman, Taha, Hiuarat min ajil Almustakbal, 140.

inspired person believed it to be authentic by virtue of supporting evidence, that it derives from a divine source." Nor is it permissible to broadcast these experiences to people as if it presented proof for the existence of God and a replacement for the many rational arguments for God's existence.[13]

2. Modernist Thought on the Attributes of God:

2.1 Modernist Thought on Divine Omnipotence: presentation and criticism:

Some modernists believe that monotheistic religions placed limits on divine power that prevent it from being absolute, and rendered it incapable of changing things that it ought to be able to, "thus monotheistic religions placed a limit that divine power cannot transgress, so it cannot violate the principle of non-contradiction, nor can it make what was impossible into what is contingent, nor does it have power over the eternal realities nor over the past."[14]

2.1.1 Criticism:

All monotheistic religions agree that God must have absolute power, otherwise, it would not be possible to claim divinity for Him. Despite their disagreement over the details of what exactly power is and what pertains to it specifically, they do not differ over the fact that God has the power to create the world, and He has created it.

But it is important to note here that on Islamic foundations, the attribute of Power is that by which God creates or destroys a contingent object, for Power does not attach to necessary or impossible objects.[15]

It cannot be claimed that power ought to effect what is necessary and what is impossible, not on account of some deficiency in the power, but because the effects of Power is to bring into existence or non-existence, and what is necessary is not subject to being brought into existence, because it already exists, and cannot be rendered non-existent, otherwise it would not

[13] Abdul Rahman, Taha, Alamal Al-Dini, 10.

[14] Al-Mazoghi, Muhammad, Tahqiq Ma lil Ilhad min Maqula (Beirut: Manshurat Al-Jamalm 2014), 339

[15] Al-Senussi, Abu Abdullah, Sharh Sugra Al-Sugrah (Amman: Dar Al-Nur Al-Mubeen, 2014), 124.

be necessary. Likewise, impossible entities cannot be made to not exist, because they are already non-existent, nor can they be made to exist, for they would otherwise not be impossible.[16]

This is all that is meant by kalam scholars when they state that power relates strictly to contingent entities.

As for the claim that God's power is incapable of changing natural laws[17], that is not a position held by any kalam scholars, because they held that the laws of the universe were posited and not rational, meaning that God has governed nature according to certain rules such that reason does not judge the impossibility of their changing, meaning it is possible to change these patterns.

2.2 Modernist Thought on Divine Speech and Historicism:

2.2.1 Presentation and Criticism:

All sects of Islam agree that God has speech, and they affirm that the Qur'an is the speech of God, but they differed in other aspects: the first: whether or not the revealed Qur'an was eternal or incipient, in which case the vast majority of Ash'aris, Maturidis, and Mu'tazilis held that the revealed Qur'an is incipient, because it is composed of letters and sounds, and letters and sounds are created. The Karramis believed that the letters and sounds were incipient but subsist in God's essence. Further, they agree that the Qur'an is miraculous and demonstrates the prophecy of the Prophet Muhammad, as it incapacitated the masters of the Arabic language to reproduce something of comparable eloquence.[18]

The second point of contention is that beyond the revealed Qur'an, is there an attribute of God known as speech or not? Here it is only the Mu'tazila who denied this on the basis that speech can only be of sound and letter, and sound and letter cannot subsist in the divine essence.[19]

[16]Al Sherwani, Muhammad Amin, Sharh Qauaid Al-Aqaid li Al-imam Al-Gazali, ed. Zakariah Jabli (Alaslin li Al-Dirasat wa Al-Nashir, 2016), 105.
[17] Al-Mazoghi, Tahqiq Ma lil Ilhad, 339.
[18] Al-Eji, Adad al-Din Abd al-Rahman bin Ahmad bin Abd al-Ghaffar Abu Fadl, Kitab Al-Mauaqif, ed. Abd al-Rahman bin Ahmad bin Abd al-Ghaffar (Beirut: Dar Al-Jabal, 1997), 293.
[19] Judge Abd al-Jabbar, Imad al-Din Abi al-Hasan, Sharh Al-'usul Al-Khamsa, ed.Abd AlKarim Othman (Cairo: Maktabat Wahba, 2010), 518.

Ash'aris, Hanbalis, and Karramis affirmed speech as an attribute of God. The latter two agreed with the Mu'tazila that speech is only sound and letter, but they affirmed that sound and letter could be eternal. The Ash'aris were unique in affirming that speech refers to two things: one is internal, not composed of sound and letter, and uttered speech, which is composed of sound and letter. The attribute of God they affirmed was the internal one that is not composed of sound and letter.[20]

Modernist writers have made the Mu'tazilite position a means to their own goals, and the importance of the Mu'tazili view is that the belief in the creation of the Qur'an need not be imported from western thought but is a native Islamic development.

But the disagreement between Sunni orthodoxy and Mu'tazilism is not whether the Qur'an is created[21], because the Mu'tazili position is that the Qur'an is created meaning the book and the sounds and letters that compose it, and that is not unique to them. The Ash'aris agreed with them and said that what is between the two covers of the book is created, but they affirmed something beyond that, namely the divine attribute of speech, and that is the main point of contention between the Ash'aris and the Mu'tazilis.[22] It is only that modernists have taken the Mu'tazili position and interpreted it in a way that desacralizes the Qur'an and renders it into a historical text.

But the truth is that the Mu'tazila insisted on the divinity of the Qur'an[23], and that opposes modernist interpretations that tried to find a link between the eternity of the Qur'an and the ossification of the text, and in reality: there is absolutely no such connection between the creation of the Qur'an and the historicity of the text, just as there is no connection between the eternity of the Qur'an and the ossification of the text.

The main goal of modernism is to desacralize revealed texts, namely the Qur'an that is God's Speech.[24] In order to do this, they sought to take the Qur'anic text from its divine origin and to give a human origin, and in turn, to make it into a linguistic text like any other human production in a given

[20] Al-Taftazani, S'ad Al-Din Masoud bin Omar, Sharh Al-Makasid (Pakistan: Dar Al-Ma'arif Al-Numania, 1981), 2/99.
[21] Al-Jurjani, Abd Al-Rahaman, Sharh Al-Mauaqif (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1998), 8/103.
[22] The previous source, 8/103.
[23] Judge Abd al-Jabbar, Sharh Al-'usul Al-Khamsa, 518.
[24] Hanafi, Hasan, min Al-Aqida ila Al-Thoura (Beirut: Al-Markaz Al-Thakafi Al-Arabi, 1988), 1/262.

historical circumstance and is therefore subject to an infinite number of interpretations. In doing so, they relied on methods adapted from hermeneutics, relativism, and semiotics.[25]

2.2.2 Criticism of Modernist Thought on Divine Speech:

It is important to first note the points of agreement between various modernists on historicism and Islamic belief, for they all agree on the following:

- That they all believe in God and that they are Muslims practicing ijtihad
- They believe in the prophethood of our Master Muhammad (s).
- Belief that the Qur'an is Divine Speech[26]

These are all points of agreement, but modernist writers at the same time try to render unseen matters to historicism, and rendering it part of the human sciences, like historical psychology.[27]

The Mu'tazili position enjoys an important role in modernist discourse, in order for them to reach their main goal of depriving the Qur'anic text of its sanctity[28], but there is no proof for them in the Mu'tazili position. When they claimed that the Qur'an was created, that did not change anything regarding their view that the Qur'an remained at the pinnacle of sanctity and divine origin, indeed, their position was merely an expression of their insistence on affirming Divine Transcendence.[29]

Therefore, there is no meaning in the insistence of modernist thinkers on the Mu'tazili position, as there is no difference on this specific point between Sunni orthodoxy and Mu'tazilism, as they all agreed that the Qur'an was Divine Speech, and that it was applicable to every time and place, and so it does not help the modernists in achieving the historicist goal.

[25] Hanafi, Hasan, Al-Turath wa Al-Tajdid (Matba'at Al-Inglo Misria, 1987) 389.
[26] Al-Omari, Marzouk, Ishkaliat Tarikhiaa Al-Nas Al-Dinni fi Al-Khitab Al-Hadathi Al-Mua'asir (Algeria: Mashourat Al-ikhtilaf, 2012), 157
[27] Al-Omari, Ishkaliat Tarikhiaa Al-Nas Al-Dinni, 154.
[28] Arkoun, Muhammad, Kadaia fi Naqid Al-Aqil Al-Dinni, trans. Hashim Salih (Beirut: Dar Al-Taliaa, 1998), 279.
[29] Judge Abd al-Jabbar, Sharh Al-'usul Al-Khamsa, 141.

3. Modernist Thought on the Acts of God and a Reply:

3.1 Modernist Thought on the Notion of God's Acts

Some modernists depart from an assumption regarding divinity that is correct, namely that God is not physical, and an assumption regarding acts that is incorrect, namely, that acts only come from bodies, and therefore, they concluded with the rejection of divinity based on these two premises.

The result is the following[30]:

1- There can be no act that is not preceded by a contingent event in the subject, and that means the subject must be a body;

2- If the subject is not a body, then it is irrational and illogical for that subject to perform an act. In other words, there can be no act except through a contingent medium.

3.1.1 Criticism

What is the basis of the claim that performing an act entails that the active subject must be spatio-temporal and corporeal? The claim above is guilty of question begging.

Their claim that this is a rational judgment is in fact based on an empirical judgment that is derived from experiment and induction and is therefore not a rational judgment at all. It is therefore sufficient to deny their claim on grounds of insufficient evidence.

The claim that every subject must be a body is either: evident or inferential. If they believe that it is evident, then we deny that, for the rational agent does find the claim to be evident, nor do they have no doubt about the proposition, and in fact, the number of people who deny this proposition are many, and they are certainly rational subjects among the ancients and the contemporaries, and of different religions as well. So, to claim that this proposition is evident is mere obstinance that is not permissible in scientific research.[31]

But if it is a theoretical claim, then theoretical claims require evidence. But they lack any evidence for their claim. So, the question that asks itself is: is it impossible for incorporeal entities to exist in reality?

[30] Fouda, Saeed, Tafnid al-usus aleamalia Lil-ilhad (Kuwait: Dar Al-Diaa, 2014), 17
[31] The same source, 14-44.

3.2 Modernist Thought on Determinism and Freewill:

3.2.1 Presentation and Criticism:

God has given human beings a complete will, i.e., a capacity by which they can select things and do things, and by this capacity, man can be subject to moral obligation, punishment and reward. The acts of man are created by God's executive power, in his bodily limbs and nerves, bringing about what he intended to acquire with his will and choice.[32]

And with the existence of this hidden acquisition by which man determines and choose, God allows man's limbs to move, and creates in it the power of motion in accordance with the volition of man, all of which is known and recorded in God's eternal knowledge.

The opponents to this view could not understand how man could have choice unless he also had complete independent causal efficacy, while Sunni orthodoxy understood power in a different sense, such that God creates the acts of man, and man acquires them.

By the existence of this relation between man and his act, it is sufficient for him to be the subject of his voluntary acts, and for which he is held responsible, and deserves praise and blame; that is the meaning of acquisition.[33]

As for God's creation of his acts, then this is true, as everything that emerges from non-existence into existence is by God's selection, power, will, and knowledge. It is not possible for any contingent to come into existence without God's will.[34]

3.3 Modernist Thought on the Problem of Evil:

3.3.1 Presentation and Criticism:

Atheistic modernist thought holds that there is a logical incoherence between the existence of a God that is completely good, omnipotent, and omniscient, and the existence of the massive amount of suffering and evil in the world.

[32] Al-Senussi, Muhammad bin Yusuf, Sharh Al-Akida Al-wusta, ed. Mohammed Yusuf Idris (Amman: Alaslin li Al-Dirasat wa Al-Nashir, 2017), 248.
[33] Al-Bouti, Muhammad Saeed Ramadan, Al-Insan Musair am Mukhair (Beirut: Dar Al-Fikir, 2009) 38.
[34] Al-Razzi, Fakher Al-Din, Al-Rba'ain fi Usul Al-Din (Hyderabad: Dairat Al-ma'arf Al-Othmania, 1934), 131.

We may present the argument in the following ways:

(1) If God exists, then the world would be felicitous and compassionate,
But the world is not like that; God does not exist. God has the power to remove evil[35]

(2) Either God exists, or evil exists
But evil exists.
Therefore, God does not exist.

(3) God has power of all things
Everything that has the power to remove evil must remove evil.
Evil has remained
Therefore, God does not exist.

All of these arguments depend on the impossibility of reconciling a God that is completely good, omniscient, omnipotent, and compassionate with the existence of evil. Thus, the existence of God with these attributes entails the absence of evil.

Therefore, the existence of evil contradicts the existence of God, as divine perfection entails that there be no evil in the world, and that God does not create evil. This is why this argument is considered to challenge revealed religion.[36]

3.3.2 Criticism

The supposition that a perfect god described with compassion, knowledge, and power cannot create a world with evil and pain is false. There is no logical contradiction between the existence of evil and the existence of God. It is rather quite possible for God to exist and for evil to exist, and that is assuming that there are possibilities that might have reasons that we do not know that justify the existence of evil in the world.[37]

[35] Victor John Stinger, Allah Alfardiat Alfashila, trans. Kamal Tahir, 209.
[36] Awad, Ramses, Mulhidon Muhadithon Muasiron (Beirut: Muasasat Alaintishar Al-Arabi, 1998), 25-27.
[37] Al-Amiri, Sami, Mushkilat Al-Shar wa wujud Allah – Al-Rad ala Abrz Shubuhat Al-Malahida (London: Takuwin lil Diasat wa Al-Abhath, 2016), 43.

Furthermore, whence does the obligation upon God arise? Reason does not obligate God to do only what is good, for the true understanding of divinity is one that is entirely free.

If they were more precise in their description of God's attributes, they would have at least said this argument weakens the theistic position, but it certainly does not negate the existence of God. For God may exist, but he is not wholly good. Even if this argument is not conceded, it may still be used to argue against the atheist claim. [38]

There is also an important thesis presented in the works of kalam, and that is the absence of cognition does not mean absence of the object.[39] If we search for the reason behind the existence of evil and pain and we cannot find one that does not mean there is no reason or wisdom.

The world desired by the atheist is "a world that is perfect, in which man can reach the utmost limit of happiness, and our world is not that world, because God did not create man in this world to make him happy, but to test him."[40] Simply put, one may interpret the existence of evil by believing that there is a freely choosing creator that chose to create the world in this fashion. It was possible for him to create a different world without evil or deficiency, but God chose this world instead, while informing us that He can create a world that is free of all pain and deficiency, and that is the world of the afterlife.

[38] Al-Dasuqi, Mohammed bin Ahmad bin Arafa Al-maliki, Hashiat Al-Dasuqi ala Aum Al-Barahin (Beirut: Dar Al-kutub Alilmia, 2001), 226.

[39] Al-Razzi, Fakher Al-Din, Al-Mahsul, ed. Taha Jabir Al-Alwani (Musassat Al-Risala, 1997), 2/351.

[40] Al-Amiri, Sami, Mushkilat Al-Shar wa wujud Allah, 43.

Table of Contents

1. Abdul Rahman, Taha, B'us Al-dahrania Al-naqd al-iintimai lifasl al-akhlaq an al-diyn (Beirut: Al-Shabaka Al-arabiya lil Abharth wa Al-nashir, 2014).
2. Abdul Rahman, Taha, Ruh Al-hadatha _Almadkhal ila T'asis Al-hadatha Al-Islamiati (Morocco: Al-Markaz Al-Thqafi Al-Arabi, 2006).
3. Abdul Rahman, Taha, Alamal Al-Dini wa Tajdid Al-Aqil (Morocco: Al-Markaz Al-Thqafi Al-Arabi, 1997).
4. Abdul Rahman, Taha, Hiuarat min ajil Almustakbal.
5. Al-Amili, Hassan Muhammad Makki, Nazariat Al-ma'arifa – madkhal ila Al-ilm wa Al-fasafa wa Al-ilahiat (Qom: Maktabat Al-Tawhid).
6. Al-Amiri, Sami, Mushkilat Al-Shar wa wujud Allah – Al-Rad ala Abrz Shubuhat Al-Malahida (London: Takuwin lil Diasat wa Al-Abhath, 2016)
7. Al-Bouti, Muhammad Saeed Ramadan, Al-Insan Musair am Mukhair (Beirut: Dar Al-Fikir, 2009).
8. Al-Dasuqi, Mohammed bin Ahmad bin Arafa Al-maliki, Hashiat Al-Dasuqi ala Aum Al-Barahin (Beirut: Dar Al-kutub Alilmia, 2001).
9. Al-Eji, Adad al-Din Abd al-Rahman bin Ahmad bin Abd al-Ghaffar Abu Fadl, Kitab Al-Mauaqif, ed. Abd al-Rahman bin Ahmad bin Abd al-Ghaffar (Beirut: Dar Al-Jabal, 1997).
10. Al-Jurjani, Abd Al-Rahaman, Sharh Al-Mauaqif (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1998).
11. Al-Mazoghi, Muhammad, Tahqiq Ma lil Ilhad min Maqula (Beirut: Manshurat Al-Jamalm 2014).
12. Alnahawi, Adnan Ali Rida, Takuim nazariat Alhadatha (Riyadh: Dar Al-Nahawi lil nashr wa altawziaa, 1992).
13. Al-Omari, Marzouk, Ishkaliat Tarikhiaa Al-Nas Al-Dinni fi Al-Khitab Al-Hadathi Al-Mua'asir (Algeria: Mashourat Al-ikhtilaf, 2012).
14. Al-Razzi, Fakher Al-Din, Al-Mahsul, ed. Taha Jabir Al-Alwani (Musassat Al-Risala, 1997)
15. Al-Razzi, Fakher Al-Din, Al-Rba'ain fi Usul Al-Din (Hyderabad: Dairat Al-ma'arf Al-Othmania, 1934)
16. Al-Senussi, Abu Abdullah, Sharh Sugra Al-Sugrah (Amman: Dar Al-Nur Al-Mubeen, 2014.

17. Al-Senussi, Muhammad bin Yusuf, Sharh Al-Akida Al-wusta, ed. Mohammed Yusuf Idris (Amman: Alaslin li Al-Dirasat wa Al-Nashir, 2017).
18. Al Sherwani, Muhammad Amin, Sharh Qauaid Al-Aqaid li Al-imam Al-Gazali, ed. Zakariah Jabli (Alaslin li Al-Dirasat wa Al-Nashir, 2016).
19. Al-Taftazani, S'ad Al-Din Masoud bin Omar, Sharh Al-Makasid (Pakistan: Dar Al-Ma'arif Al-Numania, 1981).
20. Arkoun, Muhammad, Kadaia fi Naqid Al-Aqil Al-Dinni, trans.Hashim Salih (Beirut: Dar Al-Taliaa, 1998)
21. Awad, Ramses, Mulhidon Muhadithon Muasiron (Beirut: Muasasat Alaintishar Al-Arabi, 1998).
22. Fouda, Saeed, Maqalat Naqdiay fi alhadathat wal-ilmaniati (Beirut:Dar Al-Zakhair, 2015).
23. Fouda, Saeed, Tafnid al-usus aleamalia Lil-ilhad (Kuwait: Dar Al-Diaa, 2014).
24. Judge Abd al-Jabbar, Imad al-Din Abi al-Hasan, Sharh Al-'usul Al-Khamsa, ed.Abd AlKarim Othman (Cairo: Maktabat Wahba, 2010).
25. Hanafi, Hasan, min Al-Aqida ila Al-Thoura (Beirut: Al-Markaz Al-Thakafi Al-Arabi, 1988)
26. Hanafi, Hasan, Al-Turath wa Al-Tajdid (Matba'at Al-Inglo Misria, 1987).
27. Victor John Stinger, Allah Alfardiat Alfashila, trans. Kamal Tahir.

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 16.05.2023 | Accepted: 27.11.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10280026 0009-0006-4500-7443

الرد على علي منصور الكيالي من خلال كتب التفسير اللغوي للقرآن "دراسة تحليلية نقدية"

Linguistic Interpretation Of Ali Mansour Kayali "Critical Analytical Study"

أسامة محمد نوري الديرشوي*

Usama DERŞEVİ

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل ما قام به علي منصور الكيالي من تفسير بعض الآيات القرآنية من خلال إلقاء الضوء على الناحية اللغوية من تفسيره للآيات، وتقييم ذلك ضمن المناهج العلمية المعتمدة لدى العلماء في تفسير القرآن الكريم، وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي، وكان مما توصل إليه الباحث أن الكيالي لم يراع في منهجه ما اتفق عليه علماء المسلمين من شروط التفسير، ولم يتقيد بقواعد اللغة العربية، بل يدعو إلى تغيير قواعدها، ويفسر كلام السابقين على غير معناه، وكان يأخذ ببعض الأقوال الضعيفة الواردة في بعض التفاسير، ولا ينسبها إلى مصادرها بل يذكرها وكأنها من أفكاره.

الكلمات المفتاحية: الكيالي، التفسير اللغوي، شروط التفسير.

Abstract: This research aims to study and analyze the interpretation of some Quranic verses by Ali Mansour Al-Kayyali by shedding light on the linguistic aspect of his interpretation of the verses, and evaluating that within the scientific approaches adopted by scholars in the interpretation of the Holy Quran. And what the researcher reached was that Al-Kayyali did not take into account in his methodology what Muslim scholars agreed upon regarding the conditions of interpretation, and he did not adhere to the rules of the Arabic language, but rather calls for changing its rules, and interprets the words of the predecessors according to the rules he changed, and he used to take some weak

* Iğdır University, Faculty of Ilahiyat, Department of Arabic Language and Rhetoric. Iğdır, Turkey. ORCID:0009-0006-4500-7443| E-Mail: moafaqnor@gmail.com

sayings contained in some Interpretations, and he does not attribute them to their sources, but mentions them as if they were his ideas.

Keywords: Kayyali, linguistic interpretation, conditions of interpretation

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله عز وجل أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تشريعه، ومنهجه الذي هو القرآن الكريم؛ ليدّل الناس الطريق القويم، والسلوك المستقيم الذي يجب عليهم أن يسلكوه، لينالوا خيريّ الدنيا والآخرة، فبين الرسول عليه الصلاة والسلام لمن حوله معاني بعض الآيات، التي احتاجت إلى توضيح، بينما القسم الأكبر من الآيات كانت واضحة للصحابة لا تحتاج إلى تفسير؛ لأنهم كانوا عربا أقحاحاً فصحاء بلغاء، ولكن الأمر لم يكن كذلك لمن خلفهم من العرب ناهيك عن العجم، لذا احتاج الأمر إلى من يبين ويوضح معاني كثير من الآيات, فانبرى له من كان مؤهلاً لذلك من الصحابة، وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والتابعين ومن بعدهم إلى عصرنا الحاضر، وسيكون كذلك في المستقبل، وقد أذن الله تعالى بذلك في قوله ﴿وَلَورَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أو لِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، النساء:(٨٣). وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل:(٤٣).

لذا فالميدان واسع، والباب مفتوح للعلماء في الغوص في بحر القرآن، وإخراج دره وكنوزه، ولا ضير في ذلك، بل هو أمر مطلوب في كل عصر بما يخدم حاجته.

ولكن من المسلَّم به أن الأمر ليس مفتوحاً لكل أحد، بل لمن توفرت فيه شروط معينة، حتى لا يتحول تفسير القرآن إلى عبث، وحتى لا يخرج إلى ما لا يرضاه الله تعالى.

وظهر في هذا العصر عدد من الأشخاص الذين يتنأو لون بعض الآيات القرآنية بالتفسير، منهم محمد علي منصور الكيالي، وقد انتشرت محاضراته على مواقع التواصل وتابعها الملايين، وأصبحت آراؤه في كثير من الأحيان موضوع المجالس.

وقد وافقه كثير من الناس وقالوا بما يقول، بينما اعترض عليه آخرون ببرامج ومحاضرات، على مواقع التواصل، يبين كل واحد منهم رأيه في مقولاته، فأردت أن أبحث في بعض تفسيراته وآراءه التي اعتمد فيها على اللغة، وأقارنها بما عند المفسرين الآخرين.

إشكالية الدراسة

انتشرت آراء علي الكيالي، وأقواله بين الناس بكثرة، وازداد متابعيه على وسائل التواصل الحديثة، دون أن يُعرف بشكل منهجي وعلمي صوابَ ما يذهبُ إليه أو خطؤه، مع مخالفته أحياناً لما ورد في كثير من كتب ومصادر التفسير المعتمدة لدى أهل هذا التخصص، فجاء البحث لمعرفة القيمة العلمية لآراءه في تفسير القرآن الكريم، ومعرفة المنهج الذي سلكه فيما يقول.

أهداف الدراسة

لهذه الدراسة عدة أهداف أهمها:

. بيان القيمة العلمية لما ذهب إليه الكيالي من تفسير.

. بيان المنهج الذي يتبعه في تفسيراته.

ـ سد النقص الموجود في هذا الجانب من عدم تنأو ل الموضوع في دراسة علمية منهجية.

أهمية الموضوع

تأتي أهمية الموضوع لتعلقه بتفسير كتاب الله تعالى، ولا شك في أهمية ذلك لكل مسلم، سواء كان التفسير صحيحاً أم غير صحيح، فإن كان صحيحاً فلكي يعمل به، وإن كان غير صحيح فلكي يبين زيفه.

حدود البحث

يقتصر البحث على مناقشة ما ذهب إليه الكيالي في أقوالة من الناحية اللغوية فقط، ومقابلة أقواله مع أقوال المفسرين وعلماء اللغة العربية، دون التطرق إلى نواحي التفسير الأخرى.

منهج الدراسة

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، في تنأو ل هذا الموضوع، من خلال تتبع محاضرات الكيالي وبرامجه في بعض قنوات التلفزة، ومواقع التواصل على النت، وقابلت أقواله مع أقوال المفسرين وعلماء اللغة العربية.

الدراسات السابقة

رغم بحثي الكثير عن طريق وسائل التواصل لم أعثر على دراسات سابقة تتبع المنهج العلمي، يتناول التفسير اللغوي عند محمد علي منصور الكيالي، سوى برامج وحلقات لبعض الباحثين الذين يتناولون بعض تفسيراته من مختلف النواحي ومنها الناحية اللغوية، كحلقات باسم (جوهر الدين) و(قرار إزالة)، وبعض المقالات التي تتناول جزئية معينة من تفسيراته، أو يتناوله بإجمال واختصار، وما أريده هو البحث في الجانب اللغوي من تفسيراته، التي يعتمد فيها على اللسان العربي.

فروض الدراسة

يفترض الباحث أن الكيالي لا يتبع قواعد اللغة في تفسيراته.

تقسيم البحث

تم تقسيم البحث إلى مبحثين، وكل مبحث يتضمن عدة مطالب كما يلي:

المبحث الأول : التفسير اللغوي شروطه وضوابطه:

المطلب الأول : التعريف بعلي منصور الكيالي.

المطلب الثاني: تعريف التفسير اللغوي

المطلب الثالث: ضابط التفسير اللغوي عند عامة المفسرين.

المطلب الرابع: ضوابط التفسير اللغوي عند علي منصور الكيالي

المبحث الثاني: نماذج من تفسيرات علي منصور الكيالي اللغوية مقارنة مع تفسيرات المفسرين السابقين

المطلب الأول : نماذج من تفسيرات الكيالي اللغوية

المطلب الثاني: تفسير تلك الآيات والكلمات عند بعض المفسرين السابقين

المطلب الثالث: المناقشة والترجيح

الخاتمة والنتائج

المبحث الأول : التفسير اللغوي شروطه وضوابطه:

المطلب الأول : التعريف بعلي منصور الكيالي.

هو مهندس وباحث إسلامي سوري، من مواليد مدينة حلب ٣١ آذار من عام ١٩٥٣، حاصل على شهادة في الفيزياء عام ١٩٧٥. من ثم التحق بكلية الهندسة المعمارية في جامعة حلب، وتخرج منها سنة ١٩٧٩م. عمل بمجال تدريس الرياضيات والفيزياء خلال فترة دراسته بكلية العمارة. وبعد تخرجه أدار العديد من المشاريع الهندسية، كذلك عمل كمستشار هندسي في دائرة أملاك اليهو د في مدينته حلب من عام ١٩٨٣م حتى عام ٢٠٠٣م. ثم تسلم منصب رئيس قسم الأشغال الهندسية في قيادة شرطة محافظة حلب، كما قدم العديد من المشاريع لوزارة الداخلية في سوريا. مع بداية العقد الثالث من عمر كيالي بدأ يميل للعلوم الإسلامية، وألف العديد من الكتب المتعمقة بمجال الدين والعلم مثل كتاب نهاية العالم وما بعدها، وكتاب فصل الزمان والمكان من كتب القرآن علم وبيان. كما نشر كيالي العديد من المقالات في المجلات والصحف السورية، إضافة إلى المحاضرات الدينية التي حأو ل من خلالها تمرير أفكاره و تأملاته الدينية معتمدًا على العلم في تفسير القرآن الكريم. سببت آرائه جدلًا كبيرًا في العالم الإسلامي، ما عرضه للانتقاد من قبل الكثير من علماء الدين الإسلامي وبعض الملحدين[١].

[١] https://mhtwyat.com

المطلب الثاني: تعريف التفسير اللغوي

التفسير اللغوي: ينقسم إلى كلمتين هما: التفسير واللغة، ولكل من الكلمتين معنى لغوي في حالة كونه مفرداً ومعنى اصطلاحياً، ثم الكلمتين لهما معنى آخر عند التركيب معاً، ونبدأ بتعريف التفسير كونه يعرف **لغة بـ:**

الإيضاح والتبيين ومنه قوله تعالى: في سورة الفرقان: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً}[٢].

وجاء في كتاب البرهان: " التَّفْسِيرُ فِي اللُّغَةِ: فَهو رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَى الْإِظْهَارِ وَالْكَشْفِ[٣]

والتفسير في **الاصطلاح**: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.[٤]

وعرفه الدكتور نورالدين عتر بـ«علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه»[٥].

وأما كلمة اللغة فتعرف بأنها: ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.[٦]

وفي القاموس المحيط: اللُّغَةُ: أصْواتٌ يُعَبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغْراضِهِم[٧]

ويعرفها ابن جني في الخصائص "حد اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم من أغراضهم"[٨].

وهكذا نرى أن التعاريف تطابقت، والمستفاد منها أن اللغة هي ما اصطلح وتوافق عليه قوم أو جماعة من البشر فيما بينهم على بعض الأصوات للدلالة على بعض المعاني. فاللغة سماعية تؤخذ من أصحابها على

---

[٢] الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط ٣، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ج ٢ / ص ٣.

[٣] الزركشي محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت، ج ٢ / ص ١٤٧.

[٤] الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج ٢ / ص ٣.

[٥] عتر نور الدين محمد، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ،ج ١ / ص ٧٢.

[٦] الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ج ١ / ص١٩٢.

[٧] الفيروزآبادى مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ٨، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت - لبنان ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ١ / ص ١٣٣١.

[٨] بن جني أبوالفتح عثمان الموصلي، الخصائص، ط ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ١، ص ٣٤.

ما هي عليه، ولا يصح أن نخطئهم، أو نغير استعمالهم بصرف معاني كلماتهم إلى معاني أخرى لأمر طرأ في عصرنا، ومن ثم نفهم كلامهم على مقتضى التغيير الذي أحدثناه.

لذا فاللغة أشبه بقصة تاريخية أو هي نقل تاريخي يوصف على ما هو عليه، ولا يمكننا أن نغير الأشخاص أو الأحداث على حسب أهو ائنا وأمزجتنا.

التفسير اللغوي اصطلاحاً:

هذا المصطلح بهذا التعبير جديد وإن كان قديماً من حيث المعنى فقد جاء تعريفه في كتاب علوم القرآن للدكتور نورالدين عتر بأنه:" التفسير الذي تعرفه العرب بلغاتها: فهو ما يرجع إلى اللسان العربي من اللغة والإعراب وعلوم العربية."[٩]

وعرفه الدكتور مساعد الطيار بأنه " بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب" ويقصد بـ ما ورد في لغة العرب: ".... هو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب، وبهذا النوع من البيان يخرج ما عداه من أنواع البيان: كالبيان الكائن بأسباب النزول وقصص الآي، أو غيرها مما ليس طريق معرفته اللغة "[١٠].

المطلب الثالث: ضابط التفسير اللغوي عند عامة المفسرين.

قبل الخوض في ضوابط التفسير لا بد من معرفة الشروط التي وضعها المفسرون لمن يريد تفسير القرآن الكريم، إذ لا يستطيع كل أحد أن يفسره، لأنه ككل العلوم والمعارف يتطلب مواصفات خاصة ومواهب محددة لمن يتناوله، وسنبين هنا بعض هذه الشروط.

فما هي شروط المفسر؟

على من أراد تفسير كتاب الله تعالى أن يتقن مجموعة من العلوم، وهي على الإجمال:

١ – علم اللغة. ٢– علم النحووالصرف والاشتقاق. ٣ – علوم البلاغة. ٤ – علم القراءات.

٥ – علم أصول الدين. ٦ – أصول الفقه. ٧ – الأحاديث المبينة للتفسير، مثل أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، أو ما فيه بيان لتفسير المجمل أو المبهم...٨ – علم القصص. ٩ – علم الموهبة، وهو علم

[٩] عتر نور الدين محمد، علوم القرآن الكريم، ج ١ / ص ٧٣.

[١٠] الطيار مساعد سليمان بن ناصر، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ج ١، ص ٣٨.

يورثه الله لمن عمل بما علم، كما ورد في الحديث وقد اختلف العلماء في سرد هذه العلوم إسهابا وإيجازا. ١٠ – الإلمام بمسلّمات العلوم الحديثة [١١].

وأو صل السيوطي رحمه الله تعالى العلوم الواجب أن يتحلى بها المفسر إلى خمسة عشر علماً.

القواعد التي اتبعها المفسرون في تفسير القرآن الكريم.

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين قال تعالى: (بلسان عربي مبين) وقال تعالى (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) فالقرآن عربي، وعلى من يبحث فيه وينظر فيه أن يجعل هذه الحقيقة ماثلة أمام عينيه، فلا يجأو ز كلام العرب في دلالة الألفاظ واستعمالهم، ولا قواعدهم وأساليبهم التي اتبعوها في تنظيم كلامهم، وقد حذر العلماء على مر العصور من الخوض في تفسير القرآن بدون التمكن في اللغة العربية وقواعدها وأساليبها فقد قال الإمام مالك رحمه الله تعالى:" لا أو تى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً. وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب [١٢]".

وقد ورد عن الصحابة أن العلم باللغة شرط أساسي للتفسير، كابن عباس رضي الله عنه فقد قال عن التفسير: " التفسير على أربعة أو جه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره " فالتفسير الذي تعرفه العرب من كلامها هو : ما يرجع إلى اللسان العربي من اللغة والإعراب وعلوم العربية[١٣].

ويمكن إجمال هذه القواعد بما يلي:

١ . القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فيجب في تفسيره حمله على أفصح لغات العرب وقد قرر ذلك شيخ المفسرين ابن جرير الطبري بقوله: " تأو يل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب دون غيره "[١٤].

[١١] عتر نورالدين محمد، علوم القرآن الكريم، ٨٧ . ٨٨.

[١٢] الزركشي محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٢.

[١٣] المصدر السابق، ج ٢ ص ١٦٤.

[١٤] الطبري محمد بن جرير بن يزيد أبوجعفر، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأو يل آي القرآن تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، ج ٥ ص ٣١٩.

وقال أيضاً: " وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل في الناس أو لى من توجيهها إلى الخفي القليل في الاستعمال"[١٥]

٢ ـ أن يحمل اللفظ على ما كانوا يستعملونه من معاني في زمن الوحي.

٣ ـ إذا احتمل اللفظ معان عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حُمِلَ عليها.[١٦]

٤ ـ قد يتجاذب اللفظة الواحدة المعنى والإعراب, فيتمسك بصحة المعنى ويؤول لصحته الإعراب.

٥ ـ كل معنى مستنبط من القرآن غير جارٍ على اللسان العربي, فليس من علوم القرآن في شيء.

٦ ـ لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب على اصطلاح حادث.

٧ ـ القرآن عربي, فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها.[١٧]

٨ ـ على المفسر أن يبحث عن مراد الله من خلال الدلالة اللفظية، إذ لا يمكنه أن يكشف مراد الله إلا عن طريق الدلالة اللفظية،..... **وأحياناً قد تقوده الدلالة اللفظية إلى معاني لا يمكن أن تكون من مراد الله لوجود أدلة وقرائن ومرجحات تؤكد بطلان هذا الاستنتاج وبخاصة إذا اصطدم هذا التفسير بمقاصد ثابتة للشريعة مستفادة من أدلة قاطعة**، وهنا يبرز دور المفسر، في توجيه الدلالة اللفظية لكي تنسجم مع التوجيهات القرآنية العامة....، فالقرآن متكامل في توجيهاته يؤكد بعضه البعض الآخر، وإذا ظهر التنافر والتباين بين آية وأخرى فهذا التنافر دال على قصور في التفسير ووقوف عند حدود الألفاظ، والألفاظ متعددة المعاني والمعنى الأدق والأصح في تفسير الآية هو المعنى الذي يحقق ذلك التلاؤم والتكامل بين الآيات القرآنية .[١٨]

٩ – تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي.

١٠ – تقديم المعنى العرفي على المعنى اللغوي.

---

[١٥] المصدر السابق ج ٥ ص ٣١١.

[١٦] النعيم عبير بنت عبد الله، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره، ط دار التدمرية ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥م، ص ٨١٦.

[١٧] السبت خالد بن عثمان، مختصر في قواعد التفسير ط دار ابن القيم– دار ابن عفان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥–،ج ١ / ص ٧.

[١٨] النبهان محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن – حلب، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ص ٦٩.

١١ – عدم القول بالترادف ما أمكن، فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد.[١٩]

المطلب الرابع: ضوابط التفسير اللغوي عند علي منصور الكيالي

توصلت في بحثي إلى أن الكيالي يتبع منهجاً خاصاً به، ولا يتبع السابقين، وقد وضحت منهجه في النقاط التالية:

١ . شروط المفسر عند الكيالي:

يُفهم من كلامه أنه يشترط فيمن يفسر كتاب الله:

١ . أن يكون عنده علم باللغة، ولكن ليس شرطاً أن تكون اللغة الأصلية للعرب، بل الاستعمال المعاصر للغة له أهمية كبيرة في التفسير، ويستشهد باستعمال بعض الكلمات الآن، ويرجح بها معنى على معنى آخر في التفسير.

٢ . وأيضاً حسب ما يُفهم من كلامه أنه يشترط في المفسر الاطلاع على العلوم العصرية والمستجدات والأبحاث العلمية حتى يفسر القرآن على الوجه الذي يجعله يأخذ مكانه ودوره في المجتمع والحياة، وهذا قوله ولكن لم استطع التأكد من اتباعه لذلك في تفسيراته.

٣ . يقول: يشترط في المفسر أن يتبع المنهج التحليلي الموضوعي للآيات، والاستنباط على وفق ذلك.

٤ . يقول: يجب النظر إلى القرآن نظرة شمولية من أجل فهم معاني كلماته، لأن القرآن الكريم وحدة متكاملة، نسيج وحده، كما يقول.

٥ . ليس هناك ترادف بين كلمات القرآن لذلك عندما يكون هناك أدنى تغيير في الكلمة فيبحث عن معنى جديد لها مغاير.

[١٩] مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، ج ١ / ص ٢٩٩.

٦ ـ الاعتماد على السنة والأحاديث في فهم آي القرآن الكريم، ولكن ليس كل الأحاديث بل في كثير من الأحيان يرفض الأحاديث الصحيحة، لأنه يشترط بأن تكون تلك الأحاديث منطقية حسب تصوره، وموافقة للعقل، وإلا فإنه يصفها بأنها موضوعة أو مدلسة وهو لا يقبلها حينئذ[٢٠].

منهجه وطريقته في التفسير اللغوي:

ليس للكيالي منهجاً محدداً في استعمال اللغة في تفسير القرآن الكريم، غير أنه يظهر من كلامه أنه غير راض عن التقيد بالرجوع إلى المعاجم اللغوية لمعرفة معنى كلمات الآي، بل يذهب إلى أهمية البحث عن المعنى الصحيح للآية والذي يخدم المجتمع ـ حسب رأيه ـ ويكون واقعياً، وإن اقتضى ذلك مخالفة قواعد اللغة، واستعمالات العرب، بل يدعو إلى تغيير تلك القواعد! وقد تبين لي بعض النقاط التي توضح منهجه وموقفه من الاعتماد على اللغة في ذلك، وسأذكرها من غير مناقشة، في هذا المطلب، وهي:

١ ـ يقر بالرجوع إلى اللغة في تفسيره لبعض الآيات، بل يبين أحياناً أنه يسعى وراء معرفة استعمال العرب لبعض الكلمات ويبذل جهداً ووقتاً كبيرين حتى يصل إلى ذلك؛ ليصل إلى المعاني المناسبة للآيات حسب تصوره، كما يقول في بحثه عن معنى كلمة (العقود) في قوله تعالى:(أوفوا بالعقود).

٢ ـ لا يتقيد بقواعد **الترجيح** اللغوية المعروفة عند العرب، والتي وضَّحها علماء العربية والتفسير، بل يذهب إلى ما يراه مناسباً من معاني وإن كان سبيل ذلك الاعتماد على المعنى المرجوح للكلمة عند المفسرين وأهل اللغة مثاله كلمة (الجمل) في قوله تعالى: (حتى يلج الجمل في سم الخياط).

٣ ـ لا يتقيد **بقواعد النحو واستعمالات العرب**، ويقوم بتوجيه بعض الكلمات، وإعطاء تفسيرات وأسباب لحركة بعضها وتشكيلها، بما لا يتوافق مع الموجود والثابت في القرآن الكريم، مثل كلمة (لا الشمس) وأيضاً (واستبقا الباب) إذ يقول بضرورة النطق بالألف فيها.

٤ ـ لا يرى بأساً في ادعاء **وجود أخطاء في تشكيل بعض الكلمات في القرآن**. ويدعو إلى تصحيحها كما في كلمة (رَّبما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) الحجر فيقول: إن هذا خطأ، أي وجود الشدة في أو ل الكلمة، يقول بأن مكانها هو الباء وليس حرف الراء.

---

[٢٠] تم الحصول على هذه المعلومات من خلال مقدمة برنامج الكيالي (القرآن علم وبيان)، وكذلك من خلال تتبع كلامه في محاضرات عديدة على اليوتيوب.

٥ . يوجه كلاماً لأهل اللغة عندما يريدون تفسير القرآن، يقول: " أيها السادة علماء اللغة إن القرآن الكريم نسيج وحده، فلا تقحم قواعدك التي من تأليف البشر على كتاب الله، لن يركب معك الموضوع نهائياً، اترك القرآن جانباً، نسيج وحده، وإذا أردت أن تأخذ قواعدك من القرآن فلا بأس، أما أن تفرض قواعدك على القرآن وتقول ما بعد إذا زائدة، فهذه هي كارثة، نكرر القرآن كتاب الله نسيج وحده، فأبعد قواعدكم عنه ولا تقحموها فيه " [٢١].

هذا ما توصلت إليه من خلال تتبع كلامه، فيما يتعلق بمنهجه في التفسير اللغوي، وقد تبين لنا كيف أنه يظهر الرجوع إلى اللغة العربية الأصلية في تفسير الآيات، ولكنه رغم ذلك لا يتقيد باللغة، ويخالفها أحياناً.

المبحث الثاني: نماذج من تفسيرات علي منصور الكيالي اللغوية مقارنة مع تفسيرات المفسرين السابقين

المطلب الأول نماذج من تفسيرات الكيالي اللغوية

هناك الكثير من الآيات التي فسرها الكيالي لغوياً، وقد اخترنا منها أمثلة متنوعة، تبين طريقته في التفسير، ومنها:

أولاً: مثال لما تفرد به من معاني الكلمات وخالف بها الوارد عن العرب:

كما في تفسير معنى كلمة (العقود) من الآية الأولى في سورة المائدة: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أوفوا **بِالْعُقُودِ** أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) [المائدة/١]

قال في تفسير كلمة العقود: ".... أحياناً في اللغة نقول أن العقد هو : العقد بين طرفين عقد زواج، عقد شركة، عقد شراكة، فما هي علاقة أن نوفي بالعقود كي تحل لنا بهيمة الأنعام؟ هذا تساؤل".

ويتابع القول: " في الواقع إذا تعمقنا في لغة القبائل، بقبيلة هذيل نجد هذا المعنى الرائع لهذه الآية الكريمة، تقول: عَقَدَ عُنق الدابة، هيأها للذبح الحلال،.... ولذلك يسمى عِقد المرأة لأن له علاقة برقبة الإنسان، فالعِقد والعقود كأن الله سبحانه وتعالى يقول.... يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . [ويشير بيده

[٢١] الكيالي علي منصور، يوتيوب، حلقة بعنوان التحدي: الإجابة عن سؤالين من الأسئلة السبعة، بتاريخ، ٤/ ٣ / ٢٠٢٠م.

إلى رقبته ليعبر عن الذبح] أحلت لكم بهيمة الأنعام، لم توفوا بالعقود فإن بهيمة الأنعام هي حرام. إذاً بدأت [السورة] لتبين ماذا يعني أنواع اللحوم الحلال، لذلك نجد في الآية الثالثة (حرمت عليكم الميتة...)"[٢٢].وقال في منتدى جريدة الجزائرية:

" أخذت مني سنة وشهرين، أركب السيارة وأطلع للبادية السورية، وأنام بالخيمة، بدي أعرف لغة القبائل، مصطلح القبائل ..... حتى قبيلة هذيل العربية سكان مكة يقولون ما يلي: عقد عنق الدابة: هيأها للذبح الحلال، إذاً يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود على الشريعة الإسلامية، أحلت لكم بهيمة الأنعام "[٢٣].

ثانياً: تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ **الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ [الأعراف/٤٠].

قال: لوكان الجمل هو البعير، ليس هناك أي علاقة بين البعير وثقب الإبرة، والقرآن الكريم لا يعطي أمثلة في القرآن إلا أن يكون المثال متوازناً، أما أن يأتي بالبعير ليدخله في ثقب الإبرة هذا غير منسجم منطقياً، الحيوان المعروف سماه القرآن الكريم (بعير) ففي سورة يوسف (ونزداد كيل بعير) والبعير إذا هو الحيوان المعروف.

أيضاً الجمل حسب لغة القبائل العربية القديمة والأصلية هو : **حبل السفينة الغليظ**،الذي تشد به السفينة إلى المرفأ، إذاً هنا أصبح المعنى منسجماً.

وجمع بعير إبل، قال تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) الغاشية، أما جمع جمل فـ جمالة...

إذاً جمع جمل جمالة، جمع بعير: إبل، فالجمل معناه أي الحبل الغليظ الذي تشد به السفينة وليس الحيوان المعروف "[٢٤].

[٢٢] الكيالي علي منصور، يوتيوب، برنامج القرآن علم وبيان، تفسير سورة المائدة، ٢٤/ يناير / ٢٠١٧م

[٢٣] الكيالي على منصور، يوتيوب، منتدى جريدة الحوار، محاضرة بعنوان: المداخلة الكاملة، ٩/ ٣/ ٢٠١٩م.

[٢٤] الكيالي على منصور، يوتيوب، برنامج القرآن علم وبيان، تلفزيون دبي، السر وراء قوله تعالى: حتى يلج الجمل في سم الخياط، ٨ يونيو ٢٠٢٠م.

الثالث: تفسير: (الله الصمد)

ما ذا يعني الله الصمد، يقول: " الرسول أعطى تفسيراً علمياً مذهلاً. سأل الصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام عن معنى الله الصمد فقال:" **الذي لا جوف له** "، كلام في منتهى الإعجاز العلمي، نسمي الحجر الصمادي الأملس الذي ليس فيه فراغات، أي أن الله بنوره الكريم نور على نور على نور بكثافة مائة في المائة، الله بنوره الكريم قد ملأ كل الكون وكل الفراغات بين خيطي الطاقة، لم يترك أي مجال حتى بين خيطي طاقة إلا ملأه بنوره الكريم، من الناقص لا نهاية إلى الزائد لا نهاية، ولم يترك فراغ بين خيطي طاقة إلى إله آخر ليدخل ويتصرف، **الله الصمد مسيطر حتى بين خيوط الطاقة** من هنا جاءت في سورة النور (نور على نور)"[٢٥].

الرابع: تفسيره لمعنى قوله تعالى (مرقوم) من قوله (كتاب مرقوم).

يقول.... (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم) أي: كتاب يعمل بالنظام الرقمي ديجيتال بالصوت والصورة، ليس إنقاصاً من قدر المفسرين السابقين، يا أخي ما فهمَ كتابٌ مرقوم، لأنه ما كان عندهم نظام ديجتال صفر واحد، الخوارزميات، لكن حالياً علينا أن نفهم هذا الموضوع...."[٢٦]

الخامس: الانثى خلقت قبل الذكر عنده. يقول الكيالي: "هل تعلموا أن الأنثى خلقت قبل الذكر؟ كلهم قالوا خلقت من ضلع أعوج، من ضلع آدم، يا أخي هذا الكلام وارد قبل ميتين سنة، لكن حالياً إذا الله أخذ ضلع من آدم تيخلق منوأنثى عوجاء، يا خي يوجد أشعة إكس عند السادة أطباء الصدرية يا خي صور صدرك، وصدر الأنثى بأشعة إكس، فإذا الذكر عندوضلع ناقص نحن معكم، ياخي هالحكي تكذبوا قبل ميتين سنة، ما تكذبوا هلا، الله نقص ضلع من الرجل حتى يخلق منه أنثى، فرجيني الضلع الناقص على أشعة إكس.

ويتابع القول:... آيتين واضحتين تماماً تماماً... الآية ١٨٩ من سورة الأعراف قال: (خلقكم) ما قال: خلقكن (خلقكم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها ليسكن إليها)، مين إلي خُلق قبل؟ اسألوا طالب صف سادس..... (خلقكم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها ليسكن إليها) ما قال لتسكن إليه.

[٢٥] الكيالي علي منصور، يوتيوب، فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الفيزياء في القرآن الكريم، ١٤ اكتوبر ٢٠٢٠م.

[٢٦] الكيالي علي منصور، يوتيوب، منصة ريتينغ، ومضات رمضانية، كيف سنرى أعمالنا يوم القيامة، ٣٠إبريل ٢٠٢٢م.

الآية الثانية من سورة الزمر، نفس المقدمة (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) أرأيتم هذا الكلام طبعاً قد يقول: الزوج يطلق على الذكر والأنثى، نعم لكن كمل الآية في سورة الأعراف...(فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً) مشي الحال معك وإلا نعيد لك إياها، لا تقول لي الزوج يطلق على الذكر والأنثى، الكلام واضح فالأنثى خلقت قبل الذكر وكفانا موضوع الضلع الأعوج، والضلع الناقص.... الله خلق الأنثى كاملة مكتملة، والذكر خلق كاملاً مكتملاً "[٢٧].

السادس: تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أو لَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)٧٧ آل عمران

يقول في حلقة خاصة ببيان أصناف أهل النار: " الصنف الثلاثون: بائعوا الإيمان. ثم تلا الآية (إن الذين يشترون....)[٢٨]... ثم رد على منتقدية على قراءته، أن القراء عندهم أخطاء كارثية وكثيرة، لأو ل مرة في التاريخ يُنبه عليها وهي قراءة آية (واستبقا الباب)الآية ٢٥ من سورة يوسف، والآية ٤٠ من سورة يس (لا الشمس) فأشار إلى أن القُراء يقرؤونها بحذف الألف وهي بالألف، وقال إن هذا خطأ إذ يحول المثنى إلى مفرد، وقال هي تشبيه بـ (إن أو ل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) قال: حوَّل القارئ (واستبقا الباب ولا الشمس) حولها إلى لام التوكيد الثقيلة نتيجة أخطاؤ"...

ثم قال: " نتيجة أبحاثي ومن خلال الاستنباط في القرآن الكريم وجدت إحدى القراءات السبع وهي الأفضل، أن تقرأ (بإيمانهم) [بالكسر] وليس (أيمانهم)،" "... يعني إذا انسان حلف ولويمين كاذبة بيكون بيشتري ثمناً قليلاً؟!!، لك منطق الآية أن تقرأ بإيمانهم، لماذا؟ بسبب إيمانويشتري ثمناً قليلاً، بس موواللهِ أيمانهم لأنه حلف "[٢٩]

[٢٧] الكيالي علي منصور، يوتيوب، منصة ريتينغ، أسئلة يجيب عليها علي منصور الكيالي،الأنثى خلقت قبل الذكر، ٣١مارس ٢٠٢٢م.

[٢٨] الكيالي علي منصور، يوتيوب، برنامج القرآن علم وبيان الحلقة ٢٣، ٢٢/ ٢ / ٢٠١٣م.

[٢٩] الكيالي علي منصور، يوتيوب، حلقة بعنوان إلى المنتقدين / قراء القرآن الصحيحة، ١٢ / ١١ / ١٠١٩م.

المطلب الثاني: تفسير تلك الآيات والكلمات عند بعض المفسرين السابقين

أولاً: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، أحلت لكم بهيمة الأنعام..)

بينت كل التفاسير القديمة والحديثة أن المقصود بالعقود هي العهود والمواثيق سواء كانت بين الناس وبين الله وهو عقد الإيمان،أو بين الناس بعضهم البعض، فقد جاء في كتاب صفوة التفاسير في تفسير الآية السابقة:

" {يَا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ أوفواْ بالعقود} الخطاب بلفظ الإيمان للتكريم... أوفوا بالعقود وهو لفظ يشمل كل عقدٍ وعهد بين الإنسان وربه وبين الإنسان والإنسان قال ابن عباس: العقود العهود وهي ما أحلَّ الله وما حرّم وما فرض في القرآن كله من التكاليف والأحكام"[٣٠]

وأما بشأن مناسبة أو ل الآية لما بعدها فقد جاء في بعض التفاسير: أن أو ل السورة أي: أوفوا بالعقود، جاء عنواناً للسورة ليمهد المؤمنين لاستماع ما بعدها من التشريعات والأوامر، لأن السورة قد جمعت أكثر من تسعة عشر تشريعاً لم تأت في السور الأخرى ما ذكره القرطبي، فجاء الحث على الإيفاء بالعقود، وخاصة عقد المؤمنين مع الله تعالى. ثم ذكر بعد ذلك تحليل بهيمة الأنعام، ووجهه أن الله عز وجل سيذكر أحكاماً فيها تحريم لبعض ما كان في الجاهلية، وفيه مشقة على النفس ؛ فمهد لذلك بتذكيرهم بالشيء الكثير الذي أحل لهم، حتى يسهل عليهم الأمر، وهذا من براعة الاستهلال، فجملة أوفوا بالعقود جاءت مقدمة للسورة ككل، وجملة أحلت لكم بهيمة الأنعام جاء كمقدمة لما بعدها ترويضاً للنفس على ما سيكلفون به من تحريم لبعض أمر الجاهلية. جاء في تفسير التحرير والتنوير:

"..... أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ تَفْصِيلٌ لِمُجْمَلِ قَوْلِهِ: أوفوا بِالْعُقُودِ..."

ويتابع القول فيقول: " وَالْقَوْلُ عِنْدِي أَنَّ جُمْلَةَ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ تَمْهِيدٌ لِمَا سَيَرِدُ بَعْدَهَا مِنَ الْمَنْهِيَّاتِ: كَقَوْلِهِ: غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَقَوْلِهِ: وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى [الْمَائِدَة: ٢] الَّتِي هِيَ مِنْ عُقُودِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ **فَكَانَ الِابْتِدَاءُ بِذِكْرِ بَعْضِ الْمُبَاحِ امْتِنَانًا وَتَأْنِيسًا لِلْمُسْلِمِينَ، لِيَتَلَقَّوُا التَّكَالِيفَ بِنُفُوسٍ مُطْمَئِنَّةٍ** "[٣١].

وجاء في تفسير مفاتيح الغيب في تفسير هذه الآية ومناسبتها لما بعدهما ما يلي:

[٣٠] الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧، ج١ ص ٣٠٠

[٣١] ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ط الدار التونسية للنشر – تونس،التاريخ، ١٩٨٤ هـ ج٦ ص ٧٧ .

(أحلت لكم بهيمة الأنعام): " اعلم أنه تعالى لما قرر بالآية الأولى على جميع المكلفين أنه يلزمهم الانقياد لجميع تكاليف الله تعالى وذلك **كالأصل الكلي والقاعدة الجميلة** شرع بعد ذلك في ذكر التكاليف المفصلة فبدأ بذكر ما يحل وما يحرم من المطعومات فقال أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ"[٣٢]

فهذه بعض التفاسير التي ورد فيها بيان معنى العقود، وبيان وجه المناسبة بين أو ل السورة وما بعدها، بل قد ورد الإجماع على أن المراد بالعقود هو العهود والمواثيق.

ثانياً: تفسير قوله تعالى: {وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}.

جاء في تفسير ابن كثير في معنى هذه الآية أن المقصود بالجمل، هو البعير، وقد ذكر ذلك عن الصحابة كابن مسعود وابن عباس وجمع من التابعين كالحسن البصري وأبوالعالية والضحاك فقال:

"وَقَوْلُهُ: {وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} هَكَذَا قَرَأَهُ الْجُمْهورُ، وَفَسَّرُوهُ بِأَنَّهُ الْبَعِيرُ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هو الْجَمَلُ ابْنُ النَّاقَةِ. وَفِي رِوَايَةٍ: زَوْجُ النَّاقَةِ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: حَتَّى يُدْخَلَ الْبَعِيرُ فِي خُرْق الْإِبْرَةِ. وَكَذَا قَالَ أَبُوالْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ. وَكَذَا رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، والعَوْفِي عَنِ ابْنِ عباس. "[٣٣].

وقد أو رد ابن كثير أن هناك قولاً عن ابن عباس في تفسير الجمل، بالجُمَّل، وهو الحبل الغليظ الذي تشد به السفن، فقال:

"وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا: " [حَتَّى] يَلِجَ الجُمَّل فِي سَمِّ الْخِيَاطِ" بِضَمِّ الْجِيمِ، وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ، يَعْنِي: الْحَبْلُ الْغَلِيظُ فِي خُرْمِ الْإِبْرَةِ.

وَهَذَا اخْتِيَارُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَرَأَ: "حَتَّى يَلِجَ الجُمَّل" يَعْنِي: قُلُوس السُّفُنِ، وَهِيَ الْحِبَالُ الْغِلَاظُ"[٣٤]

وفي تفسير التحرير والتنوير في تفسير الآية:

---

[٣٢] الرازي محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، ط٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ج١١، ص ٢٧٧.

[٣٣] ابن كثير أبوالفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم،تحقيق سامي بن محمد سلامة،ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، ج٣، ص٤١٤.

[٣٤] المصدر السابق، ج٣ ص ٤١٥.

" حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ فَقَدْ جَعَلَ لِانْتِفَاءِ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ امْتِدَادًا مُسْتَمِرًّا، إِذْ جَعَلَ غَايَتَهُ شَيْئًا مُسْتَحِيلًا، وَهو أَنْ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، أَيْ لَوكَانَتْ لِانْتِفَاءِ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ غَايَةٌ لَكَانَتْ غَايَتُهُ وُلُوجَ الْجَمَلِ- وَهو الْبَعِيرُ- فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، وَهو أَمْرٌ لَا يَكُونُ أَبَدًا.

وَالْجَمَلُ: الْبَعِيرُ الْمَعْرُوفُ لِلْعَرَبِ، ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ لِأَنَّهُ أَشْهَرُ الْأَجْسَامِ فِي الضَّخَامَةِ فِي عُرْفِ الْعَرَبِ. وَالْخِيَاطُ هو الْمِخْيَطُ- بِكَسْرِ الْمِيمِ- آلَةُ الْخِيَاطَةِ الْمُسَمَّى بِالْإِبْرَةِ....

وَالسَّمُّ: الْخَرْتُ الَّذِي فِي الْإِبْرَةِ يُدْخَلُ فِيهِ خَيْطُ الْخَائِطِ، وَهو ثُقْبٌ ضَيِّقٌ،... وَالْقُرْآنُ أَحَالَ عَلَى مَا هو مَعْرُوفٌ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ حَقِيقَةِ الْجَمَلِ وَحَقِيقَةِ الْخِيَاطِ، لِيُعْلَمَ أَنَّ دُخُولَ الْجَمَلِ فِي خَرْتِ الْإِبْرَةِ مُحَالٌ مُتَعَذِّرٌ مَا دَامَا عَلَى حَالَيْهِمَا الْمُتَعَارَفَيْنِ"[٣٥]. وكذلك في صفوة التفاسير، في تفسير الآية:"[٣٦]

ثالثاً: وفي تفسير قوله تعالى (الله الصمد):

جاء في التفاسير عن معنى قوله تعالى (الله الصمد):

" اللَّهُ الصَّمَدُ فَقَالُوا: وَمَا الصَّمَدُ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَصْمُدُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ فِي الْحَوَائِجِ"[٣٧] وجاء أيضاً في تفسير الرازي " ذَكَرُوا فِي تَفْسِيرِ الصَّمَدُ وَجْهَيْنِ الْأَولُ: أَنَّهُ فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ صَمَدَ إِلَيْهِ إِذَا قَصَدَهُ، وَهو السَّيِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، قَالَ الشاعر:

أَلَا بَكِّرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ... بِعَمْرِوبْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ "[٣٨]

" وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الصَّمَدَ هو الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: لِسِدَادِ الْقَارُورَةِ الصِّمَادُ، وَشَيْءٌ مُصْمَدٌ أَيْ صُلْبٌ لَيْسَ فِيهِ رَخَاوَةٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ: الدَّالُ فِيهِ مُبْدَلَةٌ مِنَ التَّاءِ وَهو الْمُصْمَتُ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ: الصَّمَدُ هو الْأَمْلَسُ مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْغُبَارَ وَلَا يَدْخُلُهُ شَيْءٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ اسْتَدَلَّ قَوْمٌ مِنْ جُهَّالِ الْمُشَبِّهَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي أَنَّهُ تَعَالَى جِسْمٌ، وَهَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ كونه أحدا ينافي جِسْمًا فَمُقَدِّمَةُ هَذَا الْآيَةِ [أي: الله أحد] دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ

---

[٣٥] ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨ ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

[٣٦] الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، ج١ ص ٤١٣.

[٣٧] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج ٣٢ / ص ٣٥٧، تفسير البيضأو ي = أنوار التنزيل وأسرار التأو يل، ج ٥ / ص ٣٤٧.

[٣٨] المصدر السابق، (ج ٣٢ / ص ٣٦١ـ٣٦٢)

الْمُرَادُ مِنَ الصَّمَدِ هَذَا الْمَعْنَى، وَلِأَنَّ الصَّمَدَ بِهَذَا التَّفْسِيرِ صِفَةُ الْأَجْسَامِ الْمُتَضَاغِطَةِ وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، فَإِذَنْ يَجِبُ أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى مَجَازِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجِسْمَ الَّذِي يَكُونُ كَذَلِكَ يَكُونُ عَدِيمَ الِانْفِعَالِ وَالتَّأَثُّرِ عَنِ الْغَيْرِ وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ وَاجِبًا لِذَاتِهِ مُمْتَنِعَ التَّغَيُّرِ فِي وُجُودِهِ وَبَقَائِهِ وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ،..."[٣٩]

رابعاً: تفسير قوله تعالى: (كتاب مرقوم).

وجاء في تفسير الرازي في معنى الآية: " مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: كِتابٌ مَرْقُومٌ؟ قُلْنَا فِيهِ وُجُوهٌ: أَحَدُهَا: مَرْقُومٌ أَيْ مَكْتُوبَةٌ أَعْمَالُهُمْ فِيهِ وَثَانِيهَا: قَالَ قَتَادَةُ: رُقِمَ لَهُمْ بِسُوءٍ أَيْ كُتِبَ لَهُمْ بِإِيجَابِ النَّارِ وَثَالِثُهَا: قَالَ الْقَفَّالُ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ الْكِتَابَ مَرْقُومًا، كَمَا يَرْقُمُ التَّاجِرُ ثَوْبَهُ عَلَامَةً لِقِيمَتِهِ، فَكَذَلِكَ كِتَابُ الْفَاجِرِ جُعِلَ مَرْقُومًا بِرَقْمٍ دَالٍّ عَلَى شَقَاوَتِهِ وَرَابِعُهَا: الْمَرْقُومُ: هَاهُنَا الْمَخْتُومُ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَهو صَحِيحٌ لِأَنَّ الْخَتْمَ عَلَامَةٌ، فَيَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى الْمَرْقُومُ مَخْتُومًا وَخَامِسُهَا: أَنَّ الْمَعْنَى كِتَابٌ مُثْبَتٌ عَلَيْهِمْ كَالرَّقْمِ فِي الثَّوْبِ لَا يَنْمَحِي "[٤٠].

وأما في تفسير القرطبي فقد جاء فيه: " (كِتابٌ مَرْقُومٌ) أَيْ مَكْتُوبٌ....وَأَصْلُ الرَّقْمِ: الْكِتَابَةُ، قَالَ: سَأَرْقُمُ فِي الْمَاءِ الْقَرَاحِ «٣» إِلَيْكُمُ... عَلَى بُعْدِكُمْ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ رَاقِمُ"[٤١].

خامساً: قَوْلُهُ تَعَالَى: (هو الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً..

أجمع المفسرون أن معنى هذه الآية: "هو الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ هو آدم. وَجَعَلَ مِنْها من جسدها من ضلع من أضلاعها، أو من جنسها كقوله: جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً. زَوْجَها حواء. لِيَسْكُنَ إِلَيْها

---

[٣٩] المصدر السابق: (ج ٣٢ / ص ٣٦٢)

[٤٠] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج ٣١ / ص ٨٧، التحرير والتنوير – (ج ٣٠ / ص ١٩٦)، الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، التاريخ ١٤١٤ هـ، ج ٥ / ص ٤٨٤). المأو ردي علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون،تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان (ج ٦ / ص ٢٢٨).

[٤١] القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٣، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م (ج ١٩ / ص ٢٥٨)

ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه، **وإنما ذكَّر الضمير ذهاباً إلى المعنى ليناسب. فَلَمَّا تَغَشَّاها أي جامعها**"[٤٢].

وأما عند القرطبي فقد ذكر أن:" (واحِدَةٍ) عَلَى تَأْنِيثِ لَفْظِ النَّفْسِ. وَلَفْظُ النَّفْسِ يُؤَنَّثُ وَإِنْ عُنِيَ بِهِ مُذَكَّرٌ. وَيَجُوزُ فِي الْكَلَامِ (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدٍ) وَهَذَا عَلَى مُرَاعَاةِ الْمَعْنَى، إِذِ الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ. وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ أَبِي عَبْلَةَ (واحد) بغير هاء...."[٤٣].

سادساً: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أو لئِكَ لاَ خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ)(٧٧).

جاء في تفسير الآية:"إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ يستبدلون. بِعَهْدِ اللَّهِ بما عاهدوا الله عَلَيْهِ من الإيمان بالرسول والوفاء بالأمانات. وَأَيْمانِهِمْ وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه، ثَمَناً قَلِيلًا متاع الدنيا. أو لئِكَ لاَ خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ بما يسرهم أو بشيء أصلاً، وأن الملائكة يسألونهم يوم القيامة، أو لا ينتفعون بكلمات الله وآياته، والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم"[٤٤]

وفي تفسير ابن كثير عن سبب نزول الآية: " الْحَدِيثُ الْخَامِسُ: قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنَا هُشَيْم، أَنْبَأَنَا الْعَوَّامُ -يَعني ابْنَ حَوْشَبَ-عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -يَعْنِي السَّكْسَكي-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أو فَى: أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً لَهُ فِي السُّوقِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطه، ليُوقع فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآية: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا} وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنِ الْعَوَّامِ"[٤٥]

وفي تفسير التحرير والتنوير، عن سبب نزولها: "فَفِي كِتَابِ الْأَيْمَانِ مِنْ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» فِي بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا [آل عمران: ٧٧] أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ:

---

[٤٢] البيضاوي ي عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ (ج ٣ / ص ٤٥)

[٤٣] القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥ / ص ٢.

[٤٤] البيضاوي ي عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢ / ص ٢٤.

[٤٥] ابن كثير أب والفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٢ / ص ٦٤.

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهو عَلَيْهِ غَضْبَانُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا الْآيَةَ"[٤٦].

المطلب الثالث: مناقشة الأدلة والترجيح.

قبل البدء بعرض الأدلة ومناقشتها، لا بد من التذكير

أولاً: بأننا نناقش الجانب اللغوي من التفسير، والمرجع للتحقق من الرأي الراجح هو لغة العرب التي بها أنزل القرآن.

ثانياً: لا بد أيضاً من التذكير بأن حقيقة اللغة هي ما اصطلح عليه قوم أو جماعة من أصوات للتعبير عن أغراضهم، كما ذكرنا في تعريف اللغة، فاللغة إخبار وسماع، وليس من قبيل العلم التجريبي الذي بإمكاننا أن نغير فيها، ثم نحكم على السابقين بأنهم مخطئون فيما كانوا يقولونه، أو يتبعونه من قواعد، أي لا نستطيع أن نغير من دلالة لفظة أو نغير من قاعدة كان السابقون قد تعارفوا عليها، فمثلا: ليس بإمكاننا أن نجعل الفاعل منصوباً والمفعول مجروراً، ولا نستطيع أن نقول أن كلمة قلم التي كانت عند العرب في السابق تطلق على آلة الكتابة، لا نستطيع أن نقول: لا. هي نوع من البضاعة التي يحويها التاجر في حانوته ليبيعها .كما هو مستعمل عندنا الآن . ثم كلما وجدنا كلمة قلم فسرناها بأنها نوع من البضاعة، وهكذا نفسر أقوال السابقين، لأن ذلك سيؤدي إلى خلل كبير وتغير جذري في معنى كلام السابقين، وبعد عن مرادهم.

إذاً ليس من العقل ولا من العلم، ولا من علامة الانفتاح والوعي أن نغير ما تعارف عليه السابقون من مصطلحات وكلمات وقواعد، ونفسر كلامهم على وفق ما غيرنا وبدلنا أو استعملنا من معاني.

ثالثاً: لا بد من التذكير بالحقيقة المسلم بها أن القرآن الكريم كلام عربي مبين، وهو على أفصح لغات العرب.

رابعاً: لا بد من الاتفاق على أن القرآن محفوظ، ونصه موثق، ولا خطأ فيه، لا من حيث كتابته، ولا من حيث لفظه، وأيضاً من حيث التشكيل والحركات، فهو أو ثق النصوص على وجه الأرض، وقد وصل إلينا بالتواتر، ولا يوجد اختلاف على كلمة أو حرف أو حركة بين جميع المسلمين على وجه الأرض، ومما يدل على ذلك أن المصاحف في جميع الأماكن لا اختلاف بينها في شيء، والمسلمون جميعاً متفقون على قراءته، فهو يتلى الآن كما كان يتلى من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو اعتقاد كل مسلم.

[٤٦] ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١ / ص ٤٨.

هذه الأمور لا بد من الاتفاق عليها قبل عرض أدلة كل فريق ومناقشتها، حتى يكون هناك وصول إلى نتيجة مفيدة متفق عليها.

مناقشة المثال الأول : وهو تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام...)

فقد قال الكيالي في تفسير معنى أوفوا بالعقود أن معناه هو : تهيئة عنق الدابة للذبح، وادعى بأن ذلك في لغة قبيلة هذيل العربية المعروفة في التاريخ.

ثم استدل على كلامه وما توصل إليه من معنى، بالآية الثالثة من سورة المائدة (حرمت عليكم الميتة...) فقد قال من هذه الآية نعلم أن السورة بدأت ببيان ما يحل من اللحوم وما يحرم، لذا حسب ما ذهب إليه يجب تفسير أوفوا بالعقود بما ذهب إليه وإلا لم تكن الآية منطقية، إذ ما علاقة العقود بتحليل بهيمة الأنعام؟.

فدليله باختصار، أن قبيلة هذيل تستخدم العقود للعنق وأن المقصود تهيئة الدابة للذبح، وأنه لا انسجام بين العقود التي هي العهود وبين بيان حل أكل اللحوم، وأن سياق الآيات وما يتبعها يدل على ذلك.

قول المفسرين في كتب التفاسير في معنى الآية:

ذهب جميع المفسرين من وقت الصحابة إلى العصر الحديث إلى أن المقصود بالعقود هو: لفظ يشمل كل عقدٍ وعهد بين الإنسان وربه وبين الإنسان والإنسان، كما ورد عن ابن عباس الصحابي، ولم يختلف في هذا المعنى أحد.

وقد بين المفسرون وجه التجانس والتوافق بين الآية وما يليها، فقد قالوا كما في تفسير التحرير والتنوير: "" اعلم أنه تعالى لما قرر بالآية الأول ى على جميع المكلفين أنه يلزمهم الانقياد لجميع تكاليف الله تعالى وذلك كالأصل الكلي والقاعدة الجميلة شرع بعد ذلك في ذكر التكاليف المفصلة فبدأ بذكر ما يحل وما يحرم من المطعومات فقال أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَة الأنْعَامِ".فنرى كيف أنهم بينوا الانسجام الكامل بين بداية الآية وما يتبعها.

وأما كتب اللغة فقد ورد فيها ما ذهب إليه كل أهل التفسير في معنى العقد والعقود، فقد جاء في كتاب لسان العرب: " والعَقْد: الْعَهْدُ، وَالْجَمْعُ عُقود، وَهِيَ أو كد العهود. وَيُقَالُ: عَهِدْتُ إِلى فلانٍ فِي كَذَا

وَكَذَا، وتأو يله أَلزمته ذَلِكَ، فإِذا قُلْتَ: عَاقَدْتُهُ أو عَقَدْتُ عَلَيْهِ فتأو يله أَنك أَلزمته ذَلِكَ بِاسْتِيثَاقٍ. وَالْمُعَاقَدَةُ: الْمُعَاهَدَةُ. وَعَاقَدَهُ: عهده. وَتَعَاقَدَ الْقَوْمُ: تَعَاهَدُوا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أوفوا بِالْعُقُودِ"[٤٧].

وبعد عرض أدلة الطرفين، نجد أن الكيالي لم يستند إلى دليل موثق لما قاله من استعمال هذيل لكلمة العقود، ولم يبين لنا كيف اطلع على كلامهم وهو في البادية السورية، مع أن هذيل من سكان مكة المكرمة كما يقول. ثم إن من المسَلم به أن كلام العرب بعد سنة مئة وخمسين من الهجرة غير معتبر في الاستدلال به لاختلاطهم بالعجم، فكيف بأهل هذا الزمان الذين كثرت فيهم العجمة حتى أصبح لا يستقيم لهم إلا القليل من الكلام.

وأيضاً وجه المناسبة بين بداية السورة واضح حسب ما ذهب إليه المفسرون، وهو افتتاح السورة بالأمر بإيفاء العقود والعهود التي أبرموها وخاصة عهدهم مع الله تعالى بالإيمان، لأن السورة فيها الكثير من الأوامر الجديدة التي فيها كلفة فيتم تذكيرهم بوجوب المحافظة على المواثيق، ثم قبل البدء بتوضيح تلك الأوامر يبين لهم ما تفضل به عليهم وهو تحليل بهيمة الأنعام، وذلك استئناساً لقلوبهم وترويضاً لها ثم شرع في بيان تلك الأحكام والأوامر.

وأما بشأن كون التفسير منطقي أو غير منطقي، فإن هذا ليس بحجة، إذا ما يكون غير موافق لعقل إنسان قد يكون موافقاً ومنسجماً عند غيره كما بينا هنا في هذه السورة.

وهكذا يتبين لنا أن ما ذهب إليه الكيالي لا يستند إلى دليل معتبر، ويجعل ما قاله اجتهاداً منه، ولا يمكن الركون إليه، وخاصة بعد معارضته لكل علماء التفسير من وقت الصحابة إلى الآن.

ثانياً: مناقشة تفسير الكيالي لآية:

(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ [الأعراف/٤٠].

يقول الكيالي: ليس هناك أي علاقة بين البعير وثقب الإبرة، فالمقصود من كلمة الجمل هو الحبل الغليظ الذي تشد به السفن وهو لغة القبائل العربية الأصلية، وأيضاً يرى أن مما يدفعه لقول هذا القول، أن القرآن الكريم يعطي دائماً أمثلة متوازنة، وهذا غير متوازن، ويقول بأن تفسير الجمل بالبعير غير منسجم منطقياً.

[٤٧] ابن منظور محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ط٣ دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ، ج ٣، ص ٢٩٧.

ثم يذهب للقول بأن جمع: بعير: إبل، وجمع جمل: جمالة، وهو الحبل الغليظ. وقد أو ردنا قول جمهور المفسرين من الصحابة ومن بعدهم بأن المقصود من الجمل هو الحيوان المعروف، أي البعير، وهو الذي اتفقت عليه القراءات العشر[٤٨].

أما الادعاء بكون المثال متوازناً أو منطقياً أو غير ذلك فلا يكون حجة، لأن ما يراه أحد الناس غير منسجم قد يكون منسجماً عند غيره، وخاصة إذا اطلع على سبب وجيه كما هنا، فقد بين المفسرون أن سبب قولهم بأنه البعير هو اللغة العربية المستعملة والدارجة عندهم أو لاً، ثم إن الجمل ألصق وأقرب إلى بيئة العرب من حبل السفينة، ومما أظهروه من وجه المناسبة أن الآية وردت لبيان استحالة دخول الكافر الجنة فضربت مثلا بأعظم شيء عند العرب وهو الجمل، وأصغرها وهو خرم الإبرة، فربطت دخوله بدخول أعظم شيء بأصغر شيء، فالآية منطقية ومنسجمة، حسب ما يراه جمهور المفسرين.

وأيضاً مما يقوي ما ذهب إليه جمهور المفسرين: أن الحبل الغليظ يقال له (جُمَّل) بضم الجيم وتشديد الميم مع فتحها، لا (جَمَل) بفتح الجيم والميم مع التخفيف من غير شدة، وهذا هو ما عليه القراء جميعاً أي القراء العشر مع رواتهم. وهم عشرون . وبعد مراجعتي كتب القراءات فالكل يقرأ جَمَل وليس جُمَّل [٤٩].

وأما ما ورد عن ابن عباس وسعيد بن جبير التابعي أنه قرأ بها وفسرها بأنها الحبل الغليظ فهي قراءة ضعيفة تخالف ما صح عن ابن عباس، لذا، ليس معها ما يقويها ويقدمها على غيرها.

ثم إن قول الكيالي إن جمع بعير إبل، مما لم يقل به أحد من العرب بل جمع بعير هو كما في كتاب لسان العرب:

"البَعيرُ: الجَمَل البازِلُ، وَالْجَمْعُ أَبْعِرَةٌ فِي الْجَمْعِ الأَقل، وأَباعِرُ وأَباعيرُ وبُعْرانٌ وبِعْرانٌ."[٥٠]، وهكذا نرى أن جمع بعير أبعرة وأباعر وأباعير وبعران، كما ورد عن العرب، ولم يرد أن جمع بعير هو الإبل.

وأما بالنسبة للجمل وجمعه، فإن جمع الجمل، الذي هو الحيوان المعروف هو جِمال أجْمال وجِمالات، يقصد به زوج الناقة، هذا ما ورد في المعاجم اللغوية. قال في كتاب الصحاح في اللغة: " الجَمَلُ من الإبل.

[٤٨] المعصراوي محمد عيسى، مصحف التجويد وبهامشه القراءات العشر، ط دار المعرفة، دمشق ٢٢ / ٤/ ٢٠٠٧م.ص ١٥٥

[٤٩] المصدر السابق، ص ١٥٥.

[٥٠] ابن منظور محمد بن مكرم بن على، لسان العرب ، ج ٤، ص ٧١.

قال الفراء: الجَمَلُ: زوج الناقة، والجمع جِمالٌ وأَجْمالٌ وجِمالاتٌ وجَمائِلُ"[٥١]. فنرى أن الجمل له صيغ عدة للجمع، وهو الحيوان المعروف.

وأما ما ورد بضم أو له مع تشديد أوسطه أو تخفيفها، فقد ورد أنه الحبل الغليظ كما في كتاب لسان العرب: " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الجُمَّل، بِالتَّثْقِيلِ وَالتَّخْفِيفِ أَيضاً، فأَما الجُمَل، بِالتَّخْفِيفِ، فَهو الحَبْل الْغَلِيظُ، وَكَذَلِكَ الجُمَّل، مُشَدَّدٌ"[٥٢]. ولكن لا يمكن اعتماد هذا التفسير وتقويته لأن صيغته مخالفة لما تواتر من القراءات، ومن هؤلاء ابن عباس نفسه الذي ورد عنه بغير الصيغة المعروفة، فيقدم الوارد القوي الصحيح على الضعيف.

ثالثاً: تفسير قوله تعالى (الله الصمد):

قال الكيالي بأن تفسير الصمد أي: الذي لا جوف له، وقد ذكر أن في ذلك حديثاً عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وكذلك استشهد باستعمال الناس في وقتنا الحاضر لجملة صمادي في حجر صمادي، أي الحجر الأملس الذي ليس فيه فراغات، وبين أن الله ملأ بنوره كل الكون حتى بين خيوط الطاقة، وقال بأنه مسيطر لم يدع مجالاً لآلهة أخرى للتصرف في الكون.

وأما عند باقي المفسرين ومنهم الرازي فإن الراجح أن معنى الصمد هو الذي يحتاج إليه كل شيء وهو لا يحتاج إلى شيء وقد أو ردنا قوله: " مِنْ صَمَدَ إِلَيْهِ إِذَا قَصَدَهُ، وَهو السَّيِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، قَالَ الشاعر:

أَلَا بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ... بِعَمْرِوبْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ "

فنراه قد استشهد باستعمال العرب للكلمة بهذا المعنى وذكر هذا البيت من الشعر، وجاء في المعاجم اللغوية ما يفيد ذلك ففي الصحاح: " وصَمَدَهُ يَصْمُدُه صَمْداً، أي قَصَدَهُ. والصَمَدُ: السيِّدُ، لأنّه يُصْمَدُ إليه في الحوائجِ. قال:

عَلَوْتُهُ بحُسام ثُمَّ قلت له... خُذْها حُذَيْفُ فَأَنْتَ السَيِّدُ الصَمَدُ

[٥١] الجوهري أبونصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطارط٤ دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ج ٤ / ص ١٦٦١.

[٥٢] ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ج ١١ / ص ١٢٣

وبيتٌ مُصَمَّدٌ بالتشديد، أي مقصود "[٥٣].

وقد ذكر بعض المفسرين أن للصمد معنى آخر وهو الذي لا جوف له، ولكن نبهو ا بأن الدال حينئذ تكون منقلبة عن التاء أي أن الكلمة تكون الصمت، أو مصمت، وقد نبه الإمام الرازي إلى أن ذلك من صفات المخلوقين، أي ذكر الجوف، وبين أن أو ل السورة الذي هو (الله أحد) يناقض ذلك لأن تفسيرها الذي يكون واحد في كل شيء، ولا يكون مركباً ولا مؤلفاً من أجزاء، لذا استبعد هذا المعنى، وقال بأنه لا يستقيم إلا بضرب من المجاز، وهو أن يقال بأن المقصود به أنه الذي لا يتغير.

وهكذا نرى أن ما قاله الكيالي ذكره المفسرون، ولكن لم يرجحوه، ونرى أن الذهاب إلى هذا المعنى ترك للرأي القوي الراجح، ولأن فيه قلب لآخر الكلمة من حرف التاء إلى الدال، وأيضاً فيه مناقضة لأول الآية أي: الله أحد، أو ذهاب إلى المجاز البعيد مع إمكان الحمل على الحقيقة، وهو مخالف لقواعد أهل اللغة والتفسير: بأن الأصل في الكلام الحقيقة، ولا يصار إلى المجاز إلا لضرورة، وهو عدم صلاحية حمل الكلام الحقيقة.

الرابع: مناقشة تفسيره لقوله تعالى: (كتاب مرقوم).

يقول الكيالي في تفسير قوله تعالى: (كتاب مرقوم) أي كتاب يعمل بالنظام الرقمي، ديجتال، صوت وصورة، ويقول بأن المفسرين السابقين لم يعلموا ذلك لأن العلم لم يكن متقدماً عندهم، وقال فيما ذكرناه سابقاً: " لأنه ما كان عندهم نظام ديجتال صفر واحد، الخوارزميات، لكن حالياً علينا أن نفهم هذا الموضوع ".

وأما المفسرون السابقون فذكروا فيها أقوالاً كما ذكرنا، منها أنها بمعنى مكتوب أو مختوم أو مثبت، والكل اعتمد على اللغة واستعمال العرب لهذه الكلمة، وقد بينا كيف أنهم استشهدوا بقول شاعر على أن أصل الرقم هو الكتابة والبيت هو:

سَأَرْقُمُ فِي الْمَاءِ الْقَرَاحِ إِلَيْكُمُ... عَلَى بُعْدِكُمْ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ رَاقِمُ.

ولم يقل أحد بأن معنى كلمة ما في القرآن الكريم أو في أي نص تُفهم على عُرف ومصطلح زمانٍ آخر، لأنه سيؤدي إلى اختلاف كبير بين المعنيين، فالمفهوم عند المخاطبين بالوحي أو لاً لهذه الكلمة هو

[٥٣] الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ج ٢ / ص ٤٩٩)

الكتابة، وما يحوم حولها، وأما أن يكون المقصود هو النظام الرقمي وأنهم جهلوا المعنى المراد، فإن هذا مما لم يقل به أحد من أهل العلم ولا هو مقبول حسب قواعد التفسير التي ذكرناها، وهي:

أولاً: لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب على اصطلاح حادث.

ثانياً: أن يحمل اللفظ على ما كانوا يستعملونه من معاني في زمن الوحي.

ثم إن اتباع هذا المبدئ قد يؤدي إلى تغيير معاني القرآن كلها، وخروجها عن معناها الذي عَلِمهُ الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة ومن تبعهم إلى الآن، لأن المصطلحات والاستعمالات اللغوية تتغير، فلنفترض أن كلمة مرقوم استعملت في زمان آخر بعد زمننا هذا بمعنى آخر، هل سيفسرون الكلمة حينئذ على فهمهم؟ أو مثلاً: لو تقدم العلم ـ وهذا وراد جداً ـ حتى يُترك النظام الرقمي، ويتبع نظام آخر أحدث، ويطلق عليه لفظ آخر، فهل سنقول إن معنى الآية غير سليم؟ أو أن نظام الكتابة في الآخرة سيكون متخلفاً وليس حديثاً حتى يتواءم مع كلمة رقمي؟!

في الواقع أن كلمة (مرقوم) كانت معروفة عند العرب وهي مشتقة من (رقم) قال في لسان العرب: " رقم: الرَّقْمُ والتَّرقيمُ: تَعْجيمُ الْكِتَابِ.[أي إزالة عجمته وإبهامه، بحيث يكون واضحاً] ورَقَمَ الْكِتَابَ يَرْقُمُهُ رَقْماً: أَعجمه وبيَّنه. وَكِتَابٌ مَرْقُوم أَي قَدْ بُيِّنتْ حُرُوفُهُ بِعَلَامَاتِهَا مِنَ التَّنْقِيطِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: كِتابٌ مَرْقُومٌ "[٥٤] فمعنى رقم معروف عند العرب، وهي للكتابة.

الخامس: مناقشة قوله أن الأنثى خلقت قبل الذكر واستشهاده بآية (هو الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً) الأعراف.

يقول الكيالي: الأنثى خلقت قبل الذكر، ولا يصح أن نقول أنها خلقت من ضلع آدم ، والدليل: أنك لو صورت صدر الذكر لوجدت أضلاعه متساوية مع أضلاع الأنثى، ولو خلقت من ضلعه لوجدنا أن أضلاع الذكر أقل من أضلاع الأنثى، الواقع غير ذلك.

واستدل أيضاً بالضمير المؤنث في كلمة (واحدة) الراجع للنفس، وضمير (منها) أيضا الراجع لمؤنث، وضمير (زوجها) كذلك فكلها راجعة إلى النفس، فيعني ذلك حسب رأيه أن المقصود بالنفس الأنثى، فهي

[٥٤] ابن منظور محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٤٨.

خلقت أو لاً، ومما يقوي هذا الرأي ـ برأيه ـ التذكيرُ في كلمة (ليسكن) أي ليسكن الزوج المخلوق من الأنثى إلى الأنثى.

وأما المفسرين: فقد أجمعوا على أن المقصود بالنفس هي آدم، وأن التأنيث في الكلمات السابقة جائز في اللغة العربية، لأن كلمة نفس تؤنث وتذكر وقد أنثها الله تعالى، وعندما حصلت الحاجة إلى التذكير، ذكَّر وقال (ليسكن إليها) لأن بعدها (فلما تغشاها) وهو كناية عن الجماع، فاستلزم الأمر التذكير.

وما يقوله المفسرون من المعلوم بديهة في اللغة العربية، أي إرجاع الضمير إلى المؤنث المعنوي مؤنثاً أو مذكراً.

ومما يقوي رأي المفسرين أن هناك آيات أخرى تبين صحة ما ذهب إليه جمهور المفسرين منها قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الرُّومِ:٢١]، فالآية تخاطب الذكر بـ (خلق لكم)، (من أنفسكم) من نفس الذكر(أزواجاً) أي الأنثى (لتسكنوا إليها) أي لتسكنوا أنتم جماعة الذكور إليهن , الضمير راجع إلى أزواج. وكما هو معلوم في اللغة أن الزوج يطلق على الذكر والأنثى، فهذه الآية تزيل إشكال تأنيث الضمائر في الآية السابقة، الذي هو جائز في لغة العرب عند تحقق شرطه.

وأيضاً الآية الأخرى في سورة الحجر(وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ: إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ [٢٨- ٢٩] الحجر) وقال:

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) }

فالآيتين تبينان أن آدم خلق من صلصال وليس من الأنثى، وأن الله أمر الملائكة بالسجود له فور خلقه، وأن الملائكة أطاعوه مباشرة بعد الخلق، والدليل على ذلك هو (حرف الفاء) في: فقعوا، و(فسجد الملائكة) فإنها تدل على الفورية من غير تراخ، والآية واضحة بأن آدم هو أو ل من خلق من البشر.

وهكذا تبين أن ما دفع الكيالي للذهاب إلى ما ذهب إليه ومخالفته للمفسرين جميعاً أو لهم وآخرهم هو استشكال وجود الضمير المؤنث العائد إلى النفس، وعدم معرفته بجواز جعله مذكراً أو مؤنثاً.

وكذلك عندما لم يدرك سر تغيير الضمير من التأنيث إلى التذكير عندما لزم الأمر، وهو من فنون البلاغة، ولم ينتبه للآيات السابقة ذهب إلى ما ذهب إليه.

السادسة: قراءته وتفسيره لقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أو لَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) آل عمران.

فقد قرأ الكيالي كلمة (أيمانهم) قرأها بالكسر أي (بإيمانهم)، وعلى حسب ما قرأ فسر الآية، فقال إنهم بائعوا الإيمان، وعندما نُبه إلى خطئه، أصر على أن ما قاله صحيح، وقال بأنه يعلم القراءات كلها، وأن هناك قراءة تقول (بإيمانهم) بالكسر، وأنها الأقوى.

والمفسرون والقراء مجمعون على أن الكلمة (بأيمانهم) بالفتح وليس (بإيمانهم)، ويقولون إن المقصود بها اليمين والحلف، أي من يقتطع حق إنسان مسلم بيمين كاذبة يتوعده الله تعالى بأنه لا ينظر إليه يوم القيامة.

وقد قمت بمراجعة المصاحف والقراءات العشر فلم أجد أحداً منهم قال (إيمانهم) بل الكل متفقون على أن الكلمة بالفتح، وبالتالي فإن المقصود بها هو الحلف واليمين، وأن ما ادعاه الكيالي لم يكن صحيحاً.

اقتصرت على مناقشة هذه التفسيرات، وهي كافية في تحقق المقصود.

الخاتمة ونتائج البحث:

وفي نهاية البحث أذكر النتائج التي توصلت إليها في خلال البحث:

- التفسير والنظر في كتاب الله تعالى أمر مشروع، حث عليه العلماء قديماً وحديثاً، ولكن لا بد لمن يتصدر لهذا الأمر أن يتمتع بالمؤهلات التي تساعده على ذلك.
- سار علي منصور الكيالي في تفسيراته على منهج غريب وخاص وضعه من عنده، ولم يراع ما اتفق عليه علماء المسلمين من شروط التفسير.
- لم يتقيد الكيالي بقواعد اللغة العربية، بل يدعو إلى تغيير قواعدها، وتفسير كلام السابقين على ما يغيره من قواعد، ولا شك أن هذا بعد عن الصواب.
- يأخذ الكيالي ببعض الأقوال الضعيفة الواردة في بعض التفاسير، ولا ينسبها إلى مصادرها بل يذكرها وكأنها من أفكاره، ويقدمها على الأقوال القوية المؤيدة بالآيات والأحاديث الصحيحة.

المصادر والمراجع

ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ط الدار التونسية للنشر – تونس التاريخ، ١٩٨٤ هـ.

ابن كثير أبوالفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم،تحقيق سامي بن محمد سلامة،ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

ابن منظور محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ط٣ دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ،

البيضأو ي عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأو يل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ

الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

الجوهري أبونصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطارط٤ دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

الرازي محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، ط٣ دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٠ هـ.

الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط ٣، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

الزركشي محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت.

السبت خالد بن عثمان، مختصر في قواعد التفسير ط دار ابن القيم- ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥.

الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، التاريخ ١٤١٤ هـ.

الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة، القاهرة، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧.

الطبري محمد بن جرير بن يزيد أبوجعفر، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأو يل آي القرآن تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الطيار مساعد سليمان بن ناصر، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي.

الفيروزآبادي مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ٨، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت – لبنان١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٣، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م الكيالي على منصور، يوتيوب، برنامج القرآن علم وبيان، تلفزيون دبي، السر وراء قوله تعالى: حتى يلج الجمل في سم الخياط، ٨ يونيو٢٠٢٠م.

الكيالي على منصور، يوتيوب، منتدى جريدة الحوار، العنوان: المداخلة الكاملة، ٢٠١٩م

الكيالي علي منصور، يوتيوب، برنامج القرآن علم وبيان، سورة المائدة، ٢٤/ ١ / ٢٠١٧م

الكيالي علي منصور، يوتيوب، برنامج القرآن علم وبيان الحلقة ٢٣، ٢٢/ ٢ / ٢٠١٣م.

الكيالي علي منصور، يوتيوب، حلقة بعنوان التحدي: الإجابة عن سؤالين من الأسئلة السبعة، بتاريخ، ٤/ ٣ / ٢٠٢٠م.ن الكيالي لا يتورع عن نسبة الخطأ للكتابة القرآنية.

الكيالي علي منصور، يوتيوب، حلقة بعنوان إلى المنتقدين / قراء القرآن الصحيحة، ١٢ / ١١ / ١٠١٩م.

الكيالي علي منصور، يوتيوب، فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الفيزياء في القرآن الكريم، ١٤ اكتوبر ٢٠٢٠م.

الكيالي علي منصور، يوتيوب، منصة ريتينغ، أسئلة يجيب عليها علي منصور الكيالي،الأنثى خلقت قبل الذكر، ٣١مارس ٢٠٢٢م.

الكيالي علي منصور، يوتيوب، منصة ريتينغ، ومضات رمضانية، كيف سنرى أعمالنا يوم القيامة، ٣٠إبريل ٢٠٢٢م.

المأو ردي علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون،تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

المعصرأو ي محمد عيسى، مصحف التجويد وبهامشه القراءات العشر، ط دار المعرفة، دمشق ٢٢ / ٤/ ٢٠٠٧م.

النبهان محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن – حلب، ١٤٢٦ هـ –

النعيم عبير عبد الله، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره، ط دار التدمرية ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥م .

بن جني أبوالفتح عثمان الموصلي، الخصائص، ط ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عتر نور الدين محمد، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م

مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 22.06.2023 | Accepted: 04.12.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10284038 0000-0003-1301-8982

تأثير العقيدة الإسلامية في تصميم الإنشاءات المعمارية والزخرفية علي شواهد القبور بجبانة دربند بإقليم داغستان خلال القرن الثالث عشر الهجري

The Influence Of The Muslim Faith On Design Of Architectural Con-Structions in Derbend Cemetery Tombstones in Dagestan Region During The 13th Century AH

وليد علي محمد خليل * & محمد ناصر إسماعيل أبوالخير **

Walid Ali Khalil & Muhammad Naser Aboelkhier

ملخص

لم تكن العقيدة الإسلامية بمعزل عن حياة الناس علي اختلاف عقائدهم في حياتهم الدنيا أو حتى في تصميم مثواهم الأخير بعد الموت. وكان أمراً حتمياً أن يؤثر اختلاف المذاهب الدينية والعقائدية علي تصميم شواهد القبور شكلاً ومضموناً، حيث كانت مدينة دربند في العصور الوسطي تزهو بتغلل الثقافة الفارسية بين أوساط سكانها وهو ما أثر على نقل المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى السكان، ومنها استلهم الفنان المسلم في داغستان إبداعاته الفنية وتصميماته الزخرفية من أشكال أبنيتها الدينية مراقدها المقدسة وفنونها التطبيقية والتي مُثلت بطريقة إبداعية على شواهد القبور. وتُبرز تلك الدراسة دور المنشآت المعمارية الشيعية ونوعيات المراقد المقدسة الخاصة بالأولياء وملحقاتها من الفنون التطبيقية في إيران وسبب استلهام الفنان المسلم أشكالها في تصميمات وزخارف شواهد القبور، بالإضافة إلي التعرف على مضامين النقوش الكتابات الدينية والتسجيلية

* Prof. Dr. Fayoum University, Faculty of Archaeology, ORCID: 0000-0003-1301-8982 E-Mail: wam00@fayoum.edu.eg

** Asst. Fayoum University, Faculty of Archaeology, ORCID: 0000-0001-8037-0287 E-Mail: mni11@fayoum.edu.eg

الشيعيّة التي تعددت من الاستشهاد بالتوسل بالإمام الحسين و ذكر أسماء الأئمة الإثني عشرية كما يظهر في العقيدة الشيعية المخالفة لأهل السنة أو تمثيل بعض الرسوم التصويرية التي تدل علي معتنقي المذهب الشيعي في رسوم الطيور والحيوانات.

الكلمات المفتاحية: شواهد القبور، دربند، داغستان، الشيعة، فرسنة السكان.

Abstract: The Islamic faith was not isolated from the lives of people of different faiths in their worldly life or even in the design of their final resting place after death. It was inevitable that the difference of religious and ideological doctrines affected the design of tombstones in form and content, as the city of Darband in the Middle Ages boasted the penetration of Persian culture among its inhabitants, which influenced the transfer of the Ismaili Shiite doctrine to the population, from which the Muslim artist in Dagestan was inspired by his artistic creations and decorative designs from the forms of its religious buildings, its holy shrines and Applied Arts, which were represented creatively on tombstones.

This study highlights the role of Shiite architectural structures and the types of holy shrines of the Guardians and their accessories from the Applied Arts in Iran and the reason why the Muslim artist was inspired by their forms in the designs and decorations of tombstones, in addition to identifying the contents of inscriptions Shiite religious and recorded writings, which varied from quoting the supplication of Imam Hussein or mentioning the names of the Twelver imams It also appears in the Shia doctrine contrary to the Ahl al-Sunnah or representing some pictograms indicating the adherents of the Shiite doctrine in drawings of birds and animals.

Key words: Tombstones, Derbend, Dagestan, architectural constructions, Shiites, Persianization.

مقدمة:

شهدت داغستان[i] في القرن الثالث عشر الهجري موجات متتالية من دول متعددة للسيطرة عليها وبالتالي السيطرة علي طرق التجارة بين إيران والهضبة الأوراسية وتركيا وشمال بلاد البلطيق[ii]، تمثلت في روسيا القيصرية[iii]، تركيا العثمانية[iv]، والدولة الإيرانية مُتمثلة في الحكم الصفوي والقاجاري والأفشاري[v].

وبفضل وقوع داغستان علي خط التجارة بين شعوب الشمال والمسلمين في الجنوب والأتراك العثمانيين[vi] في الغرب انتعشت الأحوال الاقتصادية لمواطنيها مما أدي إلى انتقال التأثيرات الفنية منهم وإليهم، وهو الأمر الذي صاحبه انتقال التجار والمسافرين والارتحال من أراضيها إلي باكو[vii] واستراخان شمالاً [viii]، ومنها بالعودة عن طريق موانئ تاركي[ix]، باب الأبواب (دربند)[x]، باكو (آذربيجان) حتي

تصل إلى الخليج الفارسي. بالإضافة إلى الحملات العسكرية والمعارك الحربية التي دار رحاها على أراضيها بين الأتراك وإيران بدويلاتها الثلاث، وروسيا.

ذاك الموروث الفني الذي وجد أرضاً خصبة للنمو انصهرت مع التأثيرات الوافدة وكوّن طرازاً فنياً جديداً يحمل مميزات الطرز الإسلامية والإمبراطورية، فضلاً عن التعبير عن الموروث والثقافة المحلية بين الشعوب القاطنة في داغستان والتي يدين غالبيتها بالمذهب الشيعي بعد نشره علي يد نادر شاه أفشار[xi] بعد حملته علي قزوين في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي [xii].

وكان من بين التأثيرات الوافدة تصميم المنشآت المعمارية ورسوم التحف التطبيقية والتي أثرت على السمات الشكلية والعناصر الزخرفية التي حظيت بتسجيلها شواهد القبور. وبذلك نُشير إلى عمق تغلغل الثقافة الفارسية وفرسنة السكان في داغستان التي تضرب بجذورها نحو القدم منذ حكم الملك أنوشروان[xiii]. وبين أيدينا عدد من نماذج شواهد القبور التي نُقش عليها بعض رسوم الفنون التطبيقة، الأشكال الحيوانية ورسوم الطيور، فضلاً عن المضمون الكتابي الذي يضم عبارات تسجيلية تخص أصحاب المذهب الشيعي في داغستان والاستنجاد بولاية الحسين والأئمة الإثني عشرية[xiv].

تأثير العقيدة في اختيار تصاميم المنشآت الدينية الشيعية:

من خلال الدراسة الميدانية والاستكشافية لجبانة مدينة دربند وُجدت نماذج لشواهد القبور مُشكلة زخارفها علي هيئة رسوم العناصر المعمارية والكتل الزخرفية المشهورة في إيران وأردبيل. وتبدو للوهلة الأولى عمق الاتصال بين داغستان وإيران في أواصر الاتصال الثقافي والديني واللغوي المنتشر في الإقليم منذ القدم، وازداد في المنطقة منذ العصر الصفوي والإفشاري إبان الحملات العسكرية التي قام بها إسماعيل الصفوي ونادر شاه الإفشاري، وترتب علي تلك الحملات العسكرية تغيرات ثقافية ودينية ولغوية وديموغرافية في أعداد وطباع السكان وأعدادهم ومذاهبهم الدينية والفرعية.

وقد تم تصنيف شواهد القبور حسب السمات الشكلية والمضامين الكتابية والرموز التصويرية؛ فمنها ما شُكّل زخارفه على هيئة طيور مثل البجع وطائر النورس والطاووس. ووردت نماذج أخرى شُكلت زخارفها في هئيات رسوم الحيوان مثل رسوم الغزلان، ومنها ما ضم تصاميم تعبر عن قباب أولياء الصوفية والعتبات المقدسة في إيران؛ ومنها ما احتوت عبارات تسجيلية باللغة الفارسية بأسماء آئمة الشيعة الإثناعشرية؛ وأخرى شملت رسم بعض الفنون التطبيقة مثل الأباريق وأدوات الزينة التي يعلوها الديك رمز الإمامة عند الشيعة الإمامية.

هذا وتدل شواهد القبور على أهميتها في دراسة أحوال المجتمع الإسلامي وكشف جُل ظواهره السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، كما عبرت كذلك عن الموروث المحلي في أرض داغستان التي حُكمت علي مدي قرون من دويلات متعددة من الشرق والغرب، وهو ما أثر على فنونها شكلاً ومضموناً، ولم يمنع ذلك حق فنانيها من ابتكار أسلوب زخرفي وسمات فنية تكون خاصة بهم بالإضافة إلى بعض الخطوط الإسلامية مثل الخط التركي الداغستاني.

ولم يكن الاتصال الثقافي بإيران وحده سبباً فاصلاً في تنوع محتويات شواهد القبور، بل كان أيضاً للعامل الجغرافي وما نتج عنه من توزيع السكان في داغستان أثر في الاقتباس من معالم الحضارة الإسلامية وأصحاب المذهب السني في البيت الحرام والكعبة المشرفة، بالإضافة إلى بعض رسوم المعالم الإسلامية المشهورة داخل داغستان أو خارجها كإشارة إلى نوعية العتبات المقدسة وقبور الأولياء وأئمة الصوفية الصفوية الأوائل في داغستان منذ عصر إسماعيل الصفوي، والذين توطنوا في المنطقة ليكونوا حائط الصد الأول ضد الدولة العثمانية من جهة و روسيا القيصرية، ومن خلال الحملات النوعية العسكرية انتقلت الثقافة والموروث الفني والتأثير الفني والحضاري المصبوغ بالعقيدة الشيعية إلى السكان المحليين في المدينة.

ولهذا المحور من الدراسة أهمية غاية في الأهمية، ليس لكثرة التحف وشواهد القبور المشكلة على هيئة المنشآت الدينية الشيعية والمبنية علي غرار العتبات المقدسة أو مبنية على نفس الطراز المعماري والفني المنتشر في أرض فارس والممالك الشمالية المنتمية لها عقائدياً وفكرياً وتتبع نفس الثقافة وتدين بنفس الموروث الفني والحضاري. وتلعب هذه المنشآت دوراً هاماً في التاريخ الإسلامي للخانيات الإسلامية والإمارات التابعة لها في محيط بحر قزوين لكون هذه الصيغ والكتل المعمارية مُصممة علي نفس الطراز المعماري والفني والزخرفي علي غرار المباني الفارسية في إيران والشبيهة لها في النماذج الفنية في شواهد القبور، محل الدراسة.

حيث كانت تلك الكتل المعمارية أشبه بتحف معمارية مُجسمة وتبدو في هيئتها كأنها مجسم مصغر لتلك المباني الشيعية الشهيرة التي تُشير إلى عتبات الأولياء وأئمة الصوفية، فتبدو وكأنها نماذج مُصغرة لمنشآت معمارية متكاملة مجزأة لبعض العناصر المعمارية مثل القباب والهياكل البنائية الدالة على مواضع إشارات دفن آئمة الشيعة الإثناعشرية.

١/ : مجسمات مصغرة لهياكل القباب الضريحية الإيرانية:

وصلنا من هذا الهيكل البنائي نماذج مُتعددة على ألواح شواهد القبور الشيعية في دربند؛ تعدان من بواكر العناصر المعمارية ظهوراً علي شواهد القبور في داغستان خلال القرن الثالث عشر الهجري كإشارة فعلية لتوثيق جوانب التاريخ السياسي والاجتماعي في داغستان المتأثر بفعل العوامل السياسية والصراعات الحربية

بين إيران ورسيا القيصرية والتي نصت علي إبقاء داغستان تحت الحماية الروسية [xv]، ولكن الروس فضلوا تجريد السكان المحليين من كل المجاهدين والمناوئين لحكمهم وجلب سكان آخرين على المذهب الشيعي ليكونوا الحد الفاصل الطبيعي والديموغرافي بين السكان الروس ذوي العقيدة الأرثوذكسية وبين السكان العثمانيين (غرب القوقاز) علي المذهب السني وبين السكان الإيرانيين ذوي العقيدة الشيعية القاطنين على الساحل المحاذي لبحر قزوين [xvi].

ولأن مكانة العراق المقدسة وإيران عند أتباع المذهب الشيعي الإثناعشري والشيعة الإمامية افترضت وجود مثل القبور والأضرحة والمزارات الدينية والعتبات المقدسة لتكون بديلاً لهم عن الحج إلى بيت الله الحرام [xvii]، مما أدي إلي تواجد مثل تلك العناصر المعمارية والكتل البنائية التي تُشير إلى مواضع العتبات المقدسة في كربلاء والنجف [xviii]، والتي خُصصت لزيارة قوافل الحجاج الإيرانيين الراغبين في الحج إلى مواضع الأماكن المقدسة، حيث كانت تتعرض قوافل الحج في كل مرة لهجمات القبائل التركمانية التي كانت تسكن في المنطقة الواصلة بين إيران شرقاً وبين العراق غرباً، لذا كان ضم العراق للدولة الصفوية والإفشارية مطلبا شيعياً لا يُمكن التخلي عنه [xix]، وهو ما أثر في تكوين مثل تلك العناصر المعمارية التي تم تمثيلها علي شواهد القبور الداغستانية خلال القرن الثالث عشر الهجري.

ولكل من العناصر المعمارية والكتل البنائية بدن مستطيل عبارة عن عمود مستطيل يعلوه قبه مركزية بصلية وأعلاها رمز الديك، وأعلا الأبراج المستطيلة الشبيهة بالمآذن الإسلامية والشرافات الخاصة بها في إيران ويعلوها قباب نصف بصلية، وفي أسفل تلك القباب الضريحية عبارة عن درجات متدرجة تمثل إشارة لبعض درجات المراقد الجنائزية الخاصة بعتبات الأئمة والمتصوفة الصفويين في إيران.

ومن الضروري التأكيد علي أن تلك القباب تمثل إشارات إلي القباب الضريحية المنتشرة في إيرن، إلى جوارها المآذن العاتية المرتفعة والتي يعلوها أنصاف قباب بصلية وهي أشبه بتلك الموجودة أعلي القبة الضريحية المركزية. ومن الواضح أن القباب محل الدراسة، من صناعة إيرانية ربما كإشارة إلى أن شيخ الطايفة الحرفية شيعي على المذهب الإثناعشري أو ربما دلت عقيدته على الموروث الحرفي والصناعي الخاص به وحرص على تسجيله على شواهد القبور، أو غالباً ارتبط بعقيدة الشخص المتوفى والذي اعتنق الموروث الفارسي على نفس المذهب الديني (**لوحة ١–٢**).

لوحة (١) مجسم مصغر للهياكل البنائية الشيعية على غرار العتبات المقدسة الإيرانية في مشهد وكربلاء وقم. تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.	**لوحة (٢)** نحت مماثل آخر للقباب الضريحية يعلو العتبات وزوج المآذن شكل الديك. تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.	**لوحة (٣)** نحت مماثل آخر للقباب الضريحية يعلو العتبات نافذة مثلثة الشكل. تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.	**لوحة (٤)** نحت يمثل المراقد المقدسة يعلوها شكل الديك مع زوج المآذن الإيرانية المعروفة. تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.

ومن اللافت للنظر هو تعدد أنماط القباب الضريحية المعبرة عن مراقد الأئمة المقدسة في إيران والعراق وبلاد القوقاز؛ النمط الأول تم تمثيله في شكل زوج مآذن يعلوها شرافات ثنائية ثم يعلوها الجوسق الشهير في العمارة الإيرانية، وفي المنتصف عبارة عن تابوت متدرج من ثلاث درجات مُغطى بقبة بصلية يعلوها ديك أحد أشهر العلامات الرمزية في العمارة والفنون الإيرانية. النمط الثاني تم تمثيله في شكل زوج مآذن عالية مُتوجة بجوسق، وفي الأسفل تابوت متدرج يعلوه نحت الديك، ثم يعلوها طبقة أخرى من البناء تم التعبير عنها في شكل ثلاثة نوافذ ثم الطبقة الثانية عبارة عن قبة مخروطية وتتوج بشكل الديك.

النمط الثالث تم تمثيله بشكل أشبه بالأنماط السابقة لكن يُميزها اختفاء العتبات المدرجة والتي تم اخفاؤها والتعبير عنها في شكل نافذة مثلثة الشكل. في حين تم التعبير عن النمط الرابع بشكل أشبه بالأنماط السابقة لكن يميزها الجزء السفلي والذي تم التعبير عنه بشكل متزاوج متقاطع ويحتوي على أربعة نقاط، في حين تم تمثيل الجزء العلوي بنفس الهيئة الشائعة في القباب الضريحية الإيرانية (**لوحة ١-٢-٣-٤**).

ومن غير المعتاد طريقة التغطية الخاصة بالعمارة الجنائزية الإيرانية والقباب الضريحية وهي غير مألوفة بعضها في أنواع التغطيات التي شاعت في إيران إبان الفترة التاريخية المعاصرة، والتي اتخذت هيئة الشكل المخروطي أو البصلي المكون من طبقتين، وهي بذلك مشابهة لطريقة تغطية القباب الجنائزية الشائعة في إيران مثل قبة بالشيخ صفي [xx].

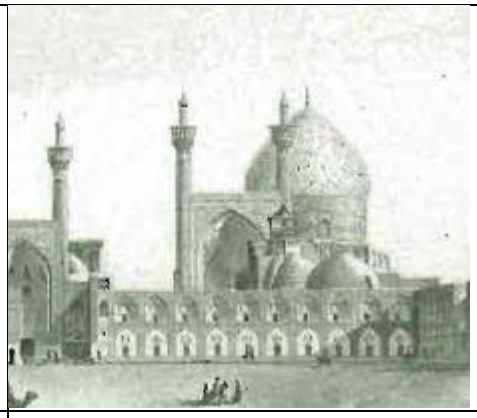

لوحة (٥) قبة مسجد الشاه في ميدان الشاه بأصفهان.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 61.

لوحة (٦) مآذن بوابة مدينة طهران في العصر القاجاري.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 40.

والحق يُقال في العلاقة الواضحة بين الشكل العام وهيئة التغطية الشائعة في العمارة الدينية والجنائزية للقباب الضريحية الإيرانية وتمثيله علي أسطح شواهد القبور بما يُعبر عن المغزى الديني والمذهبي لسكان المدينة وانتمائهم الروحي والديني لإيران منذ العصر الصفوي، والمتمثلة في القباب الضريحية والعتبات المقدسة في المساجد الصفوية في إيران في مسجد الشاه وضريح الشيخ صفي في أصفهان (**شكل ١**).

وهي مماثلة في التصميم والتفاصيل والعناصر المعمارية والكتل البنائية لتلك التي ظهرت في الشكل التالي والذي يُعبر عن تصميم قبة الشيخ صفي الموجودة بميدان الشاة في أصفهان؛ والتي تم تمثيلها بزوج من المآذن العالية ويعلوها الجواسق المكونة من ثلاثة طوابق ثم الخوذة في قمة المئذنة، وفي المنتصف بين المئذنتين تنحصر القبة الضريحية المزدوجة المكونة من طبقتين وفي الأسفل تمثيل بسيط عن التدرج الجنائزي لتابوت الدفن.

غير أنه يُمكن تأريخ الفترة الزمنية بين ظهور التصميم المعماري لقباب الشاه في إيران وعلى الخصوص في أصفهان كان يرجع إلي العصر الصفوي في عهد الشاه عباس، ولكن ظهور تلك المجسمات الصغيرة الدالة على قباب الأولياء وأئمة الصوفية الصفوية والعتبات المقدسة في دربند بإقليم داغستان راجع إلي القرن الثالث عشر الهجري، وبذلك يوجد فراغ زمني بين التصميم الأولي والمؤرخ إلى القرن العاشر الهجري.

والإجابة على ذلك أنه بعد معاهدة جولستان بين إيران وروسيا تم التنازل عن أراضي السواحل غرب بحر قزوين لصالح روسيا، والتي أبقت علي بعض السكان المحليين المنتمين إلى المذهب الشيعي في المنطقة [xxi]، بالإضافة إلي الحملات التي قامت القيصرية الروسية في تهجير السكان المسلمين الأصليين إلى مواطن أخري في سيبيريا وتركيا وبلاد البلقان، وبالتالي استعانت بإيران لتعويض الفقد في التغير الديموغرافي الناتج عن التغير السكاني في المنطقة، وبذلك توطن بعض العائلات الشيعية الجديدة في المنطقة بأمر من الروس [xxii].

ويبدو من السهل جداً ربط التشابه في الشكل العام والسمات الفنية والزخرفية في بناء الكتل المعمارية والهياكل البنائية، وهو الأمر الذي ألقى بظلاله على التأثير المتبادل بين تصميم القباب الإيرانية وبين المجسمات الشكلية الصغيرة المحفورة على ألواح شواهد القبور بنماذج مصغرة من الكتل البنائية للعتبات المقدسة، والأرجح أن زخارف ومحتوى شواهد القبور الداغستانية خلال القرن الثالث عشر الهجري متأثر تماماً بتلك النماذج التي ظهرت في إيران في العصر الصفوي وأن التأثر بينهما انتقل عبر السكان المحليين ذوي الثقافة الإيرانية والموروث الفارسي الذين توطنوا في داغستان في مطلع القرن الثالث عشر الهجري (**شكل ١-٢**).

ولا شك أن النماذج الأولى في الظهور في العمارة الإيرانية كانت تُمثل البوادر الأولى لاقتباس العناصر المعمارية والكتل البنائية علي أنماط العمارة والفنون التطبيقية اللاحقة، وهي لاشك تعود للعصر الصفوي، وبذلك تُعد شواهد القبور الداغستانية مُتأثرة بالعمارة الإيرانية الصفوية في مشهد، ويزد، وأصفهان وغيرها من المدن الإيرانية الأخرى التي انتشر فيها الموروث الفارسي بشكل كبير سواء في تصميم القباب الضريحية أو تصميم العتبات المقدسة أو قبور الأولياء والصوفية بالإضافة إلي تصميم المآذن. وهو الأمر الذي دفع للتساؤل عن إمكانية قيام بعض الفنانين الفرس والصفويين الذين تواجدوا في داغستان في أوائل القرن الثالث عشر

الهجري بتشكيل التحف الفنية علي شواهد القبور علي غرار التحف الفنية والعناصر المعمارية المعاصرة في إيران آنذاك، وهو الأمر الذي أدى إلى تشكيل تلك العناصر المعمارية علي شواهد القبور.

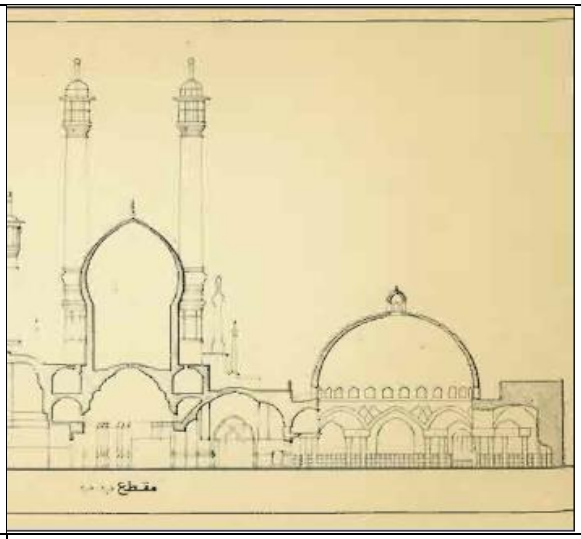

(**شكل ١**) مقطع رأسي لقبة الشيخ صفي في أصفهان.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 128.

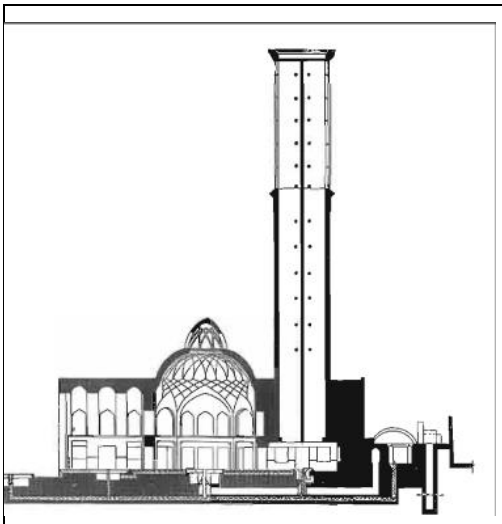

(**شكل ٢**) مقطع رأسي لمئذنة المسجد الجامع في مدينة يزد.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 205.

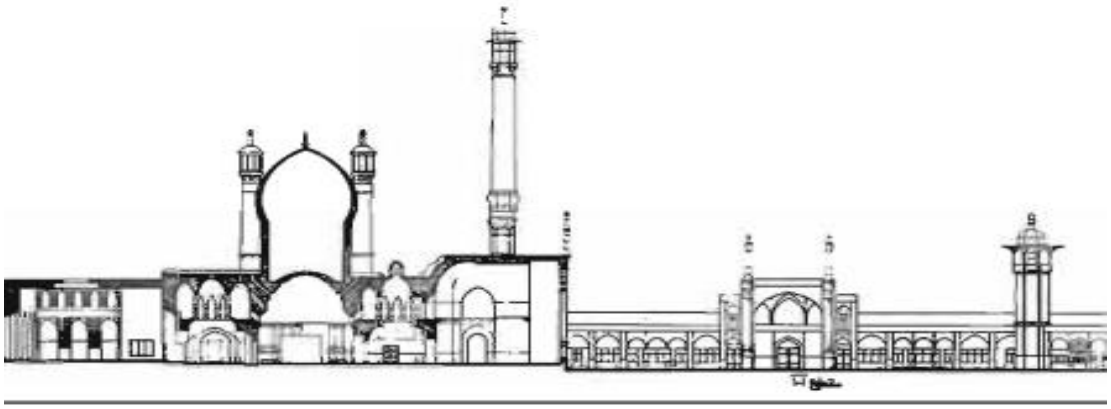

(**شكل ٣**) مقطع رأسي آخر مفصل لقبة الشيخ صفي في أصفهان.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 128.

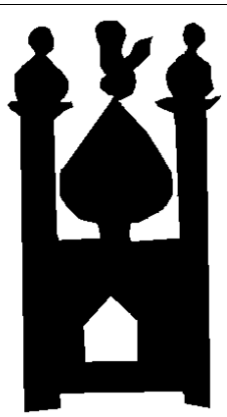	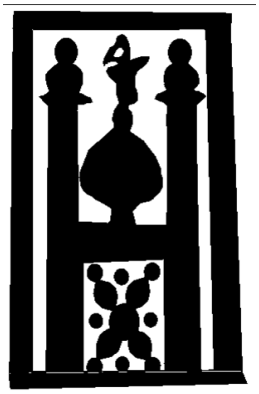
(**شكل ٤**) تفريغ شكل القبة الضريحية والمآذن. عمل الباحث.	(**شكل ٥**) تفريغ شكل آخر للقبة الضريحية والمآذن. عمل الباحث.

١/ : أشكال الشرافات المعمارية:

أصبح من الشائع في تصميم المساجد والعمائر الدينية باختلاف أنواعها وجود عنصر الشرافات المعمارية التي تتوج البناء من الأعلى فص شكل صفوف متجاورة مُتشابهة بحيث أصبحت عنصراً ملازماً لها ولا يُمكن التخلي عنها وأصبحت لها وظائف جمالية وزخرفية فيما بعد. ولم تكن الشرافات من عناصر العمارة الدينية فقط بل استُخدمت كذلك علي المباني الحربية والجهادية في أعلى الأسوار والأبراج والحصون كعنصر دفاعي لحماية سكان الحصن أو المدينة، وقد حُرص في تصميمها علي بنائها مُتقاربة لحماية المحاربين والمؤذنين علي السواء من السقوط.

وكانت الشرافات من بين أهم عناصر العمارة التي استُعملت من عصور سابقة وعلى الخصوص في العصر الساساني واستمرت في الانتشار من إيران إلي العالم العربي والإسلامي فيما بعد، وظلت في التوسع مع حكم الدول الإسلامية المتعاقبة وانتشرت على كل أنواع العمارة الحربية والدينية والمدنية، وفي المساجد أُطلق عليها مُسمى "العرائس" لأنها كانت تُشبه أشكالاً تجريدية لأناس واقفين ومتراصين إلى جوار بعضهم البعض [xxiii].

لوحة (٧)

تُوضح نمط الشرافات المدرجة علي أحد نماذج شواهد القبور.

تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.

وانتقلت بنفس الرمزية والتجريد الفني الذي ظهر على المساجد في التعبير عن كونها عبارة عن رسوم تجريدية لأشخاص واقفين إلي جوار بعضهم يتمنون الدعاء بالرحمة والمغفرة للشخص المتوفى كما ظهر في اللوحة التالية (**رقم ٧**). هذا وقد تنوعت الهيئات العامة في تصميم الشرافات المسننة على شواهد القبور التي تأثرت بالتكوين المعماري الخاص بالمساجد والقباب الضريحية في المنطقة وبكل نوعيات العمائر الدينية التي انتشرت في المنطقة منذ العصر الصفوي؛ وكان من بين نوعيات تلك الشرافات النمط المسمى بالشرافات المسننة.

١/٣: أشكال القباب المدرجة والترب:

وصلنا هيئة واحدة من نمط شواهد القبور هذا وهو أقرب إلى نمط التراكيب القبرية الأرضية بدون شاهد علوي، وهو مُصمم على نمط الترب الضريحية المدرجة والمكونة من ثلاثة طبقات يعلوها قبة جيرية منقوشة محتواها الكتابي ببعض العبارات الفارسية بخط النستعليق وهي مؤرخة بنهاية القرن الثالث عشر الهجري في مقبرة الشهداء في داغستان، وهي مُصممة على غرار الهياكل الضريحية المشهورة في إيران والخاصة بأصحاب المذهب الشيعي، وهي مُميزة في كونها يتواجد بجوار القبة الجيرية أعلى القبر بقايا أربعة هياكل جيرية كانت

تُشير في الغالب إلى هيكل مُبسط من القبة المركزية في ميدان الشاه في أصفهان بالإضافة إلى قبة ضريح مسجد الشيخ صفي وزوج المآذن الفرعية بجوار القبة المركزية (**لوحة ٨**).

لوحة (٨)
مُجسم تربة مُصممة على غرار القباب الضريحية الإيرانية.
تصوير الباحث، مقبرة دربند، نوفمبر ٢٠٢١.

لوحة (٩) منظر جوي لقبة مسجد الشاه في أصفهان.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 62.

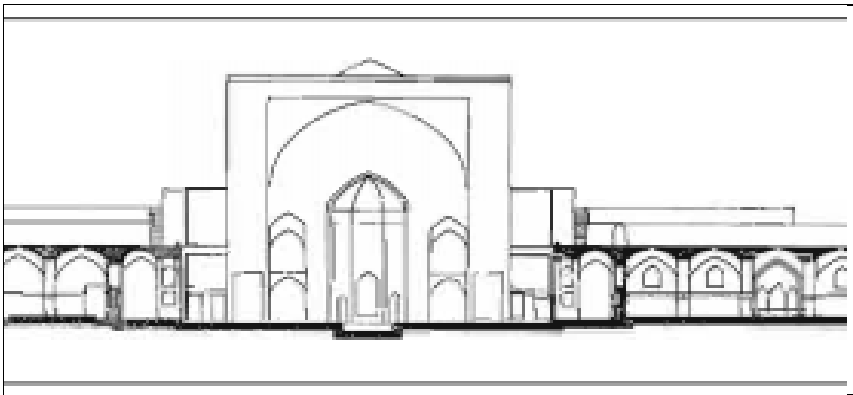

شكل (٦) قطاع رأسي بالقبة الضريحية بالمسجد الجامع بمدينة يزد.

Sh. S. Fatuh Allahayev. Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 140.

وبالنظر في تفاصيل اللوحات السابقة اتضح اتخاذ الشكل العام للتربة هيئة بعض القباب الضريحية الإيرانية الأخرى في اعتمادها على الهيكل البنائي المكون من الشكل المستطيل المدرج والذي يعلوه قبة جيرية بصلية تشبه القبة المركزية الوسطي في تخطيط مسجد الشاه ومسجد يزد الجامع، فضلاً عن بقايا المآذن الشبيهة بتلك الموجودة في اللوحة (٩) في الجوانب الأربعة.

علاوة على هذا فقد انتشر هذا النوع من التخطيط المعماري بين بعض نماذج الفنون التطبيقية وخصوصاً هيئات المباخر المعدنية، وهو نفسه المتبع في تخطيط المساجد والقباب الضريحية الإيرانية المعتمد على مساحة مركزية مُغطاة بقبة وسطى، وتوجد نماذج أخرى حول أقدم استعمال لهذا النمط من التخطيطات المعمارية في مسجد يزد الجامع منذ القرن الخامس الهجري [xxiv].

الهوامش:

[i] **داغستان أو بلاد الجبال:** كلمة من أصل تركي مكونة من مقطعين (Dag) وتعني الجبل، (stan) تعني المكان وهي تعني بلاد الجبال.

M. N. Ismail, Islamic Gravestones in the Cemetery of Derbend City, in Dagestan Region, Southern Russia during the twelfth century AH/ Eighteenth century AD: "A Study of Form and Content" (MA. diss., University of Fayoum, 2022), 45-55

[ii] **بلاد البلطيق أو الدول الاسكندنافية:** يُقصد بها مجموع الدول الواقعة شمال الكرة الأرضية وتضم بين أراضيها (روسيا، أوكرانيا، فنلندا، النمسا، مولدوفيا، السويد، والنرويج). ويُشار إليها بالدول الاسكندنافية أو بما يعني الشعوب التي تركب البحار أو كما يُطلق عليهم مصطلح الفايكنج.

V.V. Tarasov, "Russ: Eastern Sources And The Gnezdovsky Archaeological Complex", Historical Sciences and Archeology, Bulletin of the Bryansk State University, 1/4 (2020), 105. (Russian).

وقد ذكرها ابن فضلان في رسالته بإسم البلاد الأوروبية الشمالية أو بلاد البلطيق التي تضم قبائل الجرمان والسلاف والوندال القاطنون من بداية نهر الفولغا. للمزيد راجع: ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد)، رسالة ابن فضلان في وصف بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ-٩٢١ (دمشق، ١٩٥٩)، ١٦-٢٢.

ووضح المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم: "أن المسلمين كانوا يستوردون الفراء والقلانس والشمع من بلاد الشمال. المقدسي (شمس الدين عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (بيروت، ١٩٠٤)، ٩-٣٨٠.

[iii] **القيصرية أو الإمبراطورية:** هو تعبير دال على حكم روسيا بعد توسعها علي حساب جيرانها في الشرقى وبلاد القوقاز وآسيا الوسطي. وقد تلقب الروس قبل تكوين الدولة بالسلاف، ولكن مع بداية سطوتهم وانتقال مركز الثقل الديني إلى روسيا بعد اقتحام القسطنطينية ١٨٥٣م تلقبت الدولة الناشئة باسم روسيا القيصرية ومع بداية الاستعمار الشيوعي تسمت بالإمبرتطورية الروسية. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: المسلمون في الإمبراطورية الروسية (التاريخ المعاصر) (بيروت، ١٩٩٥)، ٥-١٩٨.

M. S. Huseynov, Creation of the Caucasian Viceroyalty by Tsarism (1845-1846), Bulletin of Dagestan State University. 2/32 (2017), 16. (Russian).

[iv] يُنسب العثمانيون إلي جدهم الأكبر عثمان بن أرطغرل، وعندما توفي خلفه ابنه الأكبر أورخان غازي وتوالى من بعده سلاطين عظام أشهرهم محمد الفاتح الذي نسب إليه فتح القسطنطينية. محمود شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (تركية) (بيروت ١٩٨٨)، ٤٠-٤٤.

[v] حكم إيران عدداً من الدول ذات الصيت الكبير منذ عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م والتي ابتدأت بالدولة الصفوية والتي استمر حكمها حتي سقوطها عام ١١٤٩هـ/١٧٣٦م علي يد الأفشار الذين تسلموا السلطة في إيران وما وراء النهر، وبعد مقتل أشهر حكامها نادر شاه دب الضعف في الدولة حتي سقوطها على يد القاجار عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م. محمود شاكر، إيران: مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (بيروت،١٩٧٥)، ٥٣-٥٥.

[vi] مهران كامرو، "اللعبة الكبري في غرب آسيا"، جامعة جورجتاون – مركز الدراسات الدولية والإقليمية (قطر، ٢٠١٨)، ١-٣.

[vii] باكو: العاصمة الآربيجانية (Bākū) وأحد أهم الموانئ الإسلامية على ساحل بحر قزوين مأخوذة من الكلمة الفارسية (Dehk̲odā)، والتي تعني الرياح الهائجة.

Encyclopaedia Iranica, Soucek, S. & Suny, G. "Baku," accessed January 20, 2016, https://www.iranicaonline.org/articles/baku-pers

[viii] يذكر ابن بطوطة: أن مدينة استراخان تم تأسيسها علي يد أحد الحجاج المسلمين عام ١٣٣٣م/ ٧٣٤هـ المدعو بـ(حاج طرخان)؛ (Ḥājjī Tark̲ān) ، وقد تميزت كباقي المدن التي شيدها المسلمون علي سلسلة جبلية تحصناً بموقعها الجغرافي.

Encyclopaedia Iranica, Spuler, B. "Astrakhan," accessed August 17, 2011, https://iranicaonline.org/articles/astrakhan

[ix] الجبوري، عاصم: أمانة، نضال أبو جواد، "القوقاز: التسمية وتشكيل الخارطة الجغرافية والديموغرافية"، *مجلة القادسية للعلوم الإنسانية*، ١٩/٤ (٢٠١٦)، ٣٥.

[x] دربند: كلمة فارسية مكونة من مقطعين (در+بند)، فيُقال دربز الباب أي أغلقه، والدربند هو المكان المُغلق (إشارة إلي موضع دربند الجغرافي علي ممر التجارة في شرق القوقاز.

لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، (القاهرة، ١٩٥٦)، ٢١٠.

– جغرافياً هي إحدي مدن إقليم داغستان علي الساحل الغربي لبحر قزوين، تتميز بموقعها الفريد عند خط طول (٤٢° ٣') شمالاً، ودائرة عرض (٤٨° ١٨') شرقاً، وتبتعد بحوالي ٣كم٢ عن الشريط الساحلي الضيق المؤدي إلي بحر قزوين.

Encyclopaedia Iranica, Kettenhofen, E. " Darband," accessed November 15, 2011, https://iranicaonline.org/articles/darband-i-ancient-city

[xi] *Encyclopaedia of Islam*, Carrère d'Encausse, H. " Derbend," accessed 13 January 2022, http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_1796

[xii] نادر شاه: مؤسس الحكم الأفشاري في إيران، ولد في سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م بمدينة دستكرد والمنتمي إلي قبيلة أفشار التركمانية (قرقلو). حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلي نهاية الدولة القاجارية، (بيروت، ٢٠٠٨)، ٨٧.

[xiii] M. W. Judith, "The Persianization of Koroglu Banditry and Royalty in Three Versions of the Koroglu Destan", *Independent scholar, Chicago, Asian Folklore Studies*, 60 (2001), 317.

[xiv] كانت تلك من بين نتائج الباحث التي أنهي فيها زيارته العلمية والاستكشافية لجبانة مدينة دربند بإقليم داغستان في ٢٠٢١.

[xv] B. Hasan, "some specific aspects of education system governance carried out in period of tsar Russia in caucasus", *Historical and Social Educational Ideas* 5/1 (2016), 123. (Russian)

[xvi] Ismail, *Islamic Gravestones in the Cemetery of Derbend City*, 58-60.

[xvii] Sh. S. Fatuh Allahayev, Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars (Baku, 2013), 4-10. (Azerbaijan).

[xviii] الأرقط، عبد الحميد، *أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول ٩٩٦-١٠٣٨هـ/١٥٨٨-١٦٢٩م* (رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية– قسم العلوم الانسانية، جامعة حمة لخضر، ٢٠١٤)، ٢٩.

[xix] البدليسي، شرف خان، شرف نامة (القاهرة، ١٩٥٨)، ٣١٦.

[xx] Sh. S. Fatuh Allahayev, Development of Urban and Architecture in Iran During the period of Qajars, 40-44,61.

[xxi] O. Kuznetsov, "the treaty of Gulistan: 200 years after (the Russo-Persian war of 1804-1813 and the treaty of Gulistan in the context of its 200th anniversary)", *the Caucasus & globalization journal* 7/3 (2013), 142-143.

[xxii] أبوالخير، محمد، "تزوج مسلمي الامبراطورية الروسية خارج القوقاز بعد الحرب التركية الروسية ١٨٧٧"، *تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة* ٢ (٢٠٢١)، ٧٠-٧٣.

[xxiii] وزيري، يحيي، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ٢ (القاهرة، ٢٠٠٥)، ١٢٧-١٣٠.

[xxiv] ياسين، عبد الناصر، "أثر المنشآت المعمارية في تشكيل الفنون التطبيقية الإسلامية وزخرفتها خلال الفترة (ق٢-٨هـ/٨-١٤م)"، *دورية كان* التاريخية ٢٣ (٢٠١٤)، ١٤٩-١٥٠.

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Jun 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 11.10.2023 | Accepted: 99.10.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10299172 0000-0001-5440-2206

تأثير الطيبي في مباحث علم البيان على السيوطي في كتابه "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار"

The Effects of Sharaf al- Din al-Tibi on Jalal Al-Din al-Suyuti in Terms of Rhetoric Matters (Especially Ilm al-Bayan) of "Nawahed Al-Abkar wa Shawarid Al-Afkar" for al-Suyuti

حبيب كليج *

Habib KILIÇ

ملخص

شهد تاريخ البلاغة العربيّة إسهاماتٍ كبيرةً من علماء كبار لهم تأثير واضح في تشكيل هذا العلم الجليل. واللّغة العربيّة تختلف عن اللّغات الأخرى. وقد تكون لكلمة واحدة معانٍ عدّة، فهي محيط لا ساحل له. وعلاقتها بالقرآن الكريم جعلتها في قمّة البلاغة والفصاحة.

وهذا البحث تناول دراسة من أوجه البلاغة التي تبهر العقول بفضل تجلّيات أحسن كلام وأبلغ نظام، وهو كلام الله. وذلك في حاشية السيوطيّ على أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ولما كان القرآن الكريم من أهمّ مصادر اللّغة العربيّة، والمصدر الرئيس للمسلمين، بذل العلماء جهودًا كبيرةً مضنية في شرحه وتفسيره. وفي هذا الإطار

* PhD Candidate. Jinan University. Department of Arabic Language and Rhetoric. Lebanon. ORCID: 0000-0001-5440-2206 E-Mail: habibklc@hotmail.com

كتب الزمخشريّ –وهو اللغويّ، والبلاغيّ، البارع – تفسيره المشهور الكشّاف. وبعد ذلك شرح البيضاويّ هذا التفسير الفريد بعنوان أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

وأمّا السيوطيّ فقد كتب شرحًا وافيًا للبيضاوي، وأضاف إضافات رائقة ذات بال لم يسبقه أحد إليها، وجمع فيه من كتب التفسير والبلاغة الفوائد والفرائد كعادته في التصنيف والتأليف. ولا شكّ أنّ السيوطيّ أُشتهر بالتفسير والحديث والفقه وعلوم آخرى. وقد بقيت جهوده البلاغيّة مخفيّة مدّة مديدة. وممّا لا غبار عليه أنّ لهذا العلم قدمًا راسخة في علوم اللغة والبلاغة ينبغي أن يسلّم له فيها السابق واللاحق والقاصي والداني.

وتأتي أهمّية السيوطيّ في علم البلاغة، من خلال اطّلاعاته العميقة، وجمعه لآراء من سبقه من أهل البلاغة، وإضافاته في مواضع شتّى، وتحليلاته الدقيقة. ولا يُنقص قيمة المؤلف العلمية عندما يقتبس القول من قائله ويذكر مصدره، بل هذا شرف للمؤلّف وإحترامه للعلم والعلماء. ولا يتحرّز السيوطي من ذكر آراء أهل البيان في كتابه. وأكثر من نقل السيوطي منه هو العالم شرف الدين الطيبي. وقد ذُكر اسم الطيبي في نواهد الأبكار أكثر من سبعمائة مرة. وهذه الدراسة محاولة لتسليط الضوء على تأثير الطيبي على السيوطيّ في مباحث علم البيان من خلال "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار".

الكلمات المفتاحية: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، السيوطي، الطيبي، البلاغة، علم البيان.

Abstract: The history of Arabic rhetoric shows that there are a lot of significant contributions from eminent scholars who have had a clear influence in shaping this noble science. The Arabic language differs from other languages as it is the language of the Quran. Therefore a strong relationship between the Arabic language and the Quran emerged.

This thesis examines various aspects of eloquence that astound minds due to the manifestation of the most excellent speech and the most comprehensive system of Allah's words in Al-Suyuti's commentary on Anwar Al-Tanzil and Asrar Al-Ta'wil. As the Quran is one of the most important sources of the Arabic language and a primary source for Muslims, scholars of Arabic language and Islam exerted extensive efforts and fervently engaged in explaining and interpreting it. Within this study, Al-Zamakhshari, a linguist and rhetorician who focused on figurative meanings, wrote his famous interpretation, Al-Kashaf. Following that, Al-Baydawi provided a unique commentary titled Anwar Al-Tanzil and Asrar Al-Ta'wil, which was further elucidated by Al-Suyuti, who wrote a concise explanation and added remarkable insights from other exegetes and scholars of rhetoric. To get information from others, and addressing it in the text is not a weakness. The progress of knowledge can be seen step by step. Any one by himself cannot

receive whole of information. Therefore scientists are effected from each other. In this research the effect of al-Tibi can be recognized from his massive quotes in al-Suyuti`s book. And more than 700 quotes of al-Tibi in Nawahed Al-Abkar is a clear evidence for this effect. In this way we have chosen some example of quotes and wrote under related headline, such as figurative, allegori, metaphor, and imagery.

The significance of Al-Suyuti in the science of eloquence primarily lies in his collection of the opinions of rhetoricians through his profound insights and meticulous analysis of any given subject. This study aims to shed light on effect of al-Teyyebe on Al-Suyuti's rhetorical efforts (especiall in figurative, allegori, metaphor, and imagery) through "Nawahid Al-Abkar wa Shawarid Al-Afkar" (The Rare and Subtle Aspects of Thoughts).

Keywords: Nawahid Al-Abkar wa Shawarid Al-Afkar, Al-Suyuti, Sharaf al- Din al-Tibi, ilm ul-Balagah, ilm al-Bayan.

المقدمة

الحمد لله منزّل الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألباب ، آتيًا من أساليب البلاغة بالعجب العُجّاب، راقيًا من ذرى الفصاحة مرقى لا يجال ولا يجاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضادِ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد..

فإنّ أفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، وأفنيت فيه الأعمار، ووجّهت إليه الهمم؛ هو كتاب الله تعالى، حبل الله المتين، المخرج من ظلمات الجهل والوهم إلى نور العلم والمعرفة والفهم والإيمان. قال تعالى: {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[1]، فمَن تمسّك به هُدِيَ، ومَن اهتدى بنوره رَشَد.

ولما كانت حاجة الأمّة ماسّة إلى معرفة تفسير كتاب ربّها جلّ وعلا، والوقوف على أسراره، تسابق العلماء في شرحه وتفسيره، ومن أشهر هذه التفاسير(الكشّاف) للزمخشري وقد أتى بعده كثير من علماء التفاسير واعتمدوا عليه واقتبسوا منه، واختصروا كلامه لما في كلامه من لطائف وفوائد بيانيّة لم يسبق إليها.

ولما كان للكشّاف هذه المكانة، تصدّى كثير من العلماء للتأليف حوله، ومنهم الإمام ناصر الدين البيضاويّ في كتابه الموسوم بـ"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" مختصرًا للكشّاف ومضيفًا إليه إضافات رائعة من كتب المفسّرين الآخرين.

[1] سورة إبراهيم: آية ١.

ونظرًا لما كان لهذا الكتاب من مكانة جعلته مصدرًا لطلبة العلم في مختلف بقاع العالم الإسلاميّ. انكبّ العلماء على شرحه وتفسيره وتأليف حواش عليه، ولعلّ حاشية الإمام السيوطيّ (نواهد الأبكار وشوارد الأفكار) من أشهر هذه الحواشي. وأغناها وأنفعها، إذ احتوت على مادّة علميّة قيّمة ولا سيّما في الجانب البلاغيّ. الأمر الذي يجعل من هذا الكتاب مصدرًا لطلبة علم البلاغة العربيّة على نحو عامّ، وبلاغة القرآن الكريم على نحو خاصّ.

الكريم على نحو خاصّ.

تأتي أهمّية السيوطيّ في علم البلاغة خصوصًا من جمعه آراء أهل البلاغة من خلال إطّلاعاته العميقة في كلّ موضوعات هذا الفنّ مع إضافاته وتحليلاته الدقيقة. ومن هنا ركّزت هذه الدراسة خصوصًا على مكانة الطيبي في كتاب السيوطي، والنقول منه.

وهي تتشكّل من أربعة مباحث:

توطئة: ترجمة السيوطي، تعريف بكتاب نواهد الأبكار، ومنهج السيوطي فيه، وترجمة شرف الدين الطيبي.

أوّلًا: تعريف التشبيه، وصوره

ثانيًا: تعريف الاستعارة، وصورها

ثالثًا: تعريف المجاز، وصوره

رابعًا: تعريف الكناية، وصورها

ترجمة السيوطي:

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمّد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمّد بن الشيخ همّام الدين الهمّام الخضيريّ الأسيوطيّ .

ووالده من سلالة الصحابة أمّا أمّه فهي أمة تركيّة. وَنَشَأ يَتِيمًا، فحفظ الْقُرْآن، والعمدة، والمنهاج الفرعيّ، وَبَعض الْأَصْلِيّ، وألفيّة النَّحْو، وَالعروض.

وذكر السيوطيّ حياته فقال: "وأما نسبتنا بالخضيريّ، فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلّا بالخضيريّة، محلّة ببغداد؛ وقد حدّثني من أثق به، أنّه سمع والدي رحمه الله تعالى يذكر أنّ جدّه الأعلى كان أعجميّا أو من

الشرق؛ فالظاهر أنّ النسبة إلى المحلّة المذكورة، وكان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة. "

وبدأت حياة السيوطيّ العلميّة بدراسة القرآن الكريم. فقدَ والدَه عندما كان عمره خمس سنوات. وليَ دراستَه العلّامةُ كمال الدين بن الهمّام الحنفيّ، وهو كان مِن أصدقاء أبيه، أخذ منه الفقه. وأكمل حفظ القرآن عند فخر الدين بن مصيفح. ثمّ درس اللغة وحفظ متونًا مختلفة من اللغة والفقه والسنّة، منها: عمدة الأحكام، منهاج النوويّ، ومنهاج البيضاويّ(ت ٦٨٥هـ) ، وألفية ابن مالك . وقرأ على العلماء المشاهير في أمصار شتّى، من العلوم المتنوّعة. من هذه الكتب: الكافية وشرحها لابن الحاجب (ت٦٤٦ هـ.)، مقدّمة إيساغوجي لفَرفوريوس الصُّوريّ، تفسير الكشّاف للزمخشريّ، شرح البهجة، تفسير البيضاويّ، وتوضيح ألفية ابن مالك لابن هشام، وتلخيص المفتاح للقزوينيّ، المطوّل للتفتازانيّ. وأخذ من العلماء فنّ القراءة، وأصول الفقه والسنّة. وللسيوطيّ نصيب أيضًا من العلوم التجريبيّة، منها علم الميقات(علوم الفلك)، والطب. وتعمّق في علم الحديث، ورحل إلى حجاز، وبعد عودته ركّز على التدريس.

وبسبب أسلوبه القاسي، والمناقشات والاتهامات بينه وبين علماء عصره عاش السيوطيّ خمس سنين في نهاية عمره منزويًا عن أصحابه في جزيرة الروضة على النيل . توفّي العالم الكبير، المجتهد في عصره، سحر ليلة الجمعة تسع عشرة جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة، ودُفن بباب القرافة عند قبر والده الشيخ كمال الدين ، وهو في الواحد والستين من العمر (رحمه الله تعالى).

تعريف بكتاب نواهد الأبكار:

ذكر السيوطيّ أسماء مصنّفاته على سبعة أقسام. وكتاب "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار" يُذكر تحت القسم الثاني الذي سمّاه: "ما ألِّف ما يناظره ويمكن العلامة أن يأتي بمثله". وذلك لم يتمّ، أو كتب منه قطعة صالحة من الكتب المعتبرة التي تبلغ مجلّدًا وفوقه ودونه. لكن يوصف هذا الكتاب ب"حاشية على تفسير البيضاويّ، ويشير إلى مرحلة جهوده :"وصلت فيها إلى آخر سورة الأنعام، مجلّد وسط" . وسمّاه باسمه المعروف فيما بعد في مقدّمة "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار."

منهجه العام:

وشَرْحُ السيوطيّ على تفسير البيضاويّ عبارة عن اقتباسات هائلة من آراء المفسّرين وأهل البلاغة. اقتبس السيوطيّ في شرحه أكثر من ٨٠٠ قول من الطِّيبيّ (حاشية فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)؛ وحوالي ٦٠٠ قول من سعد الدين التفتازانيّ (حاشية الكشاف)؛ وحوالي ١٥٠ قول من السيد الشريف الجرجانيّ (حاشية الشريف)، وإلى آخره.

ترجمة الطيبي :

العلامة، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي. المتوفى: سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . هو من عراق العجم، وهو من علماء الحديث والتفسير والبيان. واشتهر في اللغة. قال السيوطي عنه: هو "الإِمَام الْمَشْهُور الْعَلامَة فِي الْمَعْقُول والعربية والمعاني وَالْبَيَان" . قَالَ ابْن حجر العسقلاني: "كَانَ ذَا ثروة من الْإِرْث وَالتِّجَارَة فَلم يزل ينْفق ذَلِك فِي وُجُوه الْخيرَات إِلَى أَن كَانَ فِي آخر عمره فَقِيرا. وَكَانَ كَرِيمًا متواضعاً حسن المعتقد شَدِيد الرَّد على الفلاسفة والمبتدعة. شرح الْكَشَّاف شرحاً كَبِيرا وَأجَاب عَمَّا خَالف مَذْهَب السّنة أحسن جَوَاب يعرف فَضله من طالعه. وصنف فِي الْمعَانِي وَالْبَيَان التِّبْيَان وَشَرحه وَأمر بعض تلامذته باختصاره على طَرِيقَة نهجها لَهُ وَسَمَاهُ الْمشكاة وَشَرحهَا هُوَ شرحاً حافلاً ثمَّ شرع فِي جمع كتاب فِي التَّفْسِير. فَقضى نحبه مُتَوَجها إِلَى الْقبْلَة وَذَلِكَ يَوْم الثُّلَاثَاء ثَالِث عشري شعْبَان سنة ٧٤٣. "

وله كتب، منها: "التبيان في المعاني والبيان" و"الخلاصة في معرفة الحديث"، و"شرح الكشاف" في التفسير، مسمى ب(فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)، و"شرح مشكاة المصابيح" في الحديث. وقال الشوكاني مضيفا على ترجمة حياة الطيبي: "وعنده كتب نفيسة يبذلها لطلبته ولغيرهم من أهل بلده بل ولسائر البلدان من يعرفه ومن لا يعرفه وله إقبال على استخراج الدقائق من الكتاب والسنة وحاشيته على الكشاف هي أنفس حواشيه على الإطلاق مع ما فيها من الكلام على الأحاديث في بعض الحالات إذا اقتضى الحال ذلك على طريقة المحدثين مما يدل على ارتفاع طبقته في علمي المعقول والمنقول".

علم البيان:

البيان لغةً: ب ي ن : "بانَ يَبين، بِنْ، بَيانًا وتِبيانًا، الكشف، والإيضاح، والظهُور فهو بائن وبَيِّن، بان الشَّيءُ: ظهر واتّضح "بان الفجر، كلامُه- بانت الحقيقَةُ – "الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ" . والبَيانُ: الْفَصَاحَةُ

واللَّسَن، وكلامٌ بيّن فَصيح. والبَيان: الإفصاح مَعَ ذَكَاءٍ. والبَيِّن مِنَ الرِّجَالِ: الْفَصِيحُ، وَالْجَمْعُ أَبْيِناء. وفلان أَبْيَنُ من فلانٍ، أي أفصح منه وأوضح كلامًا. "

البيان اصطلاحًا: ما يتبيّنُ به الشئ من الدلالة وغيرها . وهو أصولٌ وقواعدُ يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقليّة على المعنى نفسه.

١ –التشبيه:

التشبيه في اللغة: شبه: شِبْهٌ وَشَبَهٌ لغتان بمعنىً. يقال: هذا شِبْهُهُ، أي شَبيهَهُ. وبينهما شِبَهٌ بالتحريك، والجمع مَشابَهُ على غير قياس، والشُبْهَةُ: الالتباسُ. ومُشَبَّهَةٌ: مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بَعْضًا. والمشْتَبِهات من الأمور: المشْكِلاتُ. والمتشابِهاتُ: المتَماثِلاتُ. والتَشْبيهُ: التمثيلُ. وتَشَبَّه بِكَذَا: تَمَثَّلَ، والدلالة على مشاركة أمرٍ لآخرَ في معنى. فالأمر الأوّل هو المشبّه، والثاني هو المشبّه به، وذلك المعنى هو وجه التشبيه.

التشبيه في الاصطلاح: "التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى" ، أو "هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس، وهو إمّا تشبيه مفرد، أو تشبيه مركّب" .

صور عن التشبيه:

١ –عند تفسير قوله تعالى: {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} اعتمد السيوطي على قول الطيبي في بيان صورة التشبيه في اسناء نقله عن البيضاوي .

قوله: "و{هذا} إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيرًا إلى نهر جار: هذا الماء لا ينقطع، فإنّك لا تعني به العين المشاهدة منه، بل النوع المعلوم المستمرّ بتعاقب جريانه وإن كانت الإشارة إلى عينه، فالمعنى هذا مثل رزقنا (ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته) كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة" . ذكر السيوطيّ قول الطِّيبيّ: أي هو تشبيه بحذف الأداة ووجهه: نحو قولك: زيد أسد . قال الإمام: "لما اتحدا في الحقيقة وإن تغايرا في العدد صحّ أن يقال: هذا هو ذاك لأنّ الوحدةَ النوعيّة لا ينافيها الكثرة بالشخص . "

٢ –في تفسير قوله تعالى: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} نقل السيوطي رأي الطيبي مشيرًا إلى أنّ إهلاك الريح تشبيه عن إهلاك الله .

قوله: "{أَهْلَكَتْهُ} عقوبة لهم لأنّ الإهلاك عن سخط أشدّ، والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة، وهو (من التشبيه المركّب) ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه للريح دون الحرث" . ذكر السيوطيّ قول الطِّيبيّ: "ويجوز أيضًا أن يكون من التشبيه المفرّق الذي يتكلف لكل واحد من المشبّه به شيء بقَدْر شَبَهه في المشبّه، فشُبه إهلاك الله بإهلاك الريح، وما ينفقون بالحرث، وما في غضب الله من جعل أعمال المرابين هباءً منثورًا بما في الريح الباردَة من حشّ الزرع وجعله حطامًا. "

٢–الاستعارة:

الاستعارة في اللغة: العارِيّة والعارةُ: مَا تداوَلُوه بَيْنَهُمْ؛ وَقَدْ أَعارَه الشيءَ وأَعارَه مِنْهُ وعاوَرَه إِيَّاه، اسْتعَار الشَّيْءَ مِنْهُ طلب أَن يُعْطِيهِ إِيَّاه عَارِية، وَيُقَال استعاره إِيَّاه.

الاستعارة في الاصطلاح: وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه ، وعرَّفه العسكريّ بقوله: "نقل العبارة عن موضع استعمالها فى أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفصل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغةَ فيه، أو الإشارةَ إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسينَ المعرضِ الذى يبرز فيه. "

صور عن الاستعارة:

١– ونقل السيوطي قول الطيبي في تفسير قوله تعالى أنّ في الآية استعارة عن الحبل: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ}.

قوله: "والنقض: فسخ التركيب، وأصله في طاقات الحبل (واستعماله في إبطال العهد من حيث إنّ العهد يستعار له الحبل) لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر" . في تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ} . قال الطِّيبيّ: "أي لما سمّوا العهد بالحبل على سبيل الاستعارة، كما في قولهم: "إنَّ بيننا وبين القوم حبالًا"، أي: عهدًا، جسروا أن يستعمِلوا النقض في إبطال العهد، وذلك: أنّه شبه العهد بالحبل لما فيه من ثبات الوصلة تشبيهًا بليغًا حتّى إنّه حبل من الحبال، ثم أخذ الوهمُ في تصويره بصورة الحبل وتخييله بالحبل واختراع ما يلازم الحبل من النقض (ثم إطلاق النقض) المحقّق على ذلك المخترَع على سبيل الاستعارة التخييليّة ثم إضافته إلى

العهد المتخيّل لتكون قرينة مانعة، من إرادة المعنى الحقيقيّ ولو لم يذكر النقض لم يعلم أن العهد مكان الاستعارة" . فما، في قوله: (ما هو من روادفه) واقعة على النقض، والضمير في روادفه للحبل .

٢- في تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ} . أتى السيوطي بإقتباسين: أوّلا من الطيبي وثانيا من الشيخ أكمل الدين.

حيث إنّ اقامة الصلاة استعارة. ونكتفي فقط بذكر قول الطيبي هنا، لأنّه أساس بحثنا هذا. لأنّ في آخر المطاف يرجح السيوطي قول الطيبي، ويؤوّلها على دونها .

قوله: ({ويقيمون الصلاة} أي يعدلون أركانها، ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها) قال الطِّيبيّ: "وعلى هذا فهو استعارة تبعيّة، شبّه تعديل المصلّي أركان الصلاة، وحفظها من أن يقع فيها زيغ بتقويم الرجل العود المِعَوَّجِ، فقيل: يقيمون، وأريد: يعدلون. "

٣-المجاز

المجاز لغةً: وجازَ الموضعَ جَوْزًا وجُؤُوزًا وجَوازًا ومَجازًا وجازَ بِهِ وجاوَزه جِوازًا وأَجازه وأَجاز غيرَه وجازَه: سَارَ فِيهِ وَسَلَكَهُ، وأَجازَه: خَلَّفه وَقَطَعَهُ، وأَجازه: أَنْفَذَه. وتَجَوَّزَ في كلامه، أي تكلَّمَ بالمجاز. وقولهم: جعلَ فلانٌ ذلك الأمر مَجازًا إلى حاجته، أي طريقًا ومسلكاً، فَهُوَ وجيز ووجز.

المجاز اصطلاحا: "ما جاوز وتعدّى عن محلّه الموضوع له إلى غيره؛ لمناسبة بينهما؛ إمّا من حيث الصورة، أو من حيث المعنى اللازم المشهور، أو من حيث القرب والمجاورة، كاسم الأسد للرجل الشجاع، وكألفاظ يكنى بها الحديث."

صور عن المجاز:

١ -في تفسير قوله تعالى: {قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها} قوله: "فلنجعلنّك تلي جهتها (ترضاها، تحبّها) وتتشوّق إليها" . ونقل السيوطي قول الطِّيبيّ في هذه المسألة واكتفى به ولم يأخذ من غيره. وقد نرى كثير من المواضع يكتفي السيوطي بقول الطيبي فقط، فمثاله قول الطيبي: "أي الرضى مجاز عن المحبة. الراغب. قيل، لم يقصد بقوله: ترضاها، إنّك ساخط القبلة التي كنت عليها، بل إنّه - صلّى الله عليه وسلّم - ألقى في رُوعِه أنّ الله يريد تَغْيِير القبلة، فكان يتشوّقُه ويحبّه، وقيل: تحبّها، لأنّ

مرادك لم يخالف مرادي وهذه منزلة يشدّ إليها أُولو الحقائق، ويذكرون أنّها فوق التوكّل، لأنّ قضيّة التوكّل الاستسلام لما يجري عليه من القضاء، كأعمى يقوده بصير وهذه المنزلة أن يحرّك الحقُ سرّه بما يريد فعله. "

٢ –في تفسير قوله تعالى: {وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} . أشار السيوطي إلى أنّ "الكفران" في الآية ورد مجازًا عن تنقيص الثواب، و أيّد قوله بنقل من الطيبي.

قوله: "وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه ألبتّة (سمى ذلك كفرانًا كما سمى توفية الثواب شكرًا) " . قال الطِّيبيّ: "يعني لا يجوز أن يضاف إلى الله تعالى الكفران لأنّه ليس لأحد عليه نعمة حتّى يكفره، لكن لما وصف سبحانه بالشكور في تلك الآية –والشكور: مجاز عن توفية الثواب– نفى سبحانه على سبيل المشاكلة الكفران الذي هو مجاز عن تنقيص الثواب. "

٤ –الكناية :

الكناية في اللغة: أَن تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدَ غَيْرَهُ. وكَنَى عَنِ الأَمر بِغَيْرِهِ يَكْنِي كِنَايَةً: يَعْنِي إِذا تَكَلَّمَ بِغَيْرِهِ مِمَّا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ ، وقد كَنَيْتُ بكذا عن كذا وكَنَوْتُ، واحدة الكُنى. واكْتَنى فلان بكذا . وكلام استتر المراد منه بالاستعمال، وإن كان معناه ظاهرًا في اللّغة.

الكناية في الاصطلاح: الفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه، فظهر أنها تخالف الجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه. وفُرَّق بأن الانتقال فيها من اللازم وفيه من الملزوم . وقيل: "إن الكناية أبلغ من التصريح. "

صور عن الكناية:

١ – كما ذكرنا آنفًا يُعزّز السيوطي قوله بنقل قول الطيبي ويكتفي بسرد قوله فقط. قوله: "{وَإِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَالْفُرْقانَ} (يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا منزلًا وحجة) تفرق بين الحق والباطل" . في تفسير قوله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَالْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} . قال الطِّيبيّ: "يريد أن الكتاب والفرقان عبارتان عن معبر واحد وهو التوراة بعد تأويلها بالصفتين، يَدُلُّ عليه قوله آخرًا: "يعني التوراة"، هذا نحو قولك إذا أردت أن ترسم التوراة تقول: هي الكتاب المنزل على موسى عليه السلام، الفارق بين الحق والباطل، وهو من باب الكناية التي يطلب بها نفس الموصوف. نحو قولك في مستوي القامة: عريض الأظفار، وتريد به الإنسان. وأما الواو فهي الداخلة بين الصفات للإعلام باستقلال كلّ منهما. "

٢ –لا يكاد يشرح السيوطي مباحث البلاغيَّة في كتابه نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، إلّا وقد يأيّد قوله بنقل قول الطيبي. وفي تفسير قوله تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ سَنَكْتُبُ مَا قالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ} "الكتابة" وردة على معنى الكناية.

قوله: "{وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ} (أي: وننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا) العذاب المحرق" . قال الطِّيبيّ: "أي {ونقول} عطف على {سنكتب}، والباء في (بأن نقول) كالباء في (كتبت بالقلم) أي: ننتقم منهم بواسطة هذا القول، ولن يوجد هذا القول إلاّ وقد وجد العذاب وألمه، فالكلام فيه كناية".

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، لقد تكرّم الله على الإنسان بجعله مخاطَبا بوحيه الأزليّ مِن أوّل يوم أُوجد البشر على الأرض. وكتاب الله يعتبر الركن الركين والحصن الحصين الذي يلجأ إليه المؤمنون في كلّ حين لفهم الحياة فهمًا نيّرًا نابعًا من الوحي الذي لا يعتريه الوهم والخطأ والزلل والنسيان. وهذا لا يكون لكتاب آخر غير كتاب الله. وانطلاقا من هذا الأمر بذل العلماء جهودا كبيرةً ومضنية عبر التاريخ الطويل لمعرفة كنوزه النفيسة والتبحّر في مراميه الدقيقة. ولا شكّ أنّ علم البلاغة من أهمّ الوسائل إلى ذلك ونيل ما هنالك. إذ معلوم لدى الدارسين في علوم القرآن الكريم وفنونه أنّ إعجاز القرآن يبرز بقوّة على ضوء دراسات البلاغيّين لأسرار نظمه وتراكيبه البديعة والتي لا يمكن أن تتأتّى لأحد من البشر. مهما علا كعبه ورسخت قدمه في فنون القول وأضربه. وتدور دراستنا هذه حول تأثير الطيبي في وجوه علم البيان في كتاب نواهد الأبكار وشوارد الأفكار.

و قد خرجت من الدراسة ببعض النتائج وهي:

١ –كتاب نواهد الأبكار حاشية قيمة متنوعة المصادر، اعتمدت على مئات المصادر في فنون شتى، وخصوصا علوم العربيّة الصرف، والنحو، والبلاغة. مؤهلات السيوطيّ العلمية متنوعة، ونجد آثاره في هذا الكتاب كما نجد في مؤلفاته الأخرى .

٢ –السيوطي صاحب مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة في علوم البلاغة ناهيك عن العلوم الأخرى كالتفسير والحديث والفقه واللغة وغيرها.

٣– يمكن اعتبار هذه الحاشية تطبيقًا لنظريات السيوطي في البلاغة.

٤ –نقل السيوطيّ في حاشيته نواهد الأبكار كثيرًا من أقوال أصحاب الحواشي كالطيبيّ، والتفتازاني، والجرجاني.لدى السيوطيّ قدرة عظيمة في بحث العلمي، وإعتماده الدقيق على المصادر، وذكره لمصادر والمراجع. ولا يترك أي قول بدون ذكر صاحبه.

وخصوصًا تأثير الطيبي على السيوطي واضح جدًا عندما نظرنا إلى كمّية هائلة من آرائه الواردة في نواهد الأبكار. وقد تجاوز عدد النقل ٧٠٠ قول عن الطيبي. وذكرنا منها بعض الأمثلة تحت كلّ عنوان من مباحث علم البيان.

طالما شرح السيوطي تفسير البيضاوي، ولم يتخل السيوطي عن آراء الطيبي في موضوع علم البيان.

والحمد لله الذي بنعمه تتمّ الصالحات.

المصادر والمراجع

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاويّ (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ – ١٤١٨ هـ.

٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.

٣) بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطيّ، الشيخ عبد القادر الشاذلي، تحقيق: عبد الإله نبهان مجمع اللغة العربيّة، بدمشق.

٤) البيان والتبيين المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

٥) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

٦) التحدث بنعمة الله تعالى، المؤلف: الجلال السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، المحقق: اليزابث ماري سارتين، حالة الفهرسة: غير مفهرس، الناشر: المطبعة العربية الحديثة.

٧) الحاوي للفتاوي (ط. العلمية) المؤلف: الجلال السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين المحقق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن حالة الفهرسة: مفهرس على العناوين الرئيسية الناشر: دار الكتب العلمية سنة النشر: ١٤٢١ – ٢٠٠٠.

٨) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند، عدد الأجزاء: ٦ (تِباعًا)، الطبعة: الثانية (١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.)

٩) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (المتوفى : ٩١١هـ)، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربيّة – عيسى البأبي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

١٠) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع المؤلف: أحمد بن إسماعيل الكوراني شهاب الدين المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة سنة النشر: ١٤٢٩ – ٢٠٠٨.

١١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجانيّ الدار (ت ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة – دار المدنيّ بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٢) سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م.

١٣) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقّقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

١٤) شرح مقامات السيوطيّ، جلال الدين السيوطيّ، التحقيق: سمير محمود الدروبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٩ هـ.– ١٩٨٩ م.

١٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٦) صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

١٧) الصناعتين، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية – بيرو، عام النشر: ١٤١٩ هـ.

١٨) الضوء اللامع، المئلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، دار الجيل – بيروت، سنة النشر: ١٤١٢ – ١٩٩٢.

١٩) طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السُبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٠) طبقات المفسرين المؤلف: محمد بن علي بن أحمد الداوودي شمس الدين حالة الفهرسة: غير مفهرس الناشر: دار الكتب العلمية سنة النشر: ١٤٠٣ – ١٩٨٣.

٢١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السُبكي (ت ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطِّيبيّ على الكشّاف)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطِّيبيّ (ت ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا،المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

٢٣) كتاب التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٢٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المؤلف: مصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، تاريخ النشر: ١٩٤١ م.

٢٥) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويّين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٦) مختصر المعاني، سعد الدين التفتازانيّ، دار الفكر، مطبعة قدس، ١٤١١ هـ.

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Jun 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 01.06.2023 | Accepted: 08.12.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10301727 0000-0001-6472-1534

أثر التلقي عند المفسر في تفسير القرآن الكريم

The Effect Of The Interpreter's Reception in Tafsir Of The Holy Qur'an

خالد عبد الله علي* **&** **طوغرول تيزجان****

Khaled Abdullah Ali BRIAH **&** **Tuğrul TEZCAN**

ملخص

تتناول هذه المقالة، أثر مفهوم التَّلقي على التفسير، والمفسِّر، ومدى قدرته على تشكيل الفهم عند التَّعرض للنَّصِّ القرآني، تناولًا يتوافقُ مع تلقيه، واهتمامه الذي يشتغلُ به، وذخيرته القبْلية المعرفيَّة التي يتمتعُ بها، وقبلَ ذلك، التنقيب عن المتلقي وحضوره في النَّص القرآنيّ، واهتمام القرآن بتوجيه الخطاب إليه، وبيان أهمّ مستويات تجليات النَّص القرآني نحو المتلقي، إذ هو المعنيّ بالخطاب، وإليه نزلَ القرآن، فهدايته تُرتجى، والتحقُّق بمفاهيم القرآن ومقاصده العظمى هو الغاية من الخطاب الإلهي إلى متلقيه، ثمَّ محاولة الكشف عن عوامل تعدد التلقي في تفسير النَّص القرآني، وتنوع مدارسه، واتجاهاته، وطرائقه، ومن ثمَّ التَّطبيق على التَّفسير اللغوي ممثلًا بتفسير الإمام الفرَّاء (معاني القرآن)، وبيان مسالكه اللغوية في التفسير وإرجاعها إلى التلقي القَبْليّ للنَّص، الذي أثمر فَهْمًا قائمًا على اللغةِ وعلومها، دون خوضه في المعنى التفسيري المتعارف

* PhD Candidate. Karabük University. Department of Tafsir. Karabük - Türkiye. ORCID: 0000-0001-6472-1534 E-Mail: Kaaaab2019@gmail.com
** Assoc. Prof. Dr. Karabük University. Department of Tafsir. Karabük-Türkiye. ORCID: 0000-0003-1751-203X E-Mail: tutez73@gmail.com

عليه في الذِّهن، أو الاشتغال التفسيري في كتب التفسير على غرار كتب التفسير المتعددة. لأنه دخل إلى النص بتلق خاص، أثمر نتاجًا يتوافق مع آفاق التلقي لديه.

الكلمات المفتاحية: التلقي، التفسير، النص القرآني، معاني القرآن، الفراء، تشكيل النص، اتجاهات التفسير.

Abstract:This article deals with the impact of the concept of the receiver on the interpretation, the interpreter, and the extent of his/her ability to form understanding when exposed to the Qur'anic text, in a way that is consistent with his/her reception, his/her interest in which he/she works, and his/her precognitive repertoire that he enjoys. It also deals with the exploration of the recipient and his/her consciousness in the Qur'anic text, and the Qur'an's interest in directing the discourse to him/her, and clarifying the most important levels of the Qur'anic text's manifestations towards the recipient as he/she is concerned with the Qur'anic discourse that the Qur'an was revealed to him/her as a receiver, so this makes his/her guidance a willing that is hoped for, and the verification of the Qur'an's concepts and its great purposes is the goal of the divine discourse to its recipient.

It is also an attempt to discover the factors of multiplicity of reception in the interpretation of the Qur'anic text, and the diversity of its schools, directions, and methods, and then the application to the linguistic interpretation represented by the interpretation of Imam Al-Farra' (Ma'ani Al-Qur'an, i.e., The Interpretation of Qura'an), and the statement of its linguistic pathways in interpretation and its return to the prior reception of the text, which resulted in an understanding that is based on Language and its Sciences, without delving into the explanatory meaning that is customary in the mind, or explanatory work in the books of interpretation which are similar to the other various books. Because here the reciever got into the text with a special perception; he/sh produced a meaning that is corresponded with his/her reception horizons.

Keywords: Interpreter, Tafsir, Quranic Text, Meanings Of The Qur'an.

مقدمة

الحمدُ الله الذي أنزلَ الكتابَ على خلقه لهدايتهم، وبيانِ مراده لهم، وهيَّأَ الإنسان لتلقيه، وفهمه، وفتحَ لهم باب تدبره، ومنحهم لذَّة النَّظرِ فيه، والغوْص في معانيه، واستنباط أحكامه، والكشف عن أسراره، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد، وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد شَغَلَ النصُّ القرآني عناية الدّارسين: في القديم والحديث، فكانَ جلّ عنايتهم فَهم النص القرآني، فوجّهوه توجيهاتٍ متعدِّدةً بما يتفق وقداسةَ النصّ القرآنيّ ومقاصدَ الشَّريعة، فأغنت تأويلاتهم الدَّرس اللغويّ فضلًا عن إغنائها الثَّقافةَ الإسلاميَّة.

وفي هذه المقالة تحاولُ أن تفتّش عن مفهوم التَّلقي، بحمولته اللغوية، والحديثة، إذ تمثل نظرية التلقي حلقة مهمَّة ضمن النَّظريات الأدبيَّة، بتركيزها على فعل التلقي ذاته، على القارئ/ المتلقي، فأعلت من مكانه ضمن دائرة الإبداع، ووضعته في مكانٍ يليقُ به بعد أن أغفل في النَّظرياتِ الأخرى، ولم يُلتفت إليه.

ولا يخفى أنَّ النَّص القرآني موجه إلى المخاطَب/ المتلقي/ القارئ/ المتدبر، وعند النَّظر يتضح أنَّ القرآن أولاه أهمية كبرى، وخصَّه بالنَّص، ومنحه الأدوات العديدة للفهم، وأمره بإعمالِ العقل، والتَّدبر، والاستنباط، والتَّأمل، وتفعيل النَّص، وتثويره، كل هذه اِنعكست على القائم بفتح مغاليق النَّص، وهو ما يعرف بـ "المفسِّر" في التراث الإسلامي، باعتباره أحد المتلقين، وباعتبار الشَّرح أو التفسير= الثمرة النَّاشئة عن الفَهْم؛ وتفاعله مع النَّص وحسن تلقيه، وإعادة تفعيله بما يتناسبُ مع سعة النَّص الإلهي، وصلاحيته المطلقة المتجاوزة للبُعْد التَّاريخي.

ولبيان أثر التلقي للنَّص القرآني، أحببتُ أن يكون عنوان مقالتي: "**أثر التلقي عند المفسِّر في تفسير القرآن الكريم**".

مشكلة البحث:

تكمن إشكاليَّة هذه المقالة في محاولة إبرازِ مساحة التَّلقي لدى المفسِّر، وقدرة تأثيرها في توجيهه إلى مناحي متعددة في النَّصِ القرآني، ومن ثمَّ الاِشتباك الحاصل بينَ المنهج التَّفسيري، ورؤية المفسِّر النَّاشئة من تلقيه، ثمَّ ننظر إلى أي مدى يفيدنا فهم أثر التلقي للمفسّر عند تفسيره للقرآنِ للكريم.

أهمية البحث:

١- الوقوف على مفهوم التَّلقي، والتنقيب عنه في النَّص القرآني، وتجليته للقارئ.

٢- النَّظر إلى أثر التلقي في تشكيل منهج المفسر عند تفسيره للنص القرآني.

٣- الاستفادة من النَّظريات الأدبية الحديثة في تجلية معاني النَّص القرآني، لتثوير النَّص، ومحاولة فهمه وتمثله.

وقد جاءت هذه المقالة في ثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر، وبيان ذلك كالآتي:

المبحث الأول: النُّزول القرآني وأثره في تكوين تصورات المتلقي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التَّلقي في النَّص القرآني

المطلب الثاني: مستويات تجليات النَّص القرآني نحو المتلقي

المبحث الثاني: تشكيل التلقي في تفسير النَّص القرآني، وفيه مطالبان:

المطلب الأول: العناصر المؤثرة في تشكيل المتلقي المفسر

المطلب الثاني: عوامل تعدد التَّلقي في تفسير النَّص القرآني

المبحث الثالث: طرائق واتجاهات التفسير وأثرها في تشكيل النَّص، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التلقي اللغوي للتفسير (الذهنية اللغوية) نموذجًا

المطلب الثاني: تطبيقات من تلقي التَّفسير اللغوي

المبحث الأول: النُّزول القرآني وأثره في تكوين تصورات المتلقي

المطلب الأول: التَّلقي في النَّص القرآني

تتفقُ كتبُ معاجم اللغة على أنَّ فعل (تلقَّى) في وضْعه اللغوي، يفيد: الأخذ والاستقبال والتَّعلم والتقبل؛ والمتلقي: المستقْبِل. جاءَ في لسانِ العرب: "لقي فلانٌ فلانًا لقاء ولقاءة بالمد ولُقيا ولِقيا بالتَّشديد، والتَّلقي هو الاستقبال، ومنه قوله تعالى: " وَمَا يُلَقَّىٰهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" فصلت:٣٥، وقيل في قوله:" وَمَا يُلَقَّىٰهَا"؛ أي: ما يعلمها ويُوفَّق لها إلا الصَّابر. وتلقَّاه أي: استقبله[١].

ويعرف أبو البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٣هـ)، التلقي، بقوله: "التلقي يقتضي استقبال الكلام وتصوره"[٢]. والتلقي هو العملية المقابلة للإبداع، وهو يتطلبُ قارئًا متميزًا ذا ثقافة عميقة، وخبرة طويلة؛ تُتيح له سبر أغوار النصّ والوقوف على أسراره وجمالياته.

وفي المفهوم المعاصر، يتغلب روبرت هولب (Robert Holab) على بعض الاضطراب في المصطلح، ويحاول تبسيطه قائلًا: "إن نظرية التلقي تشير على الإجمال إلى تحول عالم من الاهتمام بالمؤلف والعمل إلى النص والقارئ ..."[٣]. فالمقصود بالتلقي عند الغرب هو تلقي الأدب؛ أي: العملية المقابلة لإبداعه أو إنشائه أو كتابته.

وعلى الرغم من أنَّ مصطلح التلقي (Reception) حديث العهد بيننا؛ لأنه لم يظهر إلا في بداية السبعينات من القرن العشرين، إلا أنه حظي باهتمام كبير من النقاد وقد وردت مصطلحات عدة للتعبير عن التلقي أكثرها شيوعًا: **نظرية التلقي**.

وقد ورد مصطلح التَّلقي في آياتٍ كثيرة من سور الذِّكْرِ الحكيم[٤]، ورد إمَّا بصيغة الفعل المبني للمعلوم (تَلَقَّى)، مثال قوله تعالى: (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) البقرة: ٣٧، أو بصيغةِ الفعل المبني للمجهول (تُلَقَّى). مثال قوله تعالى: (**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**) النمل: ٦. فزيادة على ما يختزنه فعل التلقي من دلالة التشارك والتفاعل، فقد تقدَّم المتلقي البشري على مرسِل الخطاب الإلهي تأكيدًا على دوره المركزيّ في تفعيلِ الرِّسالة.

---

(١) ينظر: جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ط٣، (١٥/ ٢٥٦).

(٢) أبو البقاء الكفوي، **الكليات**، (بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ)، ط٢، ص ٣١٣.

(٣) فوزي سعد عيسى، **جماليات التلقي قراءات نقدية في الشعر العربي المعاصر**، (الإسكندرية: دار المعرفة، ٢٠١١م)، ص ٥.

(٤) ينظر: سورة (ق:١٨)، (النور:١٥)، (البقرة:٣٧)، (الفرقان:٧٥)، (فصلت: ٣٥)، (النمل: ٦)، (القصص: ٨٠).

ودلالة الاستعمال القرآني لمادة التَّلقي مع النَّص تنبه إلى ما قد يكون لهذه المادة من إيحاءاتٍ وإشارات إلى عملية التَّفاعل النَّفسي والذِّهني مع النَّص، حيث ترد لفظة (التَّلقي) مرادفة أحيانًا لمعنى الفهْم والفِطنة، وهي مسألة لم تغب عن بعض المفسرين في الإلماع إليها(٥)، ولم تغب كذلك عن أدبائنا ورُوَّاد التُّراث النَّقدي، وهم يميزون في استعمالاتهم – وإن لم يصرحوا — بين إلقاء النَّص أو إرساله، وتلقيه أو استقباله فآثَروا الإلقاء والتلقي وجعلوهما فَنًّا، وخاصة في مجال النَّص الخطابي.(٦)

وقوله تعالى: (**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ**) النور:١٥؛ إذ يأخذ بعضكم عن بعض، وقيل: (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**) ؛ أي تعلمها ودعا إليها(٧)".

وقد تواطأ المفسرون كذلك على تفسير مصطلح التَّلقي في الآياتِ الكريمة بمعنى الاستقبال والأخذ والتَّقبّل والتَّعلّم، وهي كلها مصطلحات تُفيد التواصلَ والتفاعل بين النَّص والمتلقي. يفسِّر الإمام الطَّبري (ت:٣١٠هـ) قوله تعالى: (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**) البقرة: ٣٧، بقوله: "أمَّا تأويل قوله (فتلقَّى آدم) فقيل إنه أخذ وقَبِل، وأصله التفعل من اللقاء، كما يتلقى الرجلُ الرجلَ مستقبِلَه عند قدومه من غيبته أو سفره، فكذلك في قوله: (فتلقَّى)، كأنه استقبله فتلقاه بالقبول حين أوحى إليه أو أَخبَر به. فمعنى ذلك إذًا: فلقَّى الله آدمَ كلمات توبة، فتلقَّاها آدمُ من ربه، وأخذها عنه تائبًا، فتابَ الله عليه بقِيلِه إياها، وقبوله إياها من ربه(٨)".

أمَّا قوله تعالى: (**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**) النمل: ٦، فيفسره الطَّبري بقوله: "وإنك يا محمَّد لتحفظ القرآن وتعلمه من (**مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**) يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم، والكائن من أمورهم، والماضي من أخبارهم والحادث منها"(٩).

---

(٥) ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، ط٢، (١/ ٣٢٣).

(٦) ينظر: محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، ص١٤.

(٧) ابن منظور، **لسان العرب**، (١٥/٢٥٣).

(٨) محمَّد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ط١، (١/٥٤١).

(٩) المصدر السَّابق (١٩/٤٢٦).

والمتلقِّي في الآية الكريمة (**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ**) هو الرَّسول ﷺ، والمتلقَّى منه هو الله سبحانه بواسطة جبريل عليه السَّلام. وقد تمَّ إلقاء القرآن وتنزيله وَفْق الآتي:

الله
↓
جبريل ← الوحي ← الرَّسول ﷺ.

فصورة الاتصال المطروحة في هذا الشكل هي صورة الاتصال عبر وسيط هو جبريل عليه السَّلام، لكن هذا التَّصور يترك مجال الفكر مفتوحًا في كيفية الاتصال بينَ الله وجبريل من حيث الشفرة المستخدمة في هذا الاتصال، وبين جبريل والرسول ﷺ من جهة أخرى من حيث كيفية التلاقي ما دامت الشفرة المستخدمة بينهما هي اللغة العربية(١٠).

فالرسول ﷺ، هو المتلقي والمستقبِل الأول للقرآنِ الكريم، وكان يملك من المؤهلات اللغوية والبلاغيَّة ما تمكنه من تلقي الخطاب القرآني وأخذَه عن اللهِ ﷻ، يصفُ الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) بلاغته وفصاحته، ﷺ، بقوله: "وهو الكلام الذي قَلَّ عددُ حروفِه، وكَثُر عدد معانيه، وجلَّ عن الصَّنعة، ونزه عن التَّكلف (...) واستعمل المبسوط في موضعِ البسْط، والمقصور في موضع القصْر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي (...) لم يسمع النَّاس بكلامٍ قط أعمّ نفعًا، ولا أصدَق لفظًا، ولا أعدَل وَزنًا، ولا أجمَل مذهبًا، ولا أكرَم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أوضح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ"(١١).

هذه الصِّفاتُ التي أوْردها الجاحظ عن المؤهِّلاتِ اللغوية التي تفتَّقت بعد تلقيه للنَّص؛ ليست مجرد تكلف في الامتداح والتَّجويد، ولكنها مُسْتَنبَطَة فعلًا مِمّا عُرِفَ عن النَّبيِّ ﷺ "وكل ما صحَّ عنه فهو موصوفٌ

(١٠) **للإجابة عن التساؤل**: ما الذي نزل به جبريل عليه السلام من القرآن، أهو النص بمضمونه وصياغته، أي لفظه ومعناه، أم هو المضمون أي المعنى والمحتوى؟ يعني هل كان الاتصال بين جبريل ومحمد وحيًا بمعنى الإلهام، أم كان وحيًا بمعنى القول؟ ينظر: حكيمة بوفرومة، **المتلقي في الخطاب القرآني**، رسالة دكتوراه، (الجزائر: جامعة مولود المعمري: تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي)، ص٢٧ وما بعدها.

(١١) أبو عثمان الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق: فوزي عطوي، (بيروت: دار صعب، ١٩٦٨)، ط١، (١/٥٤-٥٥).

بالبلاغةِ العالية"[١٢]. كما إنَّ بلاغة القول النَّبوي "قد بلغت كمال البيان البشري"[١٣]، ولهذا النوع من البيان موقعٌ عظيمٌ؛ لأنه يعتمد على كشفِ المعنى وإيضاحه حتى يصل إلى النفوس على أحسن صورة وأسهلها، وهي إحدى ثمار التلقي التي وقعت للنَّبي ﷺ.

ثمَّ امتدَّ التَّلقي إلى كلِّ المخاطَبين الذين شاهدوا النُّزول القرآني وعاينوا وقائعه، وقد حَرِصَ النَّصُّ القرآني منذ نزوله على قلبِ النَّبي محمَّد ﷺ، أن يخلقَ نوعًا من التَّواصل والتَّفاعل بينه وبين متلقيه[١٤] كما سيأتي معنا، فجاءَ بلسانٍ عربيٍّ مبين، وعلى معهود العرب في القول وأساليبهم في البيان، ليكونَ أدعى للقبول، والتَّحدي، في الوقتِ ذاته.

يقول الله: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**) يوسف: ٢،، ويقول أيضًا: (**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**) فصلت: ٣؛ فالغاية أن يعقلوه ويتدبروه، ويَعلموه ويفهموه حين يتلقونه بلغتهم وبلسانهم الذي يعرفون، ثمَّ يكشفوا عن علومه وحقائقه ويظهروا بلاغته وأسرار إعجازه.

وبهذا يَتّضح أنَّ الموجِّه الأكبر لعملية التَّلقي والذي أعطاها سمة منهجية منذ وقت مبكِّر هو القرآن الكريم كما يقول الشَّهْرَزُوري[١٥]؛ فلم يمض على نزوله إلا سنوات حتى ظهرت على إثره وتحت تأثير أسلوبه بَواكِير علمية نَضِجَت فيما بعد على شكل علوم مرسومة الحدود، واضحة المعالم، كعلم التفسير، وعلم أصول الدِّين، والفقه، والعلوم اللغوية، إذ "التاريخ يحدثنا أنَّ هذا كان شأن القرآن من الثقافة العربية الإسلامية، وأنَّ

---

(١٢) أ.د عبد الرحمن بو درع، **نحو قراءة نصية في بلاغة القران والحديث**، (قطر: كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد ١٥٤، ربيع الأول ١٤٣٤هـ، السنة الثالثة والثلاثون)، ص٩٨ .

(١٣) محمَّد لطفي الصَّباغ، **خصائص معاني الحديث النَّبوي كتاب الحديث النَّبوي، مصطلحه، بلاغته، كُتُبُه**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢-١٩٨١)، ط٤، ص٥٩ .

(١٤) ما يميز نظرية التَّلقي الحديثة أنها تُرَكِّز على عمليةِ القراءة، ومن ثمَّ فالمتلقي هو قارئ النَّص. أمَّا ظاهرة التلقي عند العرب فهي ظاهرة قامت على السَّماع أولًا ثمَّ القراءة ثانيًا. ولذلك، عندما نتحدث عن متلقي القرآن فإننا نقصد القارئ والسَّامع معًا. فالسَّامع يستمع إلى القرآن يرتل، فيتأثر به ويستجيب له كما قال الله تعالى ﴿وَإِذا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤. فالقراءة والاستماع طريقتان في التَّلقي لازمتا النَّص القرآني منذ نزوله على قلب النبي محمد عليه الصلاة والسَّلام. ينظر: د. مليكة حفان، **نظرية التلقي في التراث البلاغي العربي**، (بني ملال: مجلة الإحياء، كلية الآداب، العدد ٣٩ و٤٠، صفر – ديسمبر، ٢٠١٣)، ص١٩٦.

(١٥) ينظر: د. يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السَّرد القرآني، (دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠)، ط١، ص٢٢.

دراسات القرآن كانت العامل الأكبر في العناية بتدوين اللغة، الشعر، ورواية الفصيح، وبحث طرائق اللغة في التعبير، وأساليبها في البيان"(١٦).

هذا التَّوجه نحو المتلقي له ميزةٌ ظاهرةٌ في النَّص القرآنيّ، وسمة من سماته الكثيرة، وهو يتجلى في مخاطبةِ الأنبياء چ للأقوام الخارجة عن الإيمان، فأسلوب الحوار وطريقة التَّخاطب التي يستخدمها الأنبياء چ وما تتضمن من أبعادٍ نفسيةٍ وجمالية، تحمل المتلقي على الإنصات لقوة المحاجة العقلية ووضوح البيِّنة، فيقفُ متأثرًا مفكرًا في الكلام نفسه، وفي أبعاده القصيَّة التي تظلُّ لصيقة بالذَّاكرة، قال تعالى: **(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)** غافر: ٢٨.

يرى الأستاذ محمَّد المبارك أنَّ النَّظر في هذه الآية الكريمة يكشفُ نوعًا خاصًّا من توجه النَّص نحو المتلقي، ذلك المتعلق بالإقناعِ والتَّأثير، والحوار، والدَّليل البياني، واستمالة المتلقي بلطف، على الرَّغم من الحجةِ الواضحة، التي يضعها النَّص أمام المتلقي.. وفي النَّص القرآني هذا، ضربٌ من التَّحذير وردٌّ بصورةٍ لطيفة سهلة يَقْتَضيها السِّياق، إذ لم تبدأ الآية بالتَّحذير، بل بالحَثِّ على الرؤية والتفكير والتمعُّن(١٧)، أمَّا السؤال الذي استخدم حرف الاستفهام (الهمزة) فقد تُرِكَ دونَ جواب؛ لأنَّ الجواب مضمَّنٌ فيه، وعلى المتلقي إخراجه، وقد يقود هذا التساؤل إلى التوبيخ من نية القوم في قتل رجلٍ لمجرد قوله ربي الله، وبعد أن أخذ النَّص من المتلقي انتباهه كله، عضد ذلك بالنَّصيحة الصَّادقة وهي اغراء المتلقي للتمعُّن من جديد في جوهرِ الآية، أي إنكم إن عدلتم عن القتل فإنَّ النَّفع أكيد، بينما القتل ليسَ فيه إلا الضَّرر(١٨).

قال ابن الأثير (ت: **٦٣٧هـ**) معلقًا على هذه الآية "ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه، فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم، فقال: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبًا، فكذبه يعود عليه، ولا تعداه، أو يكون صادقًا، فيصيبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له. وفي هذا الكلام من حسنِ الأدب، والإنصاف ما أذكره لك، فأقول: إنما قال: (يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) ، وقد علم أنَّه نبيٌّ صادقٌ،

---

(١٦) د. محمد زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، (المنيرة: مكتبة الشباب، ط١، ص١٠.

(١٧) ينظر: د. محمد المبارك، **استقبال النص عند العرب**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩)، ص١٧.

(١٨) ينظر: المرجع نفسه، ص١٧.

وأنَّ كل ما يعدهم به لا بد وأن يصيبهم، لا بعضه؛ لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى، أن يسلك معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، ليكون أدعى إلى سكونهم إليه"(١٩).

وعن العلاقة بينَ النَّص القرآني والمتلقِّي، يقول جاك بيرك (ت: ١٩٩٥): "تتجاوز علاقة الشَّخص بما يتلقَّى إلى علاقة الشَّخص بما يصير إليه؛ لأنه ينتقل إذ يتلقَّاه نظامًا وأداءً من كائنه الشَّخصي إلى كائنه النَّصي، ويقومُ به عقيدة أساسها التَّوحيد، وإنه ليصبح في انتقاله هذا بنية رمزية، وكينونة إشارية، يمكن للمرء أن يقرأ فيه كل النُّصوص التي تنتظم داخل البنية الإسلامية، وكل النُّصوص التي تفسر دلاليًا كينونتها الإشارية، وتعطيها سمْتها الخلافي تميزًا وفرادة داخل النَّسق الإسلامي(٢٠).

وفي إشارةٍ عزيزةٍ لبيان مناسبة النَّص القرآني لحالِ المتلقي، تقول الدكتورة مليكة حفان: "تعدُّ هذه المراعاة للحالةِ اللغوية للعربِ وجهًا من وُجوه الإعجاز في القرآن الكريم؛ فهو موجَّهٌ لكلِّ المخاطبين به من عامةٍ وخاصة، ملوك وسوقة، أذكياء وأغبياء، وكل مخاطَب يفهم معانيه بقدر طاقته العلمية والفكرية واللغوية"(٢١). وفي كتابه أحسن الحديث، يقول سعيد رمضان- رَحِمَهُ الله-:"معاني القرآن مَصُوغَة بحيث يصلح أن يخاطَب بها النَّاس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم، وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم (...) ولسنا نقصد أنَّ الآية تحتملُ بذلك وجهيْن مُتَنَاقِضيْن أو فهميْنِ متعارِضَيْن، بل هو معنى واحد على كلِّ حال، ولكن له سطحًا وعمقًا وجذورًا، يتضمنها جميعًا أسلوب الآية. فالعامي من النَّاس يفهم منه السَّطح القريب، والمثقَّف منهم يفهم معنىً معينًا من عمقه أيضًا، والباحث المتخصِّص يفهم منها جذور المعنى كله"(٢٢).

وعليه، فإنَّ مخاطب القرآن هو كلُّ من يتلقى الخطاب أفرادًا وجماعات، في عصْر النُّزول وبعده، وفي الحال والمستقبل، وهذا التَّحديد هو مقتضى الجمع بين صفات (المخاطِب) بالكسر وعالمية الرِّسالة النَّبويَّة. كما أنه _ أي المتلقي في القرآن_ هو ذلك الذي يُعمِل الفكر لكي يتحصل المعنى تحصيلًا ويستخدم طاقة الخيال لرؤية ما يوحي به النَّص.

---

(١٩) ضياء الدين بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، (الفجالة – القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع)، (د.ت)، (٢/ ٢٠٥).

(٢٠) ينظر: جاك بيرك، **القرآن وعلم القراءة**، ترجمة: د. منذر عياشي، (بيروت: دار التنوير)، (د.ت)، ط١، ص١٤.

(٢١) ينظر: د. مليكة حفان، **نظرية التلقي في التراث البلاغي العربي**، ص١٨٩ .

(٢٢) سعيد رمضان البوطي، **أحسن الحديث**، (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٦٨)، ص١٠١.

المطلب الثاني: مستويات تجليات النص القرآني نحو المتلقي

يتجلى التَّوجه القرآني نحو المتلقي في عدةِ مستويات(٢٣):

أولًا: مستوى ثقافي فكري: متمثِّلٌ في وجودِ آيات مُحْكمات وآيات متشابهات، فقد كانَ هذا التَّمييز بينَ نوعيْن من الآياتِ مثار سؤال لفكر المتلقي، واتساع مجالات البحث في القرآنِ الكريم بمحْكَمه ومتشَابهه، وما يحتويه من حقيقةٍ ومجاز، وصريحٍ وكناية، وتنوع دلالات الألفاظ والجمَل(...) كلّ ذلكَ فيه مراعاة لطبيعةِ المتلقين، واختلافهم في درجاتِ الفهْم.

ثانيًا: مستوى تربوي اجتماعي: متمثِّلٌ في نزولِ القرآن منجَّمًا مدة ثلاث وعشرين سنة، متجاوبًا مع الأحداث التي أحاطت بالنَّبي ﷺ والمؤمنين، وفي ذلك حِكْمة هي رعاية حال المخاطبين، وتلبية حاجاتهم في مجتمعهم الجديد، وعدم مفاجأتهم بتشريعاتٍ وعادات وأخلاق لا عهدَ لهم بمثلها.

ثالثًا: مستوى ثقافي: فقد تركَ الله تعالى أمر كتابةِ الوحي إلى المتلقي، فلم ينزل مكتوبًا في الألواحِ كما كان الأمر مع التَّوراة التي نزلت جملة واحدة في الألواحِ على موسى عليه السَّلام، وهذا يرمز لأثر المتلقي في حمْلِ أمانة كتابة القرآن.

رابعًا: مستوى فنّي قصصي تاريخي: إذ يهدفُ الخطاب القرآني إلى خلقِ وعي تاريخي لدى المتلقي من أجل تعميق تواصله مع واقعه، وذلكَ من خلال الاهتمام بالقصَّةِ التي شغلت حيّزًا كبيرًا جدًا مقارنةً بآياتِ الأحكام.

خامسًا: ومن مستويات التَّوجه القرآني المبكِّر نحو المتلقي، **المستوى الجمالي**، ويتجلى في توظيفِ أدوات الإثارة الفنيَّة بأنواعها المختلفة، لإثارة المتلقي، وشد انتباهه، وتعميق التواصل بينه وبين النَّص القرآني. إذ يستخدم الأسلوب القرآني عنصر التّكرار حينًا، وعنصر المفاجأة حينًا آخر، وأسلوب الفرز لظاهرة ما بين الظواهر، ناهيك عن أساليب المسكوت عنه، والحذف، وإشراك المتلقي كعنصر أساسي في الخطاب عبر توجيه الخطاب إليه مباشرة، فضلًا عن أسلوب التنويع الموضوعي في الأداء، وغيرها من الأساليب الجمالية الفنية.

لقد وجد هذا التوجه القرآني المبكر نحو المتلقي مسلكه إلى الدراسات البلاغيّة والنقديّة مبكرًا، ولا غرابةَ في ذلك إذا علمنا أنَّ الدِّراسات البلاغية قد نشأت في أساسها لتخدم قضية الإعجاز في القرآنِ الكريم.

وما كتبه علماؤنا في كتبهم يثبتُ أنهم عرفوا أركان هذه النَّظرية، ولكن ليس بمفاهيم نظرية التَّلقي الألمانية نفسها، ولا مصطلحاتها، ولا بالخلفية الفلسفية والنقدية نفسها التي ارتكزت عليها، وبحثوا قضاياها؛ لكن بعناوين ومسميات اِنبَثَقَت من طبيعةِ الثَّقافة العربية(٢٤)، ومن الظَّرفية التَّاريخية التي أُنْتِجَت فيها؛ وأنهم

(٢٣) ينظر: الشهرزوري، **جماليات التلقي في السرد القرآني**، ص ٢٣.

(٢٤) استعمل اللغويون والنُّقَّاد العرب مصطلح المخاطَب أو السَّامع أو الجمهور بدلًا من المتلقي، والمؤدَّى واحد.

وفقوا إلى الحديثِ عن العلاقة الوثيقة التي تربط النَّص بمتلقيه، وبمدى قدرة هذا المتلقي على فهم النَّص واستيعابه، واكتشاف ما يحمله من معانٍ ودلالات، وما يكتنفه من قِيَم(٢٥).

وجِماع القول: إنَّ النَّص القرآني راعَ حالَ المتلقي والتفتَ إليه، وعني به، ونوَّه إلى ذلكَ في تضاعيفِ بيانه، وإنَّ المتأمِّلَ في سوَرِه وآياته، يلمسُ التَّنوع البديع الذي حفل به النَّص في خطابِه لمتَلقِيه، من حيث تكوين المعنى (البُعْد المعرفي)، والتَّأثير الانفعالي ومستواه (البعد الوجداني)، التأثير العملي ومستواه (البعد الإجرائي)، وهذا التنوعُ في مضامين الخطابِ لم يكن عبثًا، وإنما صِيغَ على هذا النَّحو لأسرارٍ وحِكَمٍ أرادها الله , من خِطابه، وكلما أحْكَمَ المتلقي قراءة النَّص وأحْسَنَ تلقيه؛ حَصَلَ الفهْم، والنَّفاذ إلى سَبْرِ أغْوارِه، وبالقدر الذي يظهر فيه النَّص بيانًا جليًا للمتلقي، يتركُ مساحة من التَّعْقيد – إن صحَّ قولُ ذلك – لتفعيلِ معاني التَّفكر والتَّدبُّر والنَّظر، وتحقيق مفاهيم الامتثال عند ردِّ (المتشابه) الذي تُرِكَ له مساحة للقراءةِ، إلى (المحْكَم) المبيَّن الواضِح. وإنَّ أعظم من تلقَّى النَّص الإلهي واستقبله، ووعاه، وبلَّغه وَفْق قراءته الرَّبانية التي مُنِحْها، هو النَّبي ﷺ، حين تلقَّاه، فتشكَّلت لديه الرؤية الإلهية في فَهْمِ المرادِ من الآيات المنزلة عليه تباعًا.

المبحث الثاني: تشكيل التلقي في تفسير النَّص القرآني

المطلب الأول: العناصر المؤثِّرة في تشكيل المتلقي المفسر

ما فتئ النَّاس مُذْ نزول القرآن الكريم يسعونَ إلى كشفِ أسراره، وبيانِ معانيه ومقاصده؛ وإنَّ إدراكَ معاني القرآن كانتِ بسؤال النَّبي ﷺ، عنها مباشرة، أو بإدراكها من جهةِ العلم بلغةِ العرب، وأشعارهم، وأمثالهم، بما تقتضيه اللغة من معانٍ، وما تحمله الألفاظ من دلالات، ومنها ما يكون إدراكه بما يتوفر من أدواتٍ مساندةٍ للفهم، ومنها ما يصل إليه الإنسان بعقله واجتهاده، ومنها ما يعجز الإنسان عن الوصول إليه إلا بفتحٍ رباني.

وقد كان المسلمون في عهد الرسول ﷺ يختلفون في مقدار فهمهم للقرآن تبعًا لاختلاف حظِّهم من أدواتِ الفهم ووسائل المعرفة، ومع تَوَفُّر العلم باللغة وألفاظها، ومعرفة مذاهب العرب وطرائقها في الأساليب، ثمَّ الإلمام بالظروف التي صاحبت النزول، بقيت بعض الآيات، وقد استأثر الله بعلم تأويلها، ولم يجعل لأحدٍ سبيلًا إلى معرفتها، ومن هنا نخلص إلى أنَّ من القرآن ما وقفَ العرب جميعًا على معناه، ومنه ما كان العلماء

(٢٥) ينظر: مليكة حفان، **نظرية التلقي في التراث البلاغي العربي**، ص١٨٠.

وحدهم هم أهلًا لبيانه، ومنه ما استأثر الله به دون خلقه، ومنه ما اختصَّ الله به رسوله، فلا يدرك علمه إلا ببيانه، ومن هنا كانت حاجة النَّاس إلى التفسير(٢٦).

ويأتي اهتمامنا للتَّلقي في التفسير باعتباره قراءةً للنَّص القرآني، وامتدادًا لتلقي السَّابقين، كما يكشف عن وجود نوع من المتلقين، وهو (المتلقي المفسِّر) الذي ارتبطَ في النَّص القرآني بالرسول ﷺ، ذلك أنَّ القراءة في كلِّ الأحوال تكون "ذات سبق وامتياز، تنفتح على التدبر والتفكر والنظر، والقلب، ما دامت تقف إزاء كون حافل بالعلامات"(٢٧).

ويرجع السبب في تناول تفاسير القرآن الكريم في سياق الحديث عن قضية التلقي في النَّص القرآني، لأسبابٍ عدَّة، من أهمها(٢٨):

١- أنَّ نظرية التَّلقي في النقد الغربي الحديث انطلقت من الهرمنيوطيقا التي كانت تُعنى بتفسير النُّصوص الدينية، وكان تعدد التفاسير حولها هو البذرة التي نشأت منها. وفي تراثنا العربي الإسلامي نجد أنّ تفسير القرآن الكريم وما نشأ حوله من اختلافات [في التلقي] تعود في أصولها إلى جُذور مذهبيّة فكريّة في الغالب، ولذلك لا تَبدُو المسافة بعيدة بين الدراسة النظرية لهذا الاتجاه النقدي وبين التطبيق على النص القرآني.

١- ومن أسباب تناول التَّفاسير في هذا السِّياق أيضًا هو أنَّ ممارسة علماء التفسير لعملية شرح النَّص القرآني المقدَّس وتأويله تمثل الجانب التطبيقي الذي نقل لنا بعض ما عرفته الثقافة العربية الإسلامية من ملامح نظرية التلقي الحديثة، بحيث يدعم الأفكار النظرية التي تناثرت في كتب التراث.

وقد شَكَّلت تفاسير القرآن الكريم مادة خصبة يمكنُ من خلالها تلمُّس الدور الفَعَّال الذي كان يمارسه المتلقي في فترةٍ متقدِّمة من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، بغض النَّظر عن مدى وعي هذا المتلقي بما كان يمارسه، أو بما يترتب على ممارسته تلك، ولعلَّ التَّطبيق العملي على بعض نماذج التفسير وطرق تلقيه تكون كفيلة بتوضيح الفكرة وتقريبها للذِّهن.

ولعلَّ التنوع الذي لَقِيَه النَّص القرآني في بيانِه وتفسيره وتأويله، وطرق تلقيه "يوحي بقابليته للتأويل والحمل على أكثر من معنى، وعدم حصر معناه فيما أثر عن النبي ﷺ والصحابة، ودعوتهم إلى فتح باب

---

(٢٦) ينظر: حكيمة بوقرومة، **المتلقي في الخطاب القرآني** ، ص٨٦ .

(٢٧) حبيب مونسي، **فعل القراءة، النشأة والتحول، مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض**، (وهران، الجزائر: منشورات دار الغرب النشر والتوزيع، ٢٠٠١ – ٢٠٠٢)، ص ١٥٥.

(٢٨) ينظر: البريكي، **قضية التلقي في النقد العربي القديم** ، ص١١٠ .

الاجتهاد أمامَ كلِّ قارئ لكتابِ الله عزَّ وجل"[٢٩]، دون إخلالٍ بِبنية النَّص، مع التَّزوُّد بالآلةِ المؤهلة لذلك، والإفادة والبناء على جهد من سبقَ في فهم النص وتلقيهم.

وقد اتضح من خلال ما خلفه العلماء المفسرون قابلية النَّص القرآني لاستيعاب عدد كبير من التفاسير التي اختلفت نتيجة لاختلاف مفسريها واختلاف فئاتهم ومذاهبهم وأجناسهم وثقافاتهم، إلا أنه كان في الغالب اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد كما يذكر السيوطي في قوله: "وغالبًا ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد"[٣٠].

وقد تفاوَت المسلمونَ في فهمهم للقرآنِ الكريم وإدراكهم لمعانيه وتلقيه، ورد بعضهم ذلكَ إلى الفروق الفرديَّة القائمة بين النَّاس عامَّة، كما تفاوت الصَّحابةُ في فَهْمِ القرآن، ويرجعُ ذلكَ إلى تفاوتهم في القوَّة العقليَّة، وتفاوتهم في معرفةِ ما أحاطَ بالقرآنِ من ظروفٍ وملابسات، وكانوا يتفاوتونَ في معرفةِ المعاني التي وضعت لها المفردات.

المطلب الثاني: عوامل تعدد التلقي في تفسير النص القرآني

تشير بعض كتب تفاسير القرآن الكريم، بتعددها واختلافها في طريقة تناولها للنَّص القرآني، ومن ثمَّ اختلافها في المعاني التي يَتَوَصّل إليها كل تفسيرٍ منها، إلى وجود شكلٍ من أشكالِ الإقرار بتعذُّر وجود معنى واحد للنَّص أي نصٍّ كان. ولكن التَّفاسير لا تتناول أي نص، بل تتناول نصًّا له قَدَاسَته ومكانته في الثقافة العربية الإسلامية، ومن هنا جاءت صعوبة تناوله كما تتناول بقية النصوص، وتبدى الحرج على كل من يحاول الخوض فيه شرحًا وتفسيرًا.

---

(٢٩) من الأقوال التي يتضح من خلالها وعي العلماء القدامى بقابلية النَّص للتأويل والحمل على أكثر من معنى، ما أُثِرَ عن السَّلف، في قولهم: "لكل آية ستونَ ألف فهم"، وقولهم أيضًا: "لكلِّ كلمة ظاهر وباطن وحدٌّ ومطلع". كما أُثِرَ عن أحد أئمة الصُّوفيَّة، وهو سهل بن عبد الله التُسْتَرِي (ت:٢٨٣) قوله: "لو أعطي العبد بكلِّ حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه لأنه كلام الله، وكلامه صفته، كما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله عليه". ينظر: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، **تفسير التستري**، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ)، ط١، ص٩٨؛ جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م)، (٤/ ٢٢٦)؛ البريكي، **قضية التلقي في النقد العربي القديم** ، ١٠٩.

(٣٠) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن** (٢/ ٢٢٦).

ورغم ما أحاط به من قداسة وتهيب خشية الاستئثام بتفسيره تفسيرًا يخالفُ ما يضمه بين دفتيه من معان، يفاجأ الباحث في مكتبة تفسير القرآن الكريم بضخامتها وكثرة ما فيها من تفاسير تتنوع بتنوع مذاهب من تناول هذا النَّص المقدس بالتفسير، واتجاهاتهم، وميولهم.

وبإمكاننا أن نوجز عوامل تعدد التلقي في التفسير على النَّحو الآتي(٣١):

١) **محوريَّة النَّص القرآني في الحضارةِ الإسلامية**

وذلك لأنه النص المقدس فيها، وهو المِحْوَر الذي تدور حوله معظم العلوم والدراسات العربية والإسلامية، لذلك لا يتردد البعض بأن يطلق عليها اسم (حضارة النَّص)(٣٢). أو (حضارة الكلام)(٣٣)، حيث من الطبيعي أن تتعدَّد الدراسات والتَّفاسير حول نصٍّ ما إذا كان هذا النَّصُّ محوريًّا في حضارةٍ معينة.

٢) **طبيعة النَّص القرآني**

إذ يوجد فيه من الآيات محكَمٌ ومتشابه(٣٤)، وذلك لما جاء في قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)** سورة آل عمران:٧. يقول الزمخشري (ت:٤٧٠) في تفسيره لهذه الآية :"لو كان (القرآن) كله محكمًا لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لَعطلوا الطَّريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح

---

(٣١) ينظر: البريكي، **قضية التلقي في النقد العربي القديم** ، ص١١١، ١١٦. محمد علي الرضائي، **مناهج التفسير واتجاهاته**، تعريب: قاسم البيضائي، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١١)، ط٣، ص٢٢.

(٣٢) ينظر: أبو زيد، **مفهوم النص**، (الدار البيضاء، بيروت– لبنان : المركز الثقافي العربي، ٢٠١٤)، ط١، ص٩.

(٣٣) ينظر: عبد الرحمن عبد الهادي، **سلطة النص**، (لندن، بيروت: سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، ١٩٩٨)، ط١. ص٧٢.

(٣٤) المراد به هنا ما يتعلق بالمتشابه النِّسبي الذي قد يخفى على قوم، فإنَّ له تفسيرًا يعلمُه الرَّاسخونَ في العلم، وإن جَهِلَهُ أقوامٌ: أمَّا المتشابه الكلي، وهو ما استأثرَ الله بعلمه، فإنَّه لا يدخل في علم التَّفسير البتةَ؛ لتعلُّقه بغيبياتٍ لا يعلمُها إلا الله، ومن ادعى علمها، فقد كَذَبَ، كزمنِ وقوع المغيبات وكيفيات المغيبات. ينظر: د. مساعد الطيار، **مصنفات كتب التفسير**، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ)، ط٢، ص١٧.

في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله"[٣٥]. وهذا ما ذهب إليه السيوطي أيضًا في حديثه عن المحكم والمتشابه في القرآن الكريم[٣٦]. وهكذا، فقد أسْهَمَتْ طبيعة النَّص القرآني نفسه في اختلاف فهم النَّاس له، وتأويلهم لمعانيه، وخصوصًا المتشابه منها.

ومن هنا يمكننا الحديث عن رأي غادامير (ت:٢٠٠٢) عندما أشار إلى أنَّ النصوص تنطوي على خليطٍ معقَّد من أصنافِ القرَّاء، يمكن أن يكون من بينهم من لا يتوجَّه إليه النَّص، ويمكن أن يتوجه إليهم كلّهم أصلًا[٣٧]، وهذا ما عبرت عنه الآية حين خصَّت الآيات المتشابهات بالرَّاسخينَ في العلم دون غيرهم[٣٨]، بينما توجَّهت الآيات المحكمات إلى كلِّ الطَّبقات.

إنَّ هدف المتشابهات التي وردت في القرآن، هو أن يتدبَّر المتلقي تلكَ الآيات، ويجول العقل آفاق معانيها، ويستمد الكثير من معطياتها "إذا لو كانَ القرآن كله محكمًا لا يحتاج إلى تأويلٍ ونظر، لاستوت منازل الحق ولم يظهر فضل العالم على غيره"[٣٩].

ويعتبر بعض العلماء المحكم مركزًا دلاليًّا يرجع إليه كثير من الأحيان، والنص القرآني قد جعله لهداية البشر جمعاء، عقيدة وشريعة، وقد خص الله سبحانه نفسه بعلم المتشابه هو والراسخون في العلم، الذين يطمئنون بفطرتهم إلى صدق كل ما يأتيهم من عند الله فلا يجدون من عقولهم شكًّا فيه "لأنهم يدركون أنه من العلم ألا يخوض العقل فيما لا مجال فيه للعلم، وفيما لا تؤهله وسائله وأدواته الإنسانية لعلمه"[٤٠].

---

(٣٥) أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ط٣، (١/ ٣٣٨).

(٣٦) ينظر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن** (٢، ١٣).

(٣٧) ينظر: الشرفي، **من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة**، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٧)، ط١، ص٣٩.

(٣٨) في قوله تعالى: (والراسخون في العلم يقولون آمنَّا به)، لا يخفى أنَّ هذه الواو محتملة للاستئناف، فيكون قوله: (والراسخون في العلم) مبتدأ، وخبره يقولون، وعليه فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله وحده، والوقف على هذا تام على لفظة الجلالة، ومحتملة لأن تكون عاطفة، فيكون قوله: (والراسخون) معطوفًا على لفظ الجلالة، وعليه فالمتشابه يعلم تأويله: (الراسخون في العلم) أيضًا، وَكِلا القولَيْن مرويٌ عن ابن عباس. ينظر: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت – لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م)، (١/ ١٩١).

(٣٩) السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٩)، (١/ ١٥٨).

(٤٠) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (بيروت– القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ)، ط١٧، (١/ ٣٧٠).

وبذا تقرّر حكيمة أنَّ محكم القرآن موجَّهٌ لكلِّ القُرَّاء مهما كانَ نوعهم، على أساس أنه يحتمل وجهًا واحدًا ولا تتعدد أَوْجُهه، بينما وجَّه المتشابه إلى طبقة معينة من القراء، وهم الراسخون في العلم(٤١)، ذلك أنَّ "التَّأويل ليسَ ضربًا من التخمين أو الإخضاع المتعسف للنَّص القرآني حتى يساير مفاهيم المفسِّر وأفكاره أو الاعتناء بالمتشابه من الآيات، إنه صرف الآية إلى ما تحمله من المعاني الموافقة لما قبلها وما بعدها، وهو عمل استنباطي تساهم فيه علوم القرآن وتعضده المفاهيم الأساسية للقرآن"(٤٢).

ثمَّ إنَّ الراسخين في العلم قد اختارهم الله لتأويل آياته المتشابهات دون غيرهم من أجل الاضطلاع بمهمة الكشف واستجلاء غوامض تلك الآيات، فهم يمتلكون الخبرة والذوق الجمالي، وهم من صفوة العلماء المتمرسين، يعول عليهم في فهم هذا النوع من آيات القرآن الكريم، لكون حياتهم تخضع لمنهجية علمية دقيقة، حتى لا يترك الأمر على عواهنه فيتجرأ على النص القرآني كل دخيل للعبث به.

٣) **طبيعة العقل البشري**

وهي تختلفُ من شخصٍ لآخر لاختلافِ المرجعيات الثَّقافية والحضارية التي تؤثر على طريقة فَهْمِ النَّص وتناوله، كما تختلفُ باختلافِ الأدوات التي يستخدمها كلّ مفسرٍ في مواجهته للنَّص، ويختلفُ فهمه له على ضوئها. واختلاف طبيعة العقل البشري من شخصٍ لآخر وتباين مستويات الفهم بين النَّاس أمرٌ طبيعي، وبه يكون تفاضل النَّاس فيما بينهم على قدر أفهامهم، وعلى قدر ما تمدهم به عقولهم من معان تختلفُ من شخصٍ لآخر.

ولقد كانَ اختلاف المرجعيات التي ينطلقُ منها كل مفسِّر سببًا رئيسًا في اختلافِ المعاني والتَّأويلات التي يتوصلُ إليها كل منهم، حيث يتأثر التَّفسير بالعلومِ والمعارف التي يلقى بها المفسر النَّص، ويستعين بها في استجلاء معانيه"(٤٣)؛ فكل من يتناول نصًّا – أيُّ نصٍّ كان– بالتفسير لا بدَّ من أن يلون هذا النَّص بتفسيره له وفهمه إياه، والذي يحدِّد هذا الفهم هو المستوى الفكري له، وهو الذي يعين الأفق العقلي له. وعلى هذا وجدت آثار شخصية المفسرين للقرآن الكريم تطبع تفسيرهم له في كل عهد وعصر، وعلى أي طريقة ومنهج: سواء كان تفسيرًا نقليًّا مرويًّا أم عقليًّا اجتهاديًّا(٤٤).

---

(٤١) ينظر: حكيمة بوقرومة، المتلقي في الخطاب القرآني ، ص٩٩.

(٤٢) أحميدة النيفر، **الإنسان والقرآن وجها لوجه**، (بيروت– لبنان: دار الفكر المعاصر، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠)، ط١، ص١٤٨.

(٤٣) فينيسك وآخرون، **دائرة المعارف**، ترجمة: محمَّد بن ثابت الفندي وآخرون، (طهران: انتشارات جهان، نسخة عن طبعة القاهرة ١٩٣٣)، (٥/ ٢٦٢).

(٤٤) ينظر: المرجع نفسه (٥/ ٢٦٢).

٤) **تعدُّد الفِرَق السِّياسيَّة والمذاهب الدِّينية**

حيث سعت كل فِرقة إلى استخراج، وأحيانا إيجاد، ما يدعم أفكارها ومذهبها من النَّص القرآني، ويثبت عقائدها وآراءها، عن طريق التماس تلك المعاني في آيات القرآن الكريم حتى تعضد به موقفها السِّياسي والديني على حدٍّ سواء، لا سيما وأنَّ افتراقهم كانَ بادئ ذي بدء على أمورٍ تمسُّ العقيدة والتَّوحيد، مثل الخلاف بين الخوارج والمرجئة حول حكم مرتكِب الكبيرة، أو الخلاف على قضية خلق القرآن.. أو غيرها من القضايا العقائدية التي نتجت عنها الفرق الإسلامية فيما بعد(٤٥).

وقد كانَ التَّسلُّح بالفكر الديني الذي يلتزم النَّص القرآني لمواجهة الصِّراع الفكري جنبًا إلى جنبٍ مع الصِّراع السِّياسي العسكري أمرًا لا بدَّ منه للفِرق الإسلامية على اختلافها، وذلك لإضْفَاء الصبغة الدينية العقائدية على أفكارها، لذا لم تتردد أي فرقة منها في البحث والتنقيب بين دفتي القرآن الكريم لالتقاط كل ما يمكن أن يبرر فكرها أو يسوغ رأيًا من آرائها(٤٦).

٥) **اختلاف المصادر وأدوات التفسير**

أحد العوامل المؤثرة في نشوء وتطور طُرُق التلقي في التفسير، هو استفادة المفسرين من مصادر وأدوات مختلفة في تفسير القرآن الكريم، فبعض المفسرين استفاد من العقل أكثر من غير، واتجه إلى المنهج العقلي والاجتهادي في تفسير القرآن، في حين أكثر بعضهم من الروايات في التفسير، واتجه إلى المنهج والطريق الروائية أو ما يسمى المأثورة والنقلية، بينما نجد من استخدم العلوم التجريبية في تفسير القرآن، واتجه إلى طريقة ومنهج التفسير العلمي، وهناك من اختار المنهج الإشاري، والاتجاه العرفاني والصوفي في التفسير؛ لأنهم استفادوا من المكاشفات(٤٧) العِرفانية في التَّفسير.

---

(٤٥) للوقوفِ بصورة موسعة على فَهم طرق الاحتماء بالنَّصِّ القرآني، وتعدد المدارس الي تناولت النص القرآني، ومنشأ الخروج عن تلقي الجيل الأول، وأسبابه، وآثاره، ومن ثمَّ الانتصار للعقائد، سعيًا لإكساب مَقولاتهم وطُرُق تلقيهم مشروعية من النَّص المؤسِّس. يراجع كتاب: ياسر المطرفي، **العقائدية وتفسير النص القرآني (المناهج الدوافع الإشكاليات المدونات دراسة مقارنة**، (المملكة العربية السعودية: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٦)، ط١.

(٤٦) ينظر: نصر حامد أبو زيد، **الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦)، ط٣، ص١٦.

(٤٧) والكشف من مصطلحات التَّصوف، وهو عندهم رفع الحِجاب والإطلاع على كل ما ورائه من معاني وأسرار، فإن كانت المشاهدة تختصُّ بالذوات، فالكشف يختصُّ بالمعاني والأسرار، فالمشاهدة طريق إلى العلم، والكشف غاية ذلك الطَّريق، وهو حصول العلم في النفس. ينظر: د. سعاد الحكيم، **المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة**، (بيروت: دندرة للطباعة والنشر، ١٩٨١)، ط١، ص٦٦٤.

وتعطي الاستفادة من هذه المصادر والأدوات نتائج خاصة في التَّفسير، وقد أدَّت إلى ظهور وتطور المناهج والاتجاهات المتعددة في تلقي التفسير القرآني، كما سيأتي معنا.

المبحث الثالث: طرائق واتجاهات التفسير وأثرها في تشكيل النص

المطلب الأول: التلقي اللغوي للتفسير (الذهنية اللغوية) نموذجًا

كان التفسير في مرحلة التأسيس يتصف بالإيجاز والاختصار، ولم يتم تفسير القرآن كاملًا. من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، وإنما كان المفسِّر يفسِّرُ الآيات التي يُسأَلُ عنها، أو التي تدعو الحاجة إلى تفسيرها.

وقد برزَ في مرحلة (التَّأسيس) اتجاهان واضحان بارزان في التفسير:

- **الاتجاه الأول: اتجاه التفسير بالمأثور**(٤٨):

كان يعتمد أصحابه على إيراد الأقوال المأثورة في تفاسيرهم، من أحاديث مرفوعة للرسول ﷺ، ومن أقوال للصَّحابة أو التَّابعين، يوردونها مسندة مكررة، وقد يوردون أكثر من طريق للرواية الواحدة(٤٩). وكان التلقي في هذه المرحلة يركز على تنقية النقول المتعلقة بالأخبار التفسيرية للناموس العام للأحاديث والأخبار النبوية: من احتمال الاختلاف، والخلط، والمجازفة، والوضع أو الثبات، والإتقان، والتحري، والتصحيح، فشملته قواعد النقد التي وضعت للأخبار بصفة عامة(٥٠).

- **الاتجاه الثاني: الاتجاه اللغوي:**

وكان أصحابه يفسّرون بعض كلمات القرآن تفسيرًا لغويًا بيانيًا، حيث يذكرون معنى الكلمة القرآنية في اللغة، واشتقاقها وتصريفها، ويوردون الشواهد الشعرية على ما يذكرون. كما اعتمد بعضهم المنهج النحوي، وهو علم ينتهي في أهدافه إلى أنه علم بيان المعنى يقوم على أساس التَّحليل البنيوي لمعنى التراكيب اللفظية بتحديد النسبة بين المفردات والتراكيب والعلاقة بينها.. واعتمد النَّحويُّون المنهج النحوي لتحليل

(٤٨) ينظر: محمد الفاضل بن عاشور، **التفسير ورجاله**، (مصر: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٩)، ص١٤.

(٤٩) من التفاسير المطبوعة التي تمثل هذا الاتجاه الأثري: «تفسير مجاهد»، و«تفسير الحسن البصري»، و«تفسير السدي الكبير»، و«تفسير قتادة»، و«تفسير مقاتل»، و«تفسير سفيان الثوري»، و«تفسير عبد الرزاق الصنعاني».

(٥٠) المرجع السابق، ص١٤.

المعاني القرآنية، ومعرفة دلالة الألفاظ من تحديد موقعها الإعرابي، منطلقين من أنَّ الإعراب في حقيقته تابعٌ للمعنى(٥١).

ومن التَّفاسير اللغوية المبكرة التي تمثل هذا الاتجاه: **مجاز القرآن لأبي عبيدة** مَعْمَر بن المُثَنَّى، **ومعاني القرآن لأبي زكريا الفَرَّاء، ومعاني القرآن للأخْفَش، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.**

وأخذ التلقي في هذا الاتجاه يأخذ منحى مغايرًا للاتجاه الأول، ويركز على اللغة العربية، وعلومها، وفنونها، محاولًا استنقاذ اللسان القرآني من الخلط والعجمة التي تسبب بها انفتاح الأمصار، وتلاقي الأفكار، وتعدد الألسن، وبعد الزمان عن الجيل الأول، الذي شاهد التنزيل، ووقف على أسرار الآيات ووقائعها، ومعانيها. "فالتأسيس للدرس اللغوي توثقت علاقته بالدراسات القرآنية؛ خاصة لما أحسَّ العرب المسلمون بخطورة المساس بلغة القرآن نتيجة للفتوحات الإسلامية ودخول الكثير من الأعاجم تحت راية الإسلام؛ فكانت العلاقة الوَطِيدة بين الدرس اللغوي والقرآن"(٥٢). فالاتجاه الأول حاول أن ينقي الروايات التي تمثل عمود التفسير، والاتجاه الثاني جهد في تنقية اللغة التي عليها مدار الفهم.

ولا يخفى أنَّ كل تفسير أو محاولة للنظر وتناول القرآن، هو قراءة جديدة للنَّص القرآني، حتى وإن استفادت ممن سبقها؛ إذ لو كانت ترى الاكتفاء بالمكتوب لما احتاجت إلى الشروع في التفسير، ولما كان المفسِّر ينظر إلى القرآن من تخصُّصِه الذي أسهمَ في تشكيل تصوراته، إذ تجد أنَّ كل مفسِّرٍ يكتبُ تفسيرًا ورؤيةً بالرغم من وجود من سبقه، وهي قراءة منتجة إذا ما استدركت شيئًا لم تنبه إليه القراءات السَّابقة عليها، خاصة حينما يمتلك المفسر خلفية ثقافية كبيرة تلقى بظلالها عليه عند قراءة النَّص.

ولهذا نجد أثر القرآن الكريم فيما تركه أئمة التَّفسير اللغوي في إرثهم التفسيري، من خلال الآيات التي كانت مصدرًا من المصادر الرئيسة التي اعتمدوا عليها، سواء كان ذلك في بناء القاعدة النَّحوية أم في الاستدلالِ بها(٥٣).

وكذا الآيات القرآنية التي تعرضوا لها بالشَّرحِ والتَّفسير من منطلق التلقي اللغوي، ولهذا نجد الزَّجاج (ت:٣١١) يقول: "وإنما نذكر مع الإعرابِ المعنى والتَّفسير؛ لأنَّ كتابَ الله ينبغي أن يتبيَّن، ألا ترى أنَّ الله

---

(٥١) ينظر: حسن السعيد، **التفاسير القرآنية المعاصرة**، ضمن كتاب **دراسات في تفسير النص القرآني**، ترجمة: فريق الترجمة في مركز الحضارة، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٧)، (١/ ٣٤٤).

(٥٢) نعيمة بن طبال، **التوجيه الصرفي وأثره في المعنى من خلال روايتي حفص وورش الربع الأول نموذجًا**، رسالة ماجستير، (جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب واللغات: ورقلة– الجزائر، ٢٠١٧– ٢٠١٨)، ص١١.

(٥٣) ينظر: زياد محمود محمد جبالي، **معاني القرآن بين الفراء والزجاج دراسة نحوية**، رسالة دكتوراة، (نابلس: جامعة النجاح الوطنية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، ٢٠٠١)، ص٨٠.

يقول: (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**) النساء: ٨٢، فحُضِضْنَا على التَّدبُّر والنَّظر، ولكن لا ينبغي لأحدٍ أن يتكلَّمَ إلا على مذهبِ اللغة..."(٥٤). ولك أن تتأمل كيف أدرج الزجاج مفهوم التدبر، وكيف يفهمه بناءً على البُعْد المعرفي اللغوي الذي يَنْتمي إليه.

أولًا: الفرَّاء في معاني القرآن (نموذجًا):

لو تعرضنا لكتاب أبي زكريا الفرَّاء (ت:٢٠٧) (معاني القرآن) لنجعله نموذجًا لفهم آليات تلقيه للنَّص القرآني، وكيف تشكَّل التفسير لديه ليخرج لُغَويًّا خالصًا، وإن سلك أحيانًا مسلك السَّلف في التَّفسير، يقول الطيار: "لقد استقرأت المطبوع من هذه الكتب [كتب التفسير اللغوي]، وظهر لي من خلال هذا الاستقراء أنَّ اللُّغويين سلكوا في هذه الكتبِ مسلك السَّلفِ في التفسير اللغوي، فظهر عندهم التفسير على المعنى، وعلم الوجوه، وأسلوب التفسير اللفظي. غير أنَّ هذا الأخير هو الغالب على التَّفسير اللغوي عند اللغويين، والأولان لا يشكلان شيئًا كثيرًا عندهم"(٥٥).

وبالنَّظر إلى سبب التَّأليف، أورد القطفي (ت: ٦٤٦هـ) في إنباه الرُّواة سبب إملاء الفرَّاء كتابه (معاني القرآن)، ومما أورده في ذلك، حكاية عن ثعلب (ت:٢٩١): "وكان السبب في إملاء القراء كتاب معاني القرآن أنَّ عمر بن بكير، كان يصحب الحسن بن سهل، فكتب إليه: "**إنَّ الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب، فإن رأيتَ أن تجمعَ لي أصولًا، وتجعل في ذلك كتابًا يرجع إليه فعلت. فلما قرأ الكتاب، قال لأصحابه: اجتمعوا حتى أملّ عليكم كتابًا في القرآن، وجعل لهم يومًا، فلمّا حضروا خرج إليهم– وكان في المسجد رجل يؤذِّن فيه، وكان من القرَّاء– فقال له: اقرأ، فقرأ فاتحة الكتاب، ففسّرها، ثم مرَّ في القرآن كلّه على ذلك؛ يقرأ الرجل والفرّاء يفسِّر. وكتابه هذا نحو ألف ورقة، وهو كتابٌ لم يعمل مثله، ولا يمكن أحد أن يزيد عليه**"(٥٦).

عند النَّظر في سبب التَّأليف يتضح أنَّ الفراء استجاب لدعوة صاحبه الذي أعياه الجواب عن بعض ما سُئِلَ عنه "**لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب**"، فطلب من الفرَّاء البيان، ولما كانَ الفرَّاء عالمِا باللغةِ وفنونها – حتى قال فيه ثعلب (ت:٢٩١): لولا الفرَّاء ما كانت عربية؛

---

(٥٤) أبو إسحاق الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م)، (١/ ١٨٥).

(٥٥) الطيار، **التفسير اللغوي**، ص١٢٨.

(٥٦) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م)، ط١، (٩/٤).

لأنه حصنها وضبطها، ولولا الفرَّاء لَسقطت العربية"[٥٧]، وقال ابن خلكان (ت:٦٨١): "كان أبرع الكوفيين، وأعلمهم بالنَّحو، واللغة وفنون الأدب"[٥٨]–، أجاب دعوة صاحبه بكتابةِ تفسيرٍ ينحو منحى اللغة، ولم يكن تفسيرًا "بالطريقة المعروفة، وإنما يتخير من الآيات على ترتيب السور ما يدير حوله مباحثه اللغوية والنحوية، وهو بذلك يحل مشكلها، ويوضح غامضها مدليًا بآرائه النَّحوية وقد بنى كتابَهُ على التَّفسير"[٥٩]. إذن، نفهم مما أورده القطفي في سببِ كتابة الفرَّاء للكتاب، ما يأتي:

- أنَّ المسائل الشَّائكة التي كان لا يجد لها عمر بن بكير جوابًا كانت تتعلق باللغةِ ومشكلاتها، ولا يُتصور أنَّ المقصود المعنى الظَّاهري للآيات؛ وإنما مسائل تحتاج إلى خبيرٍ في اللغة ومسالكها مثل الفرَّاء، وفي هذا دلالة أنَّ اللسان العربي بدأ في الضَّعف، وتشققت المسائل اللغوية وتوسَّعت، وصارت بحاجةٍ إلى بيان، مع ما يعتري المتلقي من قصورٍ لُغوي لا يؤهله لمعرفة كل الأجوبة التي تُلقى إليه.

كما يظهر أنَّ التوجه إلى الفرَّاء دون غيره ممن لهم اشتغالٌ بالنَّصِّ القرآني وتفسيره، دلالة مؤكدة على (القصد اللغوي في البيانِ) دون غيره. "وإنما لما كانَ النَّظرُ اللُّغوي عند هؤلاء اللغويين هو المقصد في التفسير توسعوا في ذكر هذه المباحث اللغوية"[٦٠].

- ثمَّ إنَّ كتابة الفراء واستجابته وإملاء كتابه، يدلُّ على فهمه للمراد من طلبِ صاحبه، فاستغلَّ الفراء قدرته اللغوية العالية، واهتمامه بالمتلقي، فكتب لهم كتابه في معاني القرآن.
- وللدلالة أنَّ الفراء تناول في تفسيره ما أشكل من الآيات فحسب، يقول راوي الكتاب: "هذا كتابٌ فيه معاني القرآن، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء –رَحِمَه الله– عن حفظه من غير نسخة، في مجالسه أوّل النَّهارِ من أيَّام الثلاثاوات والجمع في شهر رمضان، وما بعده من سنة اثنتين، وفي شهور سنة ثلاث وشهورٍ من سنة أربع ومائتين"[٦١]. ثمَّ يقول: "قال: حدنا الفرَّاء، قال: (تفسير

---

(٥٧) محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار المعارف)، (د.ت)، ط٢، ص١٣٢.

(٥٨) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٠٠)، ط٠، (٦/ ١٧٦).

(٥٩) زياد محمود محمد جبالي، **معاني القرآن بين الفراء والزجاج دراسة نحوية**، رسالة دكتوراة، (نابلس: قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١)، ص٩.

(٦٠) الطيار، **التفسير اللغوي**، ص١٢٨.

(٦١) أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد نجاتي، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣)، ط٣ (١/ ١٧).

مُشكل إعراب القرآن ومعانيه)"[٦٢]. ونلاحظُ من خلال كلام الرَّاوي أنه قد عبر عن حقيقة الكتاب وما يحتويه، مُستمِدًّا هذا العنوان من تأليفِ الكتاب، وهذا يؤكد ما بيناه آنفًا من تقدُّمِ الفرَّاء لفكِّ عقد الإشكال التي كانت سائدة في السِّياق اللغوي للأسباب الذي أوردناه في مطلعِ الحديث، وفي الوقت ذاته استجابته وإعانته للمتلقي في الجواب عما أشكل عليهم دون التَّطرُّق إلى معنى التَّفسير الظَّاهري العام إلا ما ندر.

المطلب الثاني: تطبيقات من تلقي التفسير اللغوي

ومما تميز به التَّفسير اللغوي عن التَّفاسير الأخرى[٦٣]:

- **كثرة مباحث الصَّرف والاشتقاق:**

برزت هذه المباحث بكثرة عند الفرَّاءِ (ت: ٢٠٧) وغيره من أئمة اللغة، وغالب هذه المباحث لا أَثَرَ لها على التَّفسير؛ أي: لا يتوقَّفُ عليها البيان. وإنما اشتغلوا بها وتوسعوا في ذكرِ مباحثها؛ لأنِّ النَّظر اللغوي هو المقصد.

- **تطبيقات من تلقي التفسير اللغوي:**

قال الفرَّاء (ت: ٢٠٧) في قوله تعالى: **(لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)** البقرة: ٦٨، والعوان ليست بنعتٍ للبِكرِ؛ لأنها ليست بِهَرِمَةٍ ولا شابَّةٍ. انقطع الكلام ثمَّ استأنف فقال: **(عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)** والعوانُ يقال منه: قد عَوَّنت، والفارض: قد فَرَضت. وبعضهم: قد فرُضت. وأما البِكْرُ فلم نسمع فيها بفعل. والبِكْرُ بكسر أوَّلها إذا كانت بكرًا من النساء، والبَكْرُ – مفتوح أوَّلُهُ – من بِكَارَةِ الإبل[٦٤]. ولو أمعنت في كتب التفاسير لرأيت تناولًا مختلفًا لهذه الآية عما أورده الفراء، لأنهم تعاطوا منها بحسب تلقيهم وتفسيرهم والذهنية المعرفية التي يصدرون عنها.

- **كثرة المباحث النَّحوية**

كان النَّحوُ وَعِلَلُهُ بارزًا في كتب المعاني، وقد كان أحد مقاصد التأليف في كتب المعاني دون كتب الغريب وهذا مما لا تجده عند السَّلف، ومن الأمثلة على ذلك:

---

(٦٢) المصدر نفسه (١/ ١٧).

(٦٣) ينظر: الطيار، **التفسير اللغوي**، ص١٢٨ وما بعدها.

(٦٤) ينظر: الفراء، **معاني القرآن** (١/ ٤٤– ٤٥).

قال الفرَّاء (ت:٢٠٧) وقوله: (**تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً**) الأنفال: ٥٨، يقول: نقض عهد. (**فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ**) بالنقض (**عَلَى سَوَاءٍ**) يقول: افعل كما يفعلون سواءً. ويقال في قوله (**عَلَى سَوَاءٍ**): جَهْرًا غيرَ سِر.

وقوله: (**تَخَافَنَّ**) في موضعِ جزمٍ، ولا تكاد العرب تدخل النون الشَّديدة ولا الخفيفة في الجزاء حتى يصلوها بـ«ما»، فإذا وصلوها، آثروا التَّنوين، وذلكَ أنهم جعلوا لـ«إمَّا» وهي جزاء شبيهًا بإمَّا من التَّخيير، فأحدثوا التَّنوين ليعلم به تفرقة بينهما، ثمَّ جعلوا أكثر جوابها بالفاء؛ كذلك جاء التنزيل، قال: (**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ**) الأنفال: ٥٧، (**فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ**)، ثمَّ قال: (**فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**) غافر: ٧٧، فاختيرت الفاء لأنهم إذا نوَّنوا في إمَّا جعلوها صدرًا للكلام، ولا يكادون يؤخرونها.

ليس من كلامهم: اضربه إمَّا يقومن، إنما كلامهم أن يقدموها، فلما لزمت التقديم صارت كالخارج من الشرط فاستحبوا الفاء وأثروها، كما استحبوها في قولهم: أما أخوك فقاعد، حين ضارعتها"[٦٥].

وهذه الأمثلة وهي كثيرةٌ جدًّا في معاني القرآنِ للفرَّاء توضِّحُ صورة المسائل النَّحوية التي طرقها اللغويون في كتبِ المعاني، ويلاحظُ أنَّ أغلب هذه المسائل لا أثَرَ فيه على التَّفسير، بل هي بكتبِ النَّحو أَلْصَق كما قرر ذلك الطيار [٦٦].

- **كثرة الاستشهاد من لغةِ العرب**

لقد كانَ الشَّاهدُ العربي عند اللُّغويّين ذا قيمة كبيرة. ويلاحظ هاهنا أمران:

- **الأول**: أنَّ الشَّواهد للمسائل النحوية والصرفية والاشتقاقية أكثر من الشواهد اللغوية في كُتُب معاني القرآن.
- **الثاني**: أنَّ كُتُب الغريب يكثر فيها الاستشهاد اللغوي، وهي أكثر من شواهد كتب المعاني في هذا الباب.

من الأمثلة على هذه الشَّواهد في كتبِ اللغويّين، ما يلي:

قال الفرَّاء (ت: ٢٠٧): وقوله (**لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**) الفرقان: ٢١: لا يخافون لقاءنا، وهي لغةٌ تهاميَّةٌ، يضعونَ الرَّجاء في موضعِ الخوفِ إذا كان معه جحدٌ، ومن ذلك قول الله: (**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**) نوح: ١٣، أي: لا تخافون له عظمة[٦٧].

- **بيان الأساليب العربية الواردة في القرآن**

---

(٦٥) الفراء، **معاني القرآن** (١/ ١٤١).

(٦٦) ينظر: الطيار، **التفسير اللغوي**، ص١٣٠.

(٦٧) المصدر السَّابق (٢/ ٢٦٥).

اعتنى اللُّغويون ببيانِ الأساليب العربية الواردة في القرآن: من حذفٍ واختصار، وذكر للسبب وترك المسبب، وعكسه، وذكر للواحد بلفظِ الجمع، وعكسه، وذكرٍ للإجابة على خاص بلفظِ العام، وعكسه، وغيرها.

وقد كان لاهتمامهم هذا أسبابٌ؛ كالنَّص على عربية القرآن؛ كما عند أبي عبيدة (ت: ٢١٠) في مجاز القرآن، والرد على الطاعنين فيه؛ كما عند ابن قتيبة (ت: ٢٧٦) في تأويل مشكل القرآن. ومن الأمثلة الواردة في كتبهم:

قال الفرَّاء (ت: ٢٠٧) – في قوله تعالى: **(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا)** الزمر: ٩ – : فإن قال قائلٌ: فأين جواب **(أَمَّنْ هُوَ)** فقد تبين في الكلام أنه مضمر، قد جرى معناه في أوَّل الكلمة، إذ ذكر الضالُّ، ثمَّ ذكر المهتدي بالاستفهام، فهو دليل على أنه يريد: أهذا مثل هذا، أو هذا أفضل أم هذا. ومن لم يعرف مذاهب العرب ويتبين له المعنى في هذا وشبهه لم يكتف ولم يشتف(٦٨).

هذه ملامح تمايز فيها التفسير اللغوي عن غيره من التَّفاسير، ولو عدنا مثلًا إلى المكتبة التفسيرية لوجدنا تناولهم للآيات يختلفُ عن تناول المدرسةِ اللغوية، وقد وأوردتُ هذه الأمثلة لأهميتها، وكيفَ أسهمَ العقل اللغوي في تشكيلِ النَّص، وفهمه. وليس الغرض من هذا الإيراد للتفسير اللغوي بيان تفاصيله، وكتبه، ومن كتبَ فيه، فهو أمرٌ مطروق، ولا يخفى على الباحث، ولا حاجةَ للإتيانِ به مطولًا، وإنما الهدفُ بيان تشكُّل (الذِّهنية العلمية) وأثرها في تشكيلِ التَّفسير، وقدرتها على النَّظر والتَّناول من الزاويةِ التي تلقَّت بها النَّص، وبما يملكه المتلقي المفسِّر من ذخيرةٍ معرفية تمكنه من الاختيار لطرق أو منهج التفسير الذي يرومُ الكتابةَ فيه.

ثمَّ لا يخفى – أيضًا – اهتمامهم بالمتلقي، ومحاولتهم إعانته على فكِّ الإشكال الذي يدور في خاطرهم، والمسائل التي يُحارُ في الإجابةِ عنها، وهذه رؤية متقدِّمةٌ لقدرتهم على فَهْمِ المخاطَب واحتياجاته النَّصية.

(٦٨) ينظر: الفراء، **معاني القرآن** (٢/ ٤١٧).

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، أستعرضُ بعض النِّقاط المهمَّة التي يحسنُ أن نضعها بين يدي القارئ، وهي على النَّحو الآتي:

- اِستعمل النَّص القرآني مفهوم التَّلقي بدلالاتٍ واسعة، منها ما يفيد إيحاءاتٍ وإشارات إلى عملية التَّفاعل النَّفسي والذِّهني مع النَّص، حيث ترد لفظة ©التَّلقي® مرادفة أحيانًا لمعنى الفَهْم والفِطنة، وهي مسألة لم تَغِب عن بعضِ المفسرين في الإلماع إليها.
- تبيَّن لنا أنَّ مفهوم التَّلقي لم يغب عن أُدبائنا ورُوَّاد التُّراث النَّقدي؛ لأنهم يميزونَ في استعمالاتهم – وإن لم يصرحوا – بين إلقاء النَّص أو إرساله، وتلقيه أو استقباله فآثروا الإلقاء والتلقي وجعلوهما فنًّا، وخاصة في مجال النَّص الخطابي.
- وقد تواطأ المفسرون كذلك على تفسير مصطلح التَّلقي في الآياتِ الكريمة بمعنى الاستقبال والأخذ والتَّقبل والتَّعلم، وهي كلها مصطلحات تفيد التواصل والتَّفاعل بين النَّص والمتلقي.
- الموجِّه الأكبر لعملية التَّلقي والذي أعطاها سمة منهجية منذ وقت مبكِّر هو القرآن الكريم؛ فلم يمض على نزوله إلا سنوات حتى ظهرت على إثره وتحت تأثير أسلوبه بواكير علمية نضجت فيما بعد على شكل علوم مرسومة الحدود، واضحة المعالم، كعلم التَّفسير، وعلم أصول الدِّين، والفقه، والعلوم اللغوية، إذ التاريخ يحدثنا أنَّ هذا كان شأن القرآن من الثَّقافة العربية الإسلامية، وأنَّ دراسات القرآن كانت العامل الأكبر في العناية بتدوين اللغة، الشعر، ورواية الفصيح، وبحث طرائق اللغة في التعبير، وأساليبها في البيان.
- لقد وجد التوجه القرآني المبكر نحو المتلقي مسلكه إلى الدراسات البلاغية والنقدية مبكرًا، ولا غرابة في ذلك إذا علِمْنا أنَّ الدِّراسات البلاغية قد نشأت في أساسها لتخدم قضية الإعجاز في القرآنِ الكريم.
- وتكمن عوامل تعدُّد التلقي في التفسير في محورية النص القرآني في الحضارة الإسلامية، وطبيعة النص القرآني ذاته، وطبيعة العقل البشري، وتعدد الفرق السياسية والمذاهب الدينية، واختلاف المصادر وأدوات التفسير.
- التلقي اللغوي للتفسير أخذ منحى مغايرًا للاتجاه الأول المتمثل في التفسير المأثور، لأنه ركَّزَ على اللغة العربية، وعلومها، وفنونها، محاولًا استنقاذ اللسان القرآني من الخلط والعجمة التي تسبب بها انفتاح الأمصار، وتلاقي الأفكار، وتعدد الألسن، وبعد الزمان عن الجيل الأول، الذي شاهد التنزيل، ووقف على أسرار الآيات ووقائعها، ومعانيها.

- كل تفسير أو محاولة للنظر وتناول القرآن، هو قراءة جديدة للنَّص القرآني، حتى وإن استفادت ممن سبقها؛ إذ لو كانت ترى الاكتفاء بالمكتوب لما احتاجت إلى الشروع في التفسير، ولما كان المفسِّر ينظر إلى القرآن من تخصُّصِه الذي أسهمَ في تشكيل تصوراته، إذ تجد أنَّ كل مفسِّرٍ يكتبُ تفسيرًا ورؤيةً بالرغم من وجود من سبقه، وهي قراءة منتجة إذا ما استدركت شيئًا لم تنبه إليه القراءات السَّابقة عليها، خاصة حينما يمتلك المفسر خلفية ثقافية كبيرة تلقى بظلالها عليه عند قراءة النَّص.
- أدَّى الاختلاف في التَّلقي إلى اختلافٍ في الطريقة التي اختارها كل منهم لتفسير القرآن على ضَوْئِها، فمنهم من اختار التفسير بالمأثور، ومنهم سار مسارَ التفسير اللغوي، ومنهم من اختار التفسير بالرأي أو التَّأويل، ومنهم من كان بين هذا وذاك، لعدم تصريحه بمنهجٍ محدَّد، أو لعدم تعيينه موقفًا صريحًا وواضحًا يمكن تصنيفه في ضوئه.
- إنّ التَّخصُّص الدقيق الذي يشتغلُ به المفسِّر، ويطوِّعه لبناءِ التَّفسير على القرآن الكريم، يُسهمُ في تشكيل النَّص النَّاشئ من النَّص الأول، أي يجعله قاعدة الانطلاق للتَّأويل بناءً على أفق التَّلقي عند تفاعله المبدئي مع النَّص الذي يمثِّلُ أرقى الأشكال اللغوية وأكثرها تأثيرًا في المتلقي؛ فهو يراعى مشاركة المتلقي واستدعاء استجابته التي كثيرًا ما كان يرصدها المفسرون مراعين رصد أثر العناصر اللغوية والبيانية في أداءِ تلكَ المهمَّة.

المصادر والمراجع

ابن منظور، **لسان العرب المحيط**، دار صادر – ط١، (د.ت).

أبو إسحاق الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

أبو البقاء الكفوي، الكليات، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ، ط٢.

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر: بيروت، ١٩٠٠، ط٠.

أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧ هـ، ط٣.

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م،ط٢.

أبو عثمان الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب: بيروت، ١٩٦٨، ط١.

أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، **تفسير التستري**، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٣ هـ، ط١.

أبي زكريا يحي بن زياد الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣، ط٣ .

أحميدة النيفر، **الإنسان والقرآن وجها لوجه**، دار الفكر المعاصر: بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠، ط١.

جاك بيرك، **القرآن وعلم القراءة**، ترجمة: د. منذر عياشي، دار التنوير: بيروت، ط١.

جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي: القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية: بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م، ط١.

حبيب مونسي، **فعل القراءة، النشأة والتحول، مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض**، منشورات دار الغرب النشر والتوزيع: وهران، الجزائر، طبعة: ٢٠٠١ – ٢٠٠٢.

حسن السعيد، **التفاسير القرآنية المعاصرة**، ضمن كتاب **دراسات في تفسير النص القرآني**، ترجمة: فريق الترجمة في مركز الحضارة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي: بيروت، ٢٠٠٧.

حكيمة بوفرومة، **المتلقي في الخطاب القرآني**، رسالة دكتوراة، جامعة مولود المعمري: تيزي وزو– الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي.

د. سعاد الحكيم، **المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة**، دندرة للطباعة والنشر: بيروت، ١٩٨١، ط١.

د. محمد المبارك، **استقبال النص عند العرب**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، ١٩٩٩.

د. محمد زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، مكتبة الشباب: المنيرة، ط١.

د. مساعد الطيار، **مصنفات كتب التفسير**، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ط٢.

د. مليكة حفان، **نظرية التلقي في التراث البلاغي العربي**، مجلة الإحياء، كلية الآداب: بني ملال، العدد ٣٩ و٤٠، صفر – ديسمبر، ٢٠١٣ .

د. يادكار لطيف الشهرزوري، **جماليات التلقي في السَّرد القرآني**، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق، ٢٠١٠، ط١.

زياد محمود محمد جبالي، **معاني القرآن بين الفراء والزجاج دراسة نحوية**، رسالة دكتوراة، جامعة النجاح الوطنية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب: نابلس، ٢٠٠١.

زياد محمود محمد جبالي، **معاني القرآن بين الفراء والزجاج دراسة نحوية**، رسالة دكتوراة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠١.

سعيد رمضان البوطي، **أحسن الحديث**، المكتب الإسلامي: دمشق، ١٩٦٨.

سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق: بيروت– القاهرة، ١٤١٢هـ، ط١٧.

السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي: القاهرة، ١٩٦٩.

ضياء الدين بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: الفجالة – القاهرة.

عبد الرحمن بو درع، **نحو قراءة نصية في بلاغة القران والحديث**، كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية: قطر، العدد ١٥٤، ربيع الأول ١٤٣٤هـ، السنة الثالثة والثلاثون.

عبد الرحمن عبد الهادي، **سلطة النص**، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي: لندن، بيروت، ١٩٩٨، ط١..

عبد الكريم شرفي، **من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة**، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، ٢٠٠٧، ط١.

فوزي سعد عيسى، جماليات التلقي قراءات نقدية في الشعر العربي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة، ٢٠١١م.

فينيسك وآخرون، **دائرة المعارف**، ترجمة: محمَّد بن ثابت الفندي وآخرون، طهران، انتشارات جهان، نسخة عن طبعة القاهرة ١٩٣٣.

محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

محمد الفاضل بن عاشور، **التفسير ورجاله**، مجمع البحوث الإسلامية: مصر، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٩.

محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف: مصر، ط٢.

محمَّد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ط١.

محمد علي الرضائي، **مناهج التفسير واتجاهاته**، تعريب: قاسم البيضائي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي: بيروت، ٢٠١١، ط٣.

محمَّد لطفي الصَّباغ، خصائص معاني الحديث النَّبوي كتاب الحديث النَّبوي، مصطلحه، بلاغته، كُتُبُه، المكتب الإسلامي: بيرت، ١٤٠٢-١٩٨١، ط٤.

محمود عباس عبد الواحد، **قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي**.

مساعد الطيار، **التَّفسير اللغوي**، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ، ط١.

نصر حامد أبو زيد، **الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة**، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء، ١٩٩٦، ط٣.

نصر حامد أبو زيد، **مفهوم النص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت- لبنان، ٢٠١٤، ط١،

نعيمة بن طبال، **التوجيه الصرفي وأثره في المعنى من خلال روايتي حفص وورش الربع الأول نموذجًا**، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب واللغات: ورقلة- الجزائر، ٢٠١٧- ٢٠١٨.

ياسر المطرفي، **العقائدية وتفسير النص القرآني (المناهج الدوافع الإشكاليات المدونات) دراسة مقارنة**، مركز نماء للبحوث والدراسات: المملكة العربية السعودية، ٢٠١٦، ط١.

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Jun 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 14.06.2023 | Accepted: 11.12.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10349683 0000-0003-4657-6972

معوقات النهوض العلمي في العالم الإسلامي من منظور تاريخي

Obstacles To Scientific Advancement in The Islamic World From A Historical Perspective

حمدي شاهين*

Hamdi Shahin

ملخص

تبحث هذه الدراسة قضية النهوض العلمي في العالم الإسلامي، وحتميته لأمة أمرت بالعلم، وضربت فيه بسهم وافر على امتداد تاريخها، ثم أحاطت بها أسباب التخلف والضمور، وهي أسباب لكثير منها جذوره التاريخية، يعود بعضها إلى اختلال داخلي، ويعود بعضها الآخر إلى أسباب مفروضة عليها من أعدائها، ومن الطبيعي لقول بأن تجاوز هذه الهوة يستوجب تعرف مظاهرها، واستقصاء أهم أسبابها، والسعي لتجاوزها، وامتلاك شروط النهوض وأدواته.. ويتم تناول ذلك كله من منظور تاريخي تحليلي.

الكلمات المفتاحية: العالم الإسلامي، النهضة العلمية، منظور تاريخي، معوقات النهضة

Abstract: This study examines the issue of scientific advancement in the Islamic world, and its inevitability for a nation that commanded knowledge, and was struck in it by an abundant arrow throughout its history, and then surrounded by causes of underdevelopment and atrophy, many of them have historical roots, some of which are reasons due to internal imbalance, and others due to reasons imposed on it by its enemies, and it is natural To say that overcoming this chasm requires knowing its manifestations, investigating its most important causes, striving to overcome it, and possessing the conditions and tools for advancement.. All of this is dealt with from a historical and analytical perspective.

Keywords: Islamic world, scientific renaissance, historical perspective, obstacles to advancement.

* Prof. Dr. Fatih Sultan Mehmet Foundation University. Department of Islamic History. ORCID: 0000-0003-4657-6972 E-Mail: hashaheen2000@gmail.com

أهمية البحث:

يعد تحقيق النهوض العلمي في عصرنا مدخلاً حقيقيًا لتحقيق الاستقلال الحضاري، ومتأثرًا بأجوائه ومعطياته. كما أنه لا يمكن تحقيق تنمية شاملة تعتمد على الإنسان الحر المتسق مع هويته الحضارية، العقدية والقيمية، بينما يعاني ذلك الإنسان مشاعر متكاثفة من الدونية العلمية، والعجز المعرفي، ويرسف في أغلال مفروضة عليه تستهدف إبقاءه في تلك الدائرة المحكمة من العجز والدونية تجاه الآخر، في حين تتزايد الهوة بينهما.. ولذا فإن بحث أسباب التخلف العلمي في ديار المسلمين؛ وإمكانية معالجتها، وتحقيق نهضة عقلية وعلمية؛ هي المدخل الضروري للتغيير واقتحام العقبة.

مشكلة البحث:

تتضح إشكالية البحث من عمق الهوة العلمية التي تعيشها بلدان العالم الإسلامي، مقارنة ببلدان العالم المتقدم التي تسعى بدورها لضمان بقاء الأول في مكانه، حتى يتسنى لها استمرار السيطرة على موارده، ومنعه من أسباب القوة والمنعة، بالنظر إلى تخوفات تاريخية تمتد من عصور الفتح الإسلامي، وتمر بعقود من الحروب الصليبية، وتستمر حتى زمن الاستعمار الغربي العسكري، وتواصله في صوره السياسية والاقتصادية والثقافية.. ولا شك أن الغرب المتحكم قد أفاد من عوامل ضعف حقيقية حكمت العقلية والإدارة الإسلامية في تجربتها التاريخية، وأتاحت للآخر إمكانية استغلالها.

أسئلة البحث:

ويسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما هي أبرز تجليات ظاهرة التخلف العلمي في العالم الإسلامي؟

٢- ما هي أهم أسباب حدوثه واستمراره على مدى عقود من الزمن؟

٣- ما هي شروط تحقيق نهوض علمي في العالم الإسلامي؟

منهج البحث:

اتبعت المنهج الوصفي في رصد ظاهرة التخلف العلمي في العالم الإسلامي، والمنهج التاريخي التحليلي في تحليل أسباب الظاهرة وطرق علاجها.

الدراسات السابقة:

قدمت المصادر التاريخية القديمة مساعدة في بيان الأسباب الثقافية القديمة التي مهدت للتخلف العلمي، وأسست له، كما قدمت الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة والوثائق والتقارير العلمية والمقالات رؤية جديدة بالتحليل في دراسة الظاهرة وعلاجها.

هيكل البحث:

ينبني هذا البحث على مقدمة ومبحثين، اهتمت المقدمة برصد مظاهر التخلف العلمي في العالم الإسلامي، وعُني المبحث الأول بالمعوقات الفكرية للنهضة، بينما عُني المبحث الثاني ببيان المعوقات السياسية والاجتماعية للنهضة.

مقدمة: من مظاهر التخلف العلمي في العالم الإسلامي:

تتعدد المظاهر الدالة على عمق الهوة العلمية التي تردى فيها العالم الإسلامي منذ عقود من الزمن، وآلت إلى ما يعانيه اليوم، بعدما عاش قرونًا من الأَلَق العلمي والحضاري الذي تأسس على القيم الأصيلة لبنائه العقدي، وامتد عطاؤه الثري ليشمل عالم تلك القرون.

فالأمة التي خاطبها القرآن الكريم بأول نداء إلهي: "اقرأ"؛ بلغت فيها نسبة الأمية نحو ٤٠٪ في صفوف الذكور و٦٥٪ في صفوف الإناث وفق تقرير المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) سنة ٢٠١٤[1]. أما في العالم العربي فقد ذكرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو)، إن نسبة الأمية فيه تجاوزت ١٩٪، أي أن عدد الأميين به يفوق ٩٦ مليونا[٢].

وذهبت بعض التقارير المنسوبة إلى عدد من المراكز البحثية إلى أن متوسط القراءة في العالم العربي ربع صفحة للفرد سنويا، بينما تصل معدلات القراءة سنويًا للفرد في أميركا إلى ١١ كتابا، وتصل في بريطانيا إلى

---

[1] راجع تقرير موقع الجزيرة الإخباري: "**نصف سكان العالم الإسلامي أميون**" على الرابط الآتي وتم الاطلاع عليه في ٢٠٢٢/١١/٩: **https://cutt.us/tw4ar** ،

[٢] تقرير موقع الجزيرة الإخباري وعنوانه "**أكثر من ٩٦ مليون أمي بالوطن العربي**" على الرابط: https://cutt.us/G5Clw

سبعة كتب[٣]. وقد دفعت تلك الأرقام بعض الباحثين إلى الشك في صدقيتها، وأكد أنه استقصى ما تنسب إليه من مصادر فلم يجد نسبة منها صحيحة[٤].

وإذا نظرنا إلى الأوضاع في جامعاتنا فإن هناك ١٤ جامعة فقط تنتمي إلى الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي في قائمة أفضل ٥٠٠ جامعة في العالم- ضمن تصنيف التايمز للجامعات العالمية ٢٠٢١ – أما في تاريخ جوائز نوبل التي من المفترض أن تعطى لأكثر العلماء تميزًا في مجاله؛ فإن نصيب العالم الإسلامي منها في مجال العلوم ثلاث جوائز[٥].

وفي دائرة البحث العلمي والتطوير فإن البيانات المتاحة سنة ٢٠١٦ تشير إلى أن نسبة إنفاق الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي على البحوث والتطوير تبلغ 37 .0 ٪ من إجمالي الناتج المحلي لهذه الدول، وهو أقل بكثير من المتوسط العالمي البالغ 1.75%[٦]، أما في العالم العربي فلم يتجاوز معدل الإنفاق القومي على البحث العلمي سنة ٢٠٢٠ في الدول العربية قاطبة ٠,٧٢ %، بينما بلغ في إسرائيل ٥,٤٤ %[٧].

---

[٣] دراسة على موقع الجزيرة الإخباري عنوانها "**العربي لا يقرأ سوى ربع صفحة سنويًا**" على الرابط: **https://cutt.us/AZ3YO**

[٤] Leah Caldwell, **The Arab Reader and the Myth of Six Minutes**" مقال منشور على الرابط الآتي: http://www.pcp.ps/article/156/The-Arab-Reader-and-the-Myth-of-Six-Minutes وقد اطلعت عليه في ٢٠٢٢/١١/٩

[٥] حصل العالم الباكستاني الدكتور محمد عبد السلام في سنة ١٩٧٩ على جائزة نوبل في مجال الفيزياء، كما مُنح العالم المصري الدكتور أحمد زويل في سنة١٩٩٩ جائزة نوبل في الفيزياء، وفي مجال الكيمياء حصل الدكتور عزيز سنجار من تركيا على جائزة نوبل سنة ٢٠٠٥.

[٦] مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب التابع لمنظمة التعاون الإسلامي (sesric): **التعليم والتنمية العلمية في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي ٢٠١٦** ص ٥٢

[٧] راجع تقريرًا عنوانه "**الإنفاق على البحث والتطوير % من إجمالي الناتج المحلي**"، منشورًا على موقع البنك الدولي، تم الاطلاع عليه في ١٤/ ١١/ ٢٠٢٢م على الرابط الآتي:
https://data.albankaldawli.org/indicator/GB.XPD.RSDV.GD.ZS

ووفقا للإحصاءات الصادرة عن المنظمة العالمية للملكية الفكرية WIPO في عام ٢٠١٤ يصل العدد الإجمالي لطلبات براءات الاختراع في جميع أنحاء العالم نحو ٢٠ .٦٨ مليون، بينما بلغ في دول منظمة التعاون الإسلامي ٧٨١ .٤٦٠ براءة اختراع، أي نحو ٧٤ .١٪ منها [٨].

ويتراوح عدد مستخدمي الإنترنت بين ٣ لكل ألف فرد في السودان، و٣١٣ لكل ألف في الإمارات العربية المتحدة، وأقل من ٥٠ مستخدماً لكل ألف في أحد عشر بلدًا عربيًا[٩].

ولا سبيل لتجاوز تلك الهوة العلمية إلا بإحداث نهوض علمي شامل يعالج أسباب التخلف والعجز، ويأخذ بأسباب الانبعاث الحضاري والقوة العلمية، في زمن لا يعترف إلا بالأقوياء في شتى مجالات الحياة.

ويمكن التمييز بين مجموعتين من أسباب التخلف العلمي، يعود أولها إلى عوامل داخلية، فكرية واجتماعية، وثيقة الصلة بالفهم الصحيح للإسلام على مدى تاريخه، ومدى حصافة التعامل مع التراث الإسلامي، بينما تتصل الثانية بالسياسات المعاصرة والعوامل الخارجية المفروضة على الأمة من أعدائها، ومن الموالين لهم فكريًا من أبنائها.

المبحث الأول: المعوقات الفكرية للنهضة العلمية

أ) اختلال التوازن بين العناية بالعلوم النظرية والتجريبية العملية:

ومما يسترعي النظر تأخر المسلمين في العلوم التجريبية أو العملية في القرون الأخيرة، مقارنة بعنايتهم بعلوم الدين التقليدية من تفسير وحديث وفقه، وعلم كلام. وكان لذلك تداعيات مهمة، إذ جعلت من الحتمي طلب تلك العلوم من الغرب الذي قطع أشواطًا بعيدة في ذلك المضمار، بما يعني حتمية الاستجابة – بدرجة أو أخرى – مع الإملاءات والشروط المفروضة منه، فمن نافلة القول أن الدول العظمى لا تعطي ما تملكه مجانًا لدول طالما كانت ضمن مستعمراتها وأملاكها.

ففي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين لا نكاد نجد من العلماء المتقدمين في هذه العلوم جملة معتبرة أو أفرادًا يُشار إليهم في تخصصاتهم، صحيح أن التأخر العلمي كان عامًّا في العلوم كلها، وأن العلوم الدينية المشار إليها كانت تعاني الجمود وتفتقر إلى الاجتهاد والتجديد، لكن إهمال العلوم التجريبية كان أشد، وكانت نتائجه شديدة الضرر على الأمة حتى يومنا هذا.

---

[٨] مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية... (SESRIC): مرجع سابق ص ٥٩

[٩] اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا): **تقرير السكان والتنمية العدد الثالث الهجرة الدولية والتنمية في المنطقة العربية: التحديات والفرص**، (الأمم المتحدة، نيويورك، سنة ٢٠٠٧)، ص ٣١

ومن ذلك أنه في سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م أرسلت الدَّولة العثمانية والياً على مصر، هو أحمد باشا المعروف بكُور وزير[١٠]، وكانت له بالعلوم الرِّياضية، فلما وصل إلى مصر واستقر بالقلعة؛ قابله صدور العلماء في ذلك الوقت، ومنهم الشَّيخ عبد الله الشَّبراوي، شيخ الجامع الأزهر، ، فوجد فيهم إحجامًا عن الرياضيات، فلما كلم في ذلك الشَّيخ الشَّبراوي اعتذر إليه شيخ الأزهر بأن " غالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث"، واحتج بأنه من فروض الكفاية؛ إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات... وأهل الأزهر بخلاف ذلك، غالبهم فقراء، واخلاط مجتمعة من القرى والآفاق، فيندر فيهم القابلية لذلك". وانتهى الأمر بترشيح والد الجبرتي المؤرخ، وكان عالماً بالرياضيات، فأخذ يتردَّد على الوالي يومين في الأسبوع، فَسُرَّ به الوالي ومدَحه قائلاً: "لو لم أغنم من مصر إلا اجتماعي بهذا الأستاذ لكفاني".. وكان الشيخ الشبراوي كلما تلاقى مع الجبرتي الوالد يقول له: "سترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا، فإنه لولا وجودك كنا جميعًا عنده حميرًا"[١١]!

وفي سنة ١٣٠٥هـ/١٨٧٧م أُرسل استفتاء إلى شيخ الأزهر محمد الإنبابي عن مدى جواز تعلم المسلمين العلوم الرياضية والطبيعيات والهيئة والكيمياء. وقد أجاب الشيخ بأنه يجوز تعلم العلوم الرياضية وعلم الطب والطبيعيات، أما الهيئة (الفلك) فلا يجوز.. كأن هذه العلوم لم يكن للمسلمين عهد بها، ولم يكونوا من مخترعيها، وذوي التفوق فيها [١٢].

هذا القصور لم يبدأ في التاريخ المذكور، بل حتى العصور الزاهية تستطيع أن تجد في الفقه والحديث أضعاف من برعوا في الفلك والرياضيات والطب والهندسة، ومن يقرأ تراجم علماء المائة الثامنة أو التاسعة مثلاً ستتأكد عنده النتيجة السابقة[١٣].

---

[١٠]لقب بذلك لحول كان في عينه، وقد ولي مصر ما بين سنتي ١١٦١ – ١١٦٣هـ)

[١١] الجبرتي: **تاريخ عجائب الآثار** ١/٢٧٦-٢٧٨

[١٢]أحمد أمين: **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، (دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)، ص ٧م، أحمد منير مرسي: **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، (عالم الكتب سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، ص ٤٦٨

[١٣]راجع مثلاً ابن حجر العسقلاني: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد، ١٩٩٣م)، السخاوي: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (دار الجبل – بيروت، ط١، ١٩٩٢)، الذهبي: **معجم شيوخ الذهبي**، تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠).

ولهذا جذوره عند كبار علمائنا الذين نظروا إلى العلوم الطبيعية على أنها أقل رتبة ومكانة من علوم الشريعة، فضلاً عن الامتيازات المادية التي كان يضمنها علماء الشريعة وتلاميذهم من وظائف مرموقة، ومخصصات مالية موفورة ضمنتها الأوقاف الزاخرة التي أوقفها أصحابه قربة لله لطلاب العلوم الدينية وعلمائها.

فأبو حامد الغزالي مثلاً – وهو من هو علمًا وأثرًا– يقرر سوء ظن معاصريه بالطبيعيات والرياضيات [١٤]. ويذكر أهمية علم الطب، وأنه لا غنى عنه لحفظ الأبدان التي لا يمكن عبادة الله إلا بها[١٥]، ولكن الطب أدنى مرتبة عنده من الفقه، حيث نفى الغزالي عن نفسه شبهة الظن أنه يسوي بينهما، وقال: "حاشا لله أن أسوي بين العلمين في الشرف والرتبة"[١٦]، فإن طب القلوب والأرواح؛ المتوصل بالإنسان إلى الجنة لا يقارن بطب الأجساد "المعرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد؟"[١٧].

---

[١٤] يبدو أن كثيرًا ممن برعوا فيها في عصره كانوا فلاسفة ماديين، أو ممن تأثروا بهم بحسب وصف ابن خلدون للطبيعيين فقد كانوا هم "المقتصرين "على إثبات الأجسام خاصّة، المعرضين عن النّقل والعقل، المعتقدين أنّه ليس وراء الجسم في حكمة الله شيء" (**تاريخ ابن خلدون**، تحقيق خليل شحاتة، (دار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٩٨١م)، ٧٠٩/١، أما الغزالي فيصف العلوم الطبيعية قائلاً: "واما الطبيعيات فالحق فيها مشوب بالباطل والصواب فيها مشتبه بالخطأ، فلا يمكن الحكم عليها بغالب او مغلوب (الغزالي، **مقاصد الفلاسفة** ، تحقيق سليمان دنيا، (دار المعارف القاهرة، ١٩٦١)، ص ٣٢، وأما الرياضيات فيصفها بأنها "أمور برهانية"، لا سبيل إلى جحودها واللجاج فيها، لكن نولد منها آفتان: الأولى أن الإعجاب بها يقود إلى الإقرار لأهلها بالفضل والعقل، فإذا رأى الناس كفرهم وتهاونهم بالشرع قالوا: "لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم!..... فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم .... فقلَّ من يخوض فيها إلا وينخلع من الدين، وينحل عن رأسه لجام التقوى"، أما الآفة الثانية: فنشأت من صديق للإسلام جاهل، ظن أن الدين ينبغي أن ينصر بإنكار كل علم منسوب إلى هؤلاء المتشككين أو المعطلين، مما أدى إلى الضد من ذلك، حيث رأى مخالفوهم دقة برهان الرياضيين، وتعصب هؤلاء ضدهم فاعتقد أن الإسلام مبني على الجهل؛ وإنكار البرهان القاطع، فازداد لأهلها حبًا، وللإسلام بغضًا (**المنقذ من الضلال**، تحقيق د. عبد الحليم محمود، (نشر دار الكنب الحديثة، القاهرة)، ص ١٤٨–١٥٠، وهو مع تعلقه بسد ذرائع هؤلاء الجهال – عن طريق "زجر من يخوض في تلك العلوم" – يجنح إلى العدل في النظر إليها، ويرى أنها من علوم الكفاية التي يجب على الأمة في مجموعها القيام بها، وتأثم إن ضيعتها. راجع **فاتحة العلوم**، (المطبعة الحسينية، القاهرة، ط١، سنة ١٣٢٢هـ)، ص ٣٨، ويقول: "ولقد عظم على الدين جناية من ظن أن الإسلام يُنصر بإنكار هذه العلوم، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والإثبات، ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية" (المنقذ من الضلال ص ١٣٩–١٤٠).

[١٥] الغزالي: المنقذ من الضلال ص ٤٤

[١٦] الغزالي: فاتحة العلوم ص ٤٥

[١٧] **إحياء علوم الدين**، (دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، ٤/١

وصحيح أن الشرع –بحسب رأي الغزالي– لم يتعرض لهذه العلوم بالنفي أو الإثبات، أعني النهي أو الإيجاب، لكنه لفت الانتباه إلى أهميتها في أهم أبواب الدين، وهو باب الاعتقاد، وفي أهم جوانب الاعتقاد وهو إثبات وجود الخالق وتوحيده، ومن ذلك قوله تعالى (اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَاَخْرَجْنَا بِهٖ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً اَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَّحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ اَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالْاَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ اَلْوَانُهٗ كَذٰلِكَ اِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمٰٓؤُا اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)سورة فاطر: ٢٧ – ٢٨، وقد بلغ عدد الآيات القرآنية التي تحض الإنسان على النظر في الكون ما يربو على (٧٥٠) آية[١٨].

وقد شغلت قضية المفاضلة بين العلوم، وأيها أشرف مكانة كثيرًا من علمائنا في العصور الماضية، ولو أنهم اقتصروا على بيان فروض العلم العينية التي لا يسع المسلم جهلها في دينه، وسوَّوا بين بقية العلوم الكفائية التي تجب على الأمة في مجموعها، مع التنبيه على أولوية ما يعظم احتياج الأمة إليه؛ لكان أسلم وأولى، لكن أصحاب كل علم فضلوه على بقية العلوم، وانشغلوا ببيان مزاياه، فزلت بهم الأقدام، وطاشت الرؤى، وجنت الأمة الخبال..

ومن ذلك أن العناية الفائقة بعلم الفقه مثلاً استحوذت على كثير من ذوي العقول النابهة، وقد حققوا بالفعل إنجازات كبيرة في تاريخ العلوم، غير أنه بمضي الزمن ندر الاجتهاد في الجديد مما يطرأ منها، فانشغل كثيرون ممن تلاهم بتشقيق مسائله، واجتروا ما قاله السابقون على أنساق متعددة لا تقدم جديدًا، وطفقوا يكتبون الحواشي والشروح على كتبهم التي ربما تزيدها غموضًا، وتحتاج بدورها إلى شروح، واكتفوا بدعوى شرف العلم عن الاجتهاد فيما يجد من قضاياه، بل تنادوا بإغلاق باب الاجتهاد فيه. فكانوا كما قال كعب بن زهير بن أبي سلمى:

ما أَرانا نَقولُ إِلّا رَجيعًا وَمُعاداً مِن قَولِنا مَكرورًا

وأمعنوا في فرضيات لم تقع، في حين تركوا الاجتهاد فيما وقع فعلاً، فخالفوا منهج الأثبات من علماء الصحابة الذيم كرهوا الانشغال بما لم يقع عما وقع بالفعل، من ذلك قول عمر بن الخطاب t:" أحرّج عليكم ان تسألوا عما لم يكن، فان لنا فيما كان شغلاً"[١٩]، قول ابن عمر t:" لا تسألوا عما لم يكن، فاني سمعت

---

[١٨] بحسب إحصاء د. زغلول النجار: **مشكلة التخلف العلمي في العالم الإسلامي**، مقال منشور على موقع مداد، على الرابط https://cutt.us/45IlF

[١٩] الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، د(ار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٧هـ). ١٣/٢

عمر يلعن السائل عما لم يكن"[٢٠]. وكان زيد بن ثابت t إذا سئل عن الشيء يقول: كان هذا؟ فان قيل: لا، قال: "دعوه حتى يكون"[٢١].

فترتب على ذلك أن تضخمت أبواب في الفقه، مثل فقه الطهارة والصلاة، وضمرت أخرى تشتد الحاجة إليها، مثل مسائل الإمامة والجهاد وقضايا السياسة والاقتصاد والعلاقات الدولية.

بينما أهملت علوم الحياة الدافقة من طب وهندسة وفلك وطبيعيات وغيرها، في حين تقدمت أمم الغرب بعنايتهم بتلك العلوم، وتسخير إمكاناتهم السياسية ومواردهم الاقتصادية في دعمها، ونجحوا في تكسير قيود الكنيسة التي اجتهدت في صد سيلهم الزاخر، فتقدموا وتأخرت شعوبنا، ولم تفدهم الشروح والحواشي، وتشريف بعض العلوم، والغض من علوم أخرى. ودفعت الأمة أثمانًا فادحة لتأخرها في تلك العلوم، حيث وقفت عاجزة عن صد الطامعين فيها الذين امتلكوا أزمَّة العلم وقوته المادية الكاسحة .

وقد اعتدل الميزان أو قارب الاعتدال في القرن الأخير، إذ اتجه كثيرون من طلاب العلم إلى العلوم التجريبية، وربما كان الدافع الاقتصادي مما قاد إلى تلك الوجهة، إذ علت مكانة المشتغلين بالرياضيات والطب والهندسة، وأجورهم ، في مقابل المتخصصين بالآداب واللسانيات والعلوم الدينية.

لقد أدى تقدم العلوم في عصرنا إلى بروز عوار آخر في مجال عدد من العلوم الإنسانية، أصبحت الحاجة إليها ماسَّة، وأصبحت مجاراة التقدم العلمي الراهن فيها واجبة، مثل علوم السياسة، والإعلام، واللغات والآداب المختلفة، والفلسفات القائدة، وعلوم المستقبل، ومناهج التفكير والبحث، وطرق الإدارة وغير ذلك، مما يستوجب انفساح الرؤى الحاكمة لمسارات العلوم ومناهجه وأولوياته ومقاصده، وإحداث التوازن في كل ذلك.

---

[٢٠] لخطيب البغدادي: **الفقيه والمتفقه**، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، (دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، سنة ١٤٢١هـ)، ١٢/٢

[٢١] المصدر نفسه ١٣/٢، ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (المكتبة السلفية (د. ت)

٢٦٦/١٣، محمد جمال الدين القاسمي: **محاسن التأويل**، تحقيق محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٨هـ)، ٢٦٧/٤

ب) أزمة الاجتهاد الفقهي وضمور مساراته:

تعالت النداءات بإغلاق باب الاجتهاد الفقهي[٢٢] حوالي القرن الرابع الهجري، وكانت نيات المنادين به تبدو صالحة، بالرغم مما آلت إليه من نتائج وخيمة على الأمة ودينها. فقد رأى أصحابها شيوع المذاهب الفقهية واستقرارها، وما صحب ذلك من تعصب مذهبي، وعكوف على نصوص الأئمة والفقهاء السابقين، وإثارة الخلافات المذهبية، والمناظرات والمجادلات الضيقة، والوقوف على الفروع الفقهية والجزئيات الخلافية، مع ضعف الملكات، وغياب الحركية الاجتهادية، وضعف الوازع الديني، حتى وصل الأمر إلى ادّعاء الاجتهاد من غير أهله، ومما لأة الحكام في رغباتهم وأهوائهم، "ولذلك أعلن كثير من العلماء غلق باب الاجتهاد؛ لسد الطريق أمام الجهال أو أنصاف العلماء، للوقوف حصرًا على أقوال المذهب المنتشرة والسائدة، وذلك بحسن نية، ومن باب السياسة الشرعية التي تعالج حالة قائمة، أو أمرًا مؤقتًا، أو فوضى اجتهادية، وظرفًا طارئًا، وليس لها دليل شرعي صحيح، أو حجة قوية، ثم شاع ذلك وانتشر.. وكان من أثر هذه الدعوة، ورفع هذا الشعار؛ أن فترت الهمّة، وجمد النشاط، وخف الاجتهاد إلى أدنى مستواه، وانصرف معظم الفقهاء إلى تدوين الكتب المذهبية والخلافية، واختصارها في متون، ثم وضع الشروح والحواشي عليها"[٢٣].

ولا يعني ذلك أن عصور الإسلام – منذ تصاعد هذه الآراء بإغلاق باب الاجتهاد – خلت من مجتهدين كبار، كان وجودهم قدحًا في دواعي ذلك وضرورته، ومنهم في القرن الثامن الهجري وحده ابن تيمية (ت 728هـ) وشمس الدين الذهبي (ت 748هـ) وابن القيم (ت 751هـ).. وفي أخرياته عاش ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)؛ أحد المجددين الكبار في تاريخ الإسلام ، ومن المؤكد أن مسيرة الاجتهاد قد تواصلت بالنظر إلى امتداد تاريخ الأمة، ورحابة عالمها، لكن الغالب على الفكر الإسلامي آنذاك كان الانصياع إلى إغلاق باب الاجتهاد.

وظلت الصيحات بذلك تتردد على مدى قرون، حتى عصرنا الحديث لأسباب شتى.. وممن ردد ذلك من العلماء الكبار بديع الزمان النورسي (ت ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) في "رسالة الاجتهاد"، فبالرغم من أنه يقرر ضرورة الاجتهاد؛ إلا أنه تخوف من انفتاح أبوابه، وانشعاب الآراء بسببه في وقت يحارب فيه الإسلام وأصوله

---

[٢٢] وتعريف الاجتهاد هو بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شرعي ظنِّي"(وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت: **الموسوعة الفقهية**، (دار السلاسل، الكويت، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ١٨/١-١٩)

[٢٣] د. محمد مصطفى الزحيلي: **الوجيز في أصول الفقه الإسلامي**، (دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، ط2، سنة 1427هـ 2006م)، 304/٢

وثوابته[٢٤].. وقد كان تخوف الشيخ له ما يبرره، ففي حمى استعلاء القوميات ودعاوى الوطنية وجدنا من ينادي بإسلام هندي أو تركي أو عربي، متخذًا من دعوى الاجتهاد مبررًا له[٢٥].

والدعوة إلى إغلاق باب الاجتهاد تخالف طبيعة الإسلام نفسه، فهو الدين الخاتم الذي ينبغي أن يواكب حاجات البشر إلى قيام الساعة، والذي تعهد الله تعالى لأمة الإسلام "أن يبعث على رأسها كل مائة عام من يجدد لها أمر دينها[٢٦]. وهو الدين الذي يسعى إلى نشر مبادئه وشريعته وسيادته وسلطانه، "ولا يكون ذلك إلا بالاجتهاد في شرعه الواسع المرن، فترك الاجتهاد هو الذي رد بعضهم إلى البداوة التي قُضي عليها، أو إلى ما يقرب منها، وطوَّح ببعضهم إلى التفرنج والإلحاد، والسعي إلى البعد عن الدين"[٢٧].

وأدى التنادي بترك الاجتهاد؛ والاكتفاء بالموروث الفقهي وما يتفرع عنه؛ إلى الزهادة في فقه نوازل عصورهم، ثم ضعف ملكة التفكير النابه عندهم، ثم العجز عن مواجهة التحديات العلمية الثائرة في زمانهم، مما باعد بالتدريج بينهم وبين حكام زمانهم، والمتصدرين للتشريع والسياسة والمال.. فآلت الأمور إلى "استبدال بعض القوانين الإفرنجية بالشريعة الإسلامية، تقليدًا، ثم تشريعًا"[٢٨]، وأدى ابتعاد الفقهاء عن تيار الحياة الزاخر من حولهم إلى أن فأصبحوا "أجهل أهل بلادهم بالفنون المالية، وبما يرتبط بها من الأمور السياسية"[٢٩]، حتى تحسر خير الدين التونسي (1820-1890م) – الوزير الأول في تونس ثم الصدر الأعظم في الدولة العثمانية – على حالهم في زمانه فقال: "أفيحسن من أُساة الأمة الجهلُ بأمراضها؟"[٣٠]

---

[٢٤] راجع د. وثيق بن مولود و د. عمار جيدل: **وقفات مع رسالة الاجتهاد للأستاذ النورسي**، النور للدراسات الحضارية والفكرية، NUR Academic Studies on Thought and Civilization 7(7); 2013

[٢٥] د. محمد حسين: **الإسلام والحضارة الغربية** (دار الفرقان، القاهرة، (د. ت) ص ٥٢-٥٣

[٢٦] حديث" إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"، رواه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٠٥هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، (مؤسسة الرسالة العالمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، باب في كتاب العلم، ٤٨٩/٥، حديث رقم ٣٦٤٦ وصححه السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ): "**المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المنتشرة على الألسنة**"، تحقيق د. محمد عثمان الخشت، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٥م)، ص ٢٠٣، حديث رقم ٢٣٨

[٢٧] رشيد رضا: **الخلافة**، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، سنة ٢٠١٢م)، ص٨٠

[٢٨] رشيد رضا: المرجع السابق ص٨٨

[٢٩] رشيد رضا: المرجع السابق ص ٩٥

[٣٠] خير الدين التونسي: **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، (مؤسسة هنداوي، القاهرة، سنة ٢٠٢٢)، ص ٨

فلا عجب أن تباعدت السبل بين السلاطين والعلماء، فالعلماء جعلوا غاية همهم "مدارسة الكتب التي أُلفت للأزمنة الماضية، التي كانت دار الإسلام فيها ذات استقلال ومنعة"[٣١]، وتجاهلوا نصيحة شهاب الدين القرافي المالكي (ت 684هـ) وهو يقول:" ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك"[٣٢].. واستراحوا إلى الاسترزاق من أموال الأوقاف التي دأب أصحابها على وقفها لأصحاب المذاهب الفقهية الجامدة، فأصبحت أزمَّتها بأيديهم، أما السلاطين فأسعدهم انكشاف جهل هؤلاء العلماء بالواقع السياسي والاقتصادي والتشريعي المتجدد، وتغييبهم عن مشكلات الأمة ومصالح الرعية، وتوجيه الحكام بشأنها، والإنكار عليهم إن جاروا وبغوا.. "على أن مقلدة المذاهب لا تكاد تطلب الحكومة منهم شيئاً إلا ونجد فيهم من يفتيها؛ ولو بالتأويل والخروج عن صحيح المذهب. إذن لا يمكن خروج الأمة الإسلامية من جحر الضب الذي دخلت فيه إلا بالاجتهاد"[٣٣].

والاجتهاد يحتاج إلى أدوات لا يملكها إلا أهله، أما عامة الناس فلهم اتباع مذاهبهم.. "ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين، ويحسن به – مع هذا الإتباع – أن يجتهد ما استطاع في تعرُّف أدلة إمامه، وأن يتقبّل كل إرشاد مصحوب بالدليل، متى صحَّ عنده صلاح مَنْ أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر"[٣٤]؛ أي القدرة على الترجيح والاجتهاد ولو جزئيًا.

---

[٣١] راجع رشيد رضا: السابق ص ٩٦

[٣٢] القرافي: **الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)**، (عالم الكتب، (د.ت) ١/١٧٦

[٣٣] رشيد رضا: السابق ص ٩٧– ٩٨

[٣٤] حسن البنا: **مجموعة رسائل الإمام البنا**، (البصائر للبحوث والدراسات، ط٢، سنة ٢٠١٠)، ص٢٣٦

ج) خطأ النظر إلى مفهومي البدعة الابداع:

والمقصود بالإبداع: إنشاء صَنعة بلا احتذاء واقتداء، ومنه حديث" كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[٣٥] ، وتتعدد آراء العلماء في مفهوم البدعة[٣٦]، "والتحقيق: أنها إن كانت مما يندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما يندرج تحت مستقبح فهي مستقبحة، وإلا فهي من قسم المباح"[٣٧].

إن هذا الفهم لمعنى البدعة في الدين، والتحذير منها، والتفريق بينها وبين الإبداع في أمور الدنيا ومصالح الخلق، والحض عليها؛ قد تعرض لتشويه كبير في عصور الضعف والتراجع، بل كان من أبرز أسبابه.. وأدى إلى مخاصمة العلوم والتقنيات، ثم وسم الإسلام نفسه بأنه دين رجعي منغلق، يحول بين أتباعه وآفاق الحضارة الرحيبة، وأنه لا سبيل لانطلاق الأمة من عقالها، ولحاقها بركب العالم المتقدم إلا بالانسلاخ من الدين كله.

ومن خلال الفهم الخاطئ لمفهوم البدعة تولَّد الحذر من كل جديد ومخترَع، بل تحريمه وتجريمه! كما سنرى..

نماذج لكراهية الجديد:

- **موقف ضعفاء المماليك والعثمانيين من التجديد في أدوات القتال:**

---

[٣٥] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ): **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق صفوان عدنان الداودي، (دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٢هـ)، ص ١١٠-١١١، والحديث رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، بلب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩٢/٢، حديث رقم ٨٦٧

[٣٦] راجع في تفسيرات العلماء لمعنى البدعة: علي محفوظ: **الإبداع في مضار الابتداع**، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، سنة ٢٠٠٠م)، ص ٢١-٢٦، ويرى بعض علمائنا أن البدعة ما كانت في أمور الدين، دون أمور الدنيا التي لا بد فيها من تجديد وإبداع، ما دام لا يخالف الشريعة، وفي ذلك يقول ابن رجب: "المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أما ما كان له أصل يدل عليه، فليس بدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغة"، (**جامع العلوم والحكم**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، سنة٢٠٠١م)، ١٢٧/٢)، ويرى آخرون أن كل محدثة بدعة، سواء كانت من أمور الدين أو الدنيا، وأن "البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم" على حد قول الشافعي راجع أبو نعيم: **حلية الأولياء**، (مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٩٧٤م)، ١١٣/٩، ابن رجب: المصدر السابق 131/٢)، ومنه قول عمر رضي الله عنه: "نعم البدعة هذه"، لما جمع المسلمين على صلاة التراويح في رمضان، فجعلها شعيرة دائمة، ولم يكن النبي صلوات الله عليه قد جمعهم عليها (البخاري: صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان ٧٠٧/٢)

[٣٧] فتح الباري 4/253، المكتبة السلفية (د. ت)

ومن الأمثلة المثيرة للشفقة والعجب معًا موقف آخر سلاطين المماليك من استعمال البنادق في الدفاع عن دولتهم!

ويحكي ابن زنبل – الذي أرخ آواخر أيام المماليك – أن رجلاً مغربيًا جاء إلى السلطان قنصوة الغوري، وأخبره عن خطورة تأثير سلاح البندقية، وأنه قد "استعملها عساكر الروم والعرب، فأمره أن يعلمها لبعض مماليكه، ففعل، وجيء بهم، فرموا بحضرته، فساءه ذلك، وقال للمغربي: **نحن لا نترك سنة نبينا ونتبع سنة النصارى**، وقد قال مولانا سبحانه وتعالى: "إن ينصركم الله فلا غالب لكم"سورة آل عمران من الآية ١٦٠، فرجع ذلك المغربي وهو يقول: من عاش ينظر هذا الملك وهو يؤخذ بهذه البندقية، وقد كان كذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".[٣٨].

وظل ذلك موقف المماليك بعد أن قتل الغوري وسيطر العثمانيون على الشام سنة 1516م، ثم تقدموا نحو مصر وهزموا سلطانها طومان باي في العام التالي، وجرى شنقه، وتفرق جيشه، وأسر بعض قادته، ومنهم كرتباي الوالي، فلما اقتيد إلى مجلس السلطان العثماني سليم جرت بينهما محاورة، فبرر هزيمة الجيش المملوكي باستعمال العثمانيين البنادق، ولا فضيلة لهم في ذلك – فيما يزعم – لأن هذا سلاح لو استعملته امرأة لقتلت من أمامها، "ونحن لو اخترنا الرمي بها ما سبقتنا إليه، ولكن نحن قوم لا نترك سنة نبينا محمد، ويا ويلك كيف ترمي بالنار على من يشهد لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة؟"[39].

وقد عاير أحد أمراء المماليك – واسمه شار بك– السلطان سليم قائلاً: "آه يا جبان يا ابن الجبان! يا من يقاتل المسلمين بالنيران"[٤٠].

والغريب أن المماليك كانوا يستعملون المدافع، وكان طومان باي قد جهزها بالفعل لحرب السلطان سليم، إلا أن أحد كبار قادته قد خدعه، وأشار عليه بإخفائها في الرمال حتى لا يكتشفها جواسيس العدو، ثم أفشى ذلك القائد سرها للعثمانيين ليتجنبوا آثرها[٤١]، فكيف يتحرجون من استعمال البنادق حتى تحصد جنودهم؟ ويقول مؤرخهم:" "ما ضرهم إلا البندق، فإنه يأخذ الرجل على حين غفلة، لا يعرف من أين

---

[٣٨] ابن زنبل الرمال: **آخرة المماليك** تحقيق عبد المنعم عامر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٨م)، ص ١٤٠

[39] المصدر السابق ص ١٣٩–١٤٠

[٤٠] المصدر نفسه، ص ١٨٩

[٤١] المصدر نفسه ص ١٢٧–١٢٩

جاءه، فقاتل الله أول من صنعها، وقاتل من يرمي بها على من يشهد لله بالوحدانية، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة" [42].

ولا غرابة أن نجد التفكير ذاته عند بعض فرق الجيش العثماني نفسه، فقد كانت فرقة السباهية – أي الفرسان المدرعين – آنذاك يتسلحون بالسيف والرمح والقوس، ويرون أن استخدام الأسلحة النارية لا يليق بمفهومهم عن الشجاعة، ويلاقون الويلات أمام المشاة الألمان المسلحين بالأسلحة النارية، حتى أصلح السلطان سليمان القانوني ذلك الخلل، بتقليل أعدادهم، وزيادة أعداد المقاتلين بالبارود والمدافع[٤٣].

وهل من تفسير لذلك سوى التمسك بتقاليد بالية في القتال، ورفض التجديد دون تعقل، والزعم بأن ذلك الخبال هو سنة الرسول صلوات الله عليه وصحبه الكرام؟ بينما يأمر الله تعالى في قرآنه قائلاً: (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) سورة الأنفال آية ٦٠ ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم قد حفر الخندق في حرب قريش والأحزاب؟ أخذ ذلك عن الفرس، وتلك حيلة لم يكن للعرب بها عهد، كما قال زعماء قريش، واتخذ المنجنيق في حصار الطائف، وفي حرب خيبر.

واستمر التخلف العلمي يأتي بثماره المرة حتى القرون الأخيرة، فلما نشبت الحرب الروسية العثمانية سنة 1768م قيل للعثمانيين إن الروس عزموا على جلب أسطول لهم من بحر البلطيق ليعززوا به قوتهم البحرية، فرفض العثمانيون — الذين غفلوا عن تطور علم الجغرافيا ووسائل الانتقال البحري – أن يصدقوا أن ثمة طريقًا بحريًا يصل ما بين بحر البلطيق والبحر المتوسط ، حتى باغتهم الأسطول الروسي بالفعل[٤٤].

– موقف الخلافة العثمانية من استعمال آلات الطباعة:

قامت الطباعة بدور حاسم في التطور البشري، والنهوض الثقافي والمعرفي، إذ نقلت النتاج العقلي المكتوب من مرحلة النتاج المحدود للنساخين والوراقين إلى مرحلة النتاج الكثيف للمطابع الآلية.

لكن الفتاوى المتعجلة والخاطئة حالت دون لحاق المسلمين بركب التقدم عقودًا من الزمن.

---

[٤٢] المصدر نفسه ص ١٢٥

[٤٣] راجع د. خليل إينالجيك: **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ترجمة د. محمد م. الأرناؤوط، (دار المدار الإسلامي، بني غازي، ليبيا، ط١، سنة ٢٠٠٢م) ص ٧٨-٧٩

[٤٤] أرنولد توينبي: **مختصر دراسة للتاريخ**، ترجمة فؤاد محمد شبل، (المركز القومي للترجمة، القاهرة، سنة ٢٠١١)، ٣١٢/٣

فقد طُبع أول كتاب في الغرب بالحروف اللاتينية ما بين عامي 1440م و 1450م ، كما طُبع أول كتاب بالحروف العربية عام 1514م في مدينة فانو بإيطاليا[٤٥]..

وفي عام 1493 أسس بعض اليهود الفارين من الأندلس – بعد سقوط غرناطة – أول مطبعة في عاصمة الدولة العثمانية إبان حكم السلطان بايزيد الثاني (1481–1512م)، الذي أصدر فرمانًا يحرم الطباعة على رعاياه المسلمين، بينما سمح لليهود والمسيحيين بإنشاء مطابعهم داخل الدولة العثمانية؛ شريطة عدم استعمال الحروف العربية. فأسس الأرمن أول مطبعة لهم سنة 1567م، وأسس الروم اليونانيون أول مطبعة لهم سنة 1627م [٤٦].

أما اشتراط السلطان بايزيد عدم استعمال الحروف العربية في الطباعة فجاء تلبية لبعض الفتاوى التي ذهبت إلى تحريم طباعة القرآن الكريم والكتب الشرعية، مخافة أن يؤدي استعمالها إلى الخطأ في كتابة آيات القرآن العظيم، أو كتب العلوم الشرعية، وشيوع تلك الأخطاء بسبب سرعة انتشار المطبوعات، وكذلك إمكان تسبب الاعتماد على الكتب المطبوعة في إضعاف ملكة الحفظ والاستظهار التي امتاز بها علماء المسلمين..

ومن هذه الفتاوى فتوى الفقيه المغربي محمد بن إبراهيم السباعي الذي خط وثيقة سماها "رسالة في الترغيب في المؤلفات الخطية، والتحذير من الكتب المطبوعة، وبيان أنها سبب في تقليل الهمم، وعدم حفظ العلم ونسيانه"، ومن الواجب أن يضاف إلى هذه الهواجس تلك النظرة الضيقة التي تراعي مصالح جماعات من الخطاطين، رأوا في الطباعة سببًا لكساد مهنتهم، والحط من أقدارهم كجماعة متميزة في السُلَّم الاجتماعي.

وكان علينا أن ننتظر ثلاثة قرون منذ بدء الطباعة حتى أصدر السلطان "أحمد الثالث" فرمانًا سنة 1139هـ/1727م – بموافقة شيخ الإسلام– يقضي بتأسيس مطبعة لطباعة الكتب باللغة التركية، لكنها غير مسموح لها بطباعة الكتب الدينية.. وظلت الأمور تتراوح بين الموافقة على الطباعة والمنع، حتى عصف الانفتاح على أوروبا في النهاية بتلك المخاوف[٤٧].

---

[٤٥] سليم نزهت: **تاريخ الطباعة في تركيا** ١٧٢٩–١٩٢٩م، ترجمة وتعليق سهيل صابان، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ، ١٤١٣هـ)، ص ١٠–١١

[٤٦] المرجع نفسه ص ٢١–٢٢

[٤٧] برنارد لويس: **ظهور تركيا الحديثة**، ترجمة قاسم عبده قاسم وسامية محمد، (المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، سنة ٢٠١٦م)، ص ٦٥، ٧٣–٧٤، ٢٣٦، شكيب أرسلان: **تاريخ الدولة العثمانية**، (دار ابن كثير، دمشق، ط١، سنة ٢٠١١)، ص ٢٤٤، حسن الوزاني: **تحريم الطباعة**، (مقال بجريدة العرب، بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١٦م)، تم الاطلاع

أما في مصر فقد تأخر ظهور المطبعة حتى الحملة الفرنسية، حيث جلبها نابليون معه سنة 1897م لطباعة منشوراته الدعائية، وكتابات المستشرقين المرافقين له، وتيسير أمور حربه[٤٨].

لقد أدت التخوفات المبالغ فيها والإسراف في باب سد الذرائع، والتسرع في إصدار الفتاوى دون معرفة حصيفة بالواقع، أو نظر سديد إلى المآلات؛ إلى تأخر المسلمين في الأخذ بأسباب النهوض قرونًا من الزمن..

المبحث الثاني: المعوقات السياسية والاجتماعية للنهضة العلمية

أ) سلبيات الإدارة السياسية لقضايا التعليم:

إن تراجع فرص الترقي العلمي والاجتماعي النزيهة المبرأة من الفساد، وتزايد التضييق السياسي على العلماء المخالفين في الرأي والمذهب، والمعارضين في السياسة[٤٩]، والحد من الإنفاق على التعليم، وتقليص الميزانيات المخصصة للبحث العلمي، والعمل الأكاديمي كله، وتقديم صورة سلبية عن العلماء وطلاب العلم، وانقلاب الموازين الاجتماعية في النظر إليهم مقارنة مع غيرهم، وتأخيرهم وتقديم غيرهم ممن قلت حظوظهم من الكفاءة والنباهة؛ مما يترك آثاره على مواجهة التخلف العلمي، فضلاً عن تشابك الاستبداد السياسي والفساد الداخلي؛ فالحريات بأشكالها المختلفة تعد أبرز سمات البيئات المحفزة للمعرفة، وكل بيئة تمكينية راعية للحريات توفر إطارًا ملائمًا لقيام مجتمع المعرفة[٥٠]،

ولا نجد محاولات جادة في كثير من العالم الإسلامي للتصدي لمحاولات فرض التخلف الاقتصادي والفساد السياسي والاجتماعي، وتغذية الصراعات الطائفية والعرقية، والاضطرابات الداخلية، والحروب بين الدول الإسلامية.. مما أسهم في إلهاء العالم الإسلامي عن نشدان التقدم العلمي، ولا سبيل للنهضة إلا به.

عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١/٦ الساعة ٦،١٠، وراجع **الطباعة في العهد العثماني.. بين الافتراءات والحقيقة**، مقال بموقع ترك برس، تم الاطلاع عليه في التاريخ المذكور، ورابطه: https://www.turkpress.co/node/43195

[٤٨] جون ماري كاريه: **مختارات من كتاب رحالة وأدباء فرنسيون في مصر**، ترجمة د. سونيا مجا ود. رشا صالح، (مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط١، سنة ٢٠٠٦م)، ص ٢٢٩، د. زينب عبد العزيز: **مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيس**، (د. ن)، سنة ١٩٩٨)، ص ١٤

[٤٩] راجع أنطونيوس كرم: العرب أمام تحديات التكنولوجيا ص ١٠٣-١١١

[٥٠] **تقرير المعرفة العربي** للعام 2009م ص 53-54، تصدره مؤسسة محمد بن راشد المكتوم بدبي بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للتنمية، سنة ٢٠٠٩م.

ب) تعويق مشاركات الأوقاف[٥١] والمجتمع المدني في التعليم:

مثلت الأوقاف في الخبرة الإسلامية الجهد المجتمعي في إدارة أمور الأمة بالمشاركة مع الجهد الحكومي، وإن ظلت معظم أوجه العمل المجتمعي مكفولة من المجتمع ذاته، وعلى رأسها التعليم، منذ كان مرتبطًا بالمساجد، فكان بناؤها والنفقة عليها وعلى الكتاتيب الملحقة بها مما تكفل به – غالبًا – المنفقون من المسلمون، ولما ظهرت المدارس كان للوقف الأهلي دور بارز في إنشائها وتبنيها وكفالة طلابها، ومعلميها، فلما ظهرت الجامعات الكبرى مثل جامع الأزهر 361هـ/ ٩٧٢م، ثم المدرسة المستنصرية في بغداد سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م، خُصصت لها الأوقاف الكثيرة، مما ضمن استقلال أساتذتها وطلابها، ومناهج التدريس فيها، ووفرة علمائها ومكتباتها[٥٢].

ولما طغى التأثير الغربي على أنظمة الحكم في العالم الإسلامي بدأ التغوّل الحكومي، فاختفى نموذج "الدولة الحارسة" السائد في معظم العصور الإسلامية– والذي تكتفي فيه الدولة بأمور السياسة العليا والجهاد وإنفاذ الشريعة، وتترك مساحات واسعة للمشاركات الشعبية في تسيير أمور المجتمع – ليحل محله نموذج "الدولة المستبدة" التي تحكم سيطرتها على البلاد والعباد، وتخشى من سلطان العلماء والقوى الاجتماعية النافذة، وكان من أهم ما توجهت إليه هو السيطرة على الأوقاف، وكان الاستيلاء على الأوقاف المخصصة للمؤسسات التعليمية على رأس أولويات تلك الحكومات في طورها الجديد.

---

[٥١] المقصود بالوقف في اللغة: الحبس والمنع، وفي الشرع: حبس العين عن التمليك؛ مع التصدق بمنفعته، راجع الجرجاني، االشريف علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٢٥٣، د. وهبة الزحيلي: **الفقه الإسلامي وأدلته**، (دمشق، دار الفكر، ط٤ المنقحة، (د.ت) ٧٦٠٧/١٠، وهو من الأعمال العظيمة الأجر، الجليلة الأثر في الإسلام، وقد تبارى الصحابة في وقف كرائم أموالهم لله، أخذًا بقوله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) آل عمران آية ٩٢ حتى قال جابر بن عبد الله – رضي الله عنه –: "لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ذو مقدرة إلا وقف"، راجع ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ): **المغني**، (مكتبة القاهرة، القاهرة (د.ت)، ٣/٦

[٥٢] راجع د. إبراهيم البيومي غانم: **تحولات العلاقة بين الأوقاف والتعليم العالي في مصر الحديثة**، (مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد ٢٠، السنة ١١، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ/مايو ٢٠١١م)، ص ١٩–٢١

فقد استولى محمد علي باشا في مصر على الأوقاف المخصصة للأزهر، وهو المؤسسة التعليمية الكبرى في البلاد، وكان صنيع محمد علي يعني أن التعليم أصبح مسئولية الدولة، وأن "مرجع الأمر فيه إلى إرادة رجل واحد"(٥٣).

غير أن محمد علي لم يمنع المجتمع من تخصيص أوقاف جديدة للتعليم في الأزهر، وبذلك عادت الأوقاف الباذخة إليه من جديد، حتى جاءت الثورة المصرية في سنة ١٩٥٢ لتستولي على الأوقاف كلها، وتجعلها تحت سيطرة وزارة الأوقاف، أي في قبضة الحكومة، وتم تأميم المؤسسات التعليمية لتنفرد الدولة بأمره كله(٥٤).

كانت سيطرة الدولة على ميزانيات التعليم تعني إدارته في فلك الدولة، والقضاء على استقلاليته، كما كانت تعني رهن العملية التعليمية بقدرات الدولة المالية، مما أسفر عن تقتير كبير في الإنفاق على التعليم والبحث العلمي الذي تزايدت كلفته في عصرنا الحديث، مما قاد في النهاية إلى تخلف علمي متراكم.

عظم دور المشاركة المجتمعية في التعليم الغربي:

وبينما يحدث هذا في معظم عالمنا الإسلامي كان الغرب يخطو خطوات واسعة نحو توسيع المشاركة الأهلية في مجالات التعليم والبحوث، وهو جزء من المشاركة في العمل الاجتماعي بشكل عام، ففي الولايات المتحدة الأمريكية ٧٥ ألف مؤسسة خيرية مانحة، بحسب إحصائية سنة ٢٠٠٨م، تقدم منحًا تقدر ب ٦٥٦ بليون دولار، يذهب أكثر من خمسها للمؤسسات التعليمية، من جامعات ومعاهد ومدارس، ومراكز أبحاث، وتدريب وتطوير، فإذا أضفنا المنح المقدمة إلى التطوير التكنولوجي العلمي فإن القيمة ترتفع إلى ما يقارب الثلث(٥٥).

ومما يذكر هنا أن ذلك السلوك الاجتماعي الحميد قد رعته الدولة وشجعته، وسنّت القوانين التي تفتح له الأبواب، وتشجع المانحين، وتعطيهم من الامتيازات المادية والأدبية ما يشعرهم بالرضا عما يفعلون.. كما نشير إلى أنه ليس سلوكًا طارئًا في العقود الأخيرة، بل هو منهج قديم، حيث تأسست في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين عدد من الجامعات الأمريكية الكبرى، جملت أسماء أشهر مؤسسيها، مثل جامعة

---

(٥٣) د. أحمد عزت عبد الكريم: **تاريخ التعليم في عصر محمد علي**، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٨م)، ص ٥٦٥

(٥٤) إبراهيم بيومي غانم: مقال سابق ص ٣١-٣٤

(٥٥) د. طارق عبد الله: **هارفارد وأخواتها، دلالات الوقف التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية**، مقال بمجلة أوقاف، العدد ٢٠. السنة ١١، ص٥٤

يال Yal التي تأسست سنة ١٧٠١م، وجامعة ستانفورد Stanford التي تأسست سنة ١٨٩١م، وجامعة كارنيجي Carnegie وتأسست سنة ١٩٠٠م، وجامعة روكفلر Rockefeller وتأسست سنة ١٩٠١م، وقبلهم جميعًا تأسست أشهر الجامعات الأمريكية "هارفارد" التي أسسها القس البروتستانتي جون هارفارد Harvardسنة ١٦٣٦م[٥٦].. والتي بلغت الأوقاف المخصصة لها في سنة ٢٠٠٧م أكثر من ٣٤,٦٣٤ مليار دولار[٥٧].

وتعود الريادة والسمعة العلمية العالية لهذه الجامعات إلى ما تحظى به من ميزانيات ضخمة، وإنفاق هائل على البحث العلمي، وما يتمتع به أساتذتها من مكانة علمية رفيعة، فإن ٤٣ من أعضاء هيئة التدريس في هارفارد قد حصلوا على جزائز نوبل في العلوم، فضلاً عما حازه آخرون من جوائز عالمية في حقول معرفية أخرى[٥٨].

ج) اضطراب الهوية الإسلامية في أجواء الانفتاح العلمي:

المقصود بالهوية الثقافية والحضارية لأمة ما هو "الثابت والجوهري والمشترك من السمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل لها طابعاً تتميز به عن الأمم الأخرى"[٥٩]..

ومن المقطوع به أن التعليم والبحث العلمي ينبغي ألا يتضارب مع هوية الأمة، وأنه إن لم يستهدف تعزيزها، فلا أقل من أن يتساوق معها، وهو ما نفتقده في مسيرة التعليم إبان مرحلة الاستعمار الغربي وما تلاها من فترات.

لقد كان الانفتاح العلمي على الغرب الاستعماري أمرًا لا مفر منه، فهو المتملك أسباب العلم والنهضة، وهو المتحكم في مقدرات وسياسات بلادنا إبان فترة الاستعمار، وكانت الأجواء المصاحبة لهذا الانفتاح مشبعة بمشاعر الدونية والعجز والتردي ، من جانب، والانبهار بالنموذج الحضاري الغربي والدعوة إلى تبنّيه

---

[٥٦] المقال السابق ص ٥٦-٥٧

[٥٧] المقال نفسه ص ٧٢

[٥٨] المقال نفسه ص ٥٩-٦٠

[٥٩] راجع د. خالد رُوشه: **أزمة الهوية الإسلامية**، مقال بموقع المسلم، ١٨ ذو الحجة ١٤٢٩هـ، ورابطه: https://almoslim.net/node/103661 ، تتكون الهوية "نتيجة عمليةِ تفاعل مركبة بين جماعة من الجماعات البشرية؛ وثقافة وتاريخ المجتمع الذي تعيش في كنفه، وهي عملية تمتد ردحًا من الزمن، ومن خلال ذلك الامتداد الزمني تكتسب هذه الجماعة سمات معينة، وهوية محددة، تصبح ثابتة، أو شبه ثابتة، يُفترض أنها تميزها عن غيرها من الجماعات البشرية الأخرى"، د. عبد الوهاب المسيري: **من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟ أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية**، (دار الشروق، القاهرة، ط٦، سنة ٢٠٠٩)، ص١٠١

والأخذ به من جانب آخر، ويربط أبو الأعلى المودودي بين التأخر الحضاري في العالم الإسلامي والانهزام النفسي أمام الغرب، فيقول: "لما انقطع في المسلمين نبوغ أهل الفكر وأصحاب التحقيق؛ ولما ترك القوم مزاولة التفكير والبحث والتدقيق؛ وقعد بهم اللغوب عن موالاة الاجتهاد وتحصيل العلم؛ فلكأنهم تنازلوا من تلقاء أنفسهم عن مكانتهم في قيادة العالم، ونهضت من جانب آخر أمم الغرب تتقدم في هذا السبيل"(٦٠).

ويلخص مالك بن نبي أسباب أزمة العالم الإسلامي بقوله:" إن جوهر المسألة هو مشكلتنا العقلية"، ويعني بها التجافي الحاصل بين الهوية الإسلامية – التي يجب أن تنبع منها الحضارة – والواقع العقلي والثقافي للأمة(٦١).

فقد أدرك الغرب أن بقاءه مستعمرًا بلاد الإسلام لن يكتب له الخلود، فوضع منذ البداية خططه طويلة الأمد لصناعة النُّخَب صاحبة العقول الموالية له، وتمهيد السبل أمامها لتكون الطليعة الوارثة له.. واتخذ لذلك مسارات تستهدف استلاب تلك العقول بخلخلة معتقداتها الإسلامية، وهويتها الحضارية، ولم يكن ذلك صعبًا نظرًا لامتلاكه أزمَّة القيادة والتوجيه.

–توجيه البعثات إلى أوروبا:

كان إرسال البعثات إلى أوروبا للتعرف على مناهج العلم وطرقه ومنجزاته عملاً لا بد منه للحاق بركب المتصدرين في العالم، غير أن التخطيط لذلك العمل ووضع أهداف خبيثة له كان من فعل المستعمر الغربي الباكر نفسه، حيث وضع نابليون بونابرت – قائد الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨– خطة ابتعاث جماعات من المسلمين إلى أوروبا بهدف تغريبهم فكريًا، ثم إعادتهم إلى بلادهم ليكونوا رسل الحضارة الأوروبية فيها؛ فقد أمر في رسالته إلى الجنرال كليبر – نائبه على مصر – بتجهيز 500 إلى 600 من المماليك، فإن لم يجد العدد كافيًا فليكونوا من العرب ومشايخ البلدان؛ لتسفيرهم إلى فرنسا، فيظلوا هناك سنة أو سنتين، ليشاهدوا هناك عظمة فرنسا، ويعتادوا على تقاليدها ولغتها، ثم يعودوا إلى مصر فيكون لفرنسا منهم "حزبٌ يضم إليهم غيرهم"(٦٢).

---

(٦٠) **نحن والحضارة الغربية** ص ٤

(٦١) مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسعاوي، (دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سنة ١٩٨٦م) ص ٣٦

(٦٢) أحمد حافظ عوض: **فتح مصر الحديث، أو نابوليون بونابارت في مصر** ، (مطبعة مصر، سنة ١٩٢٥) ص ٤١٠، وراجع محمود محمد شاكر: **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ضمن مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٧م)، ص ١٠٨

وكان **البدء** بإرسال **البعثات العسكرية** إلى الغرب لما أرسل محمد علي باشا بعثاته الدراسية إلى فرنسا سنة 1826م، ثم سار في ذات الطريق السلطان محمود الثاني، فأرسل البعثات إلى بلدان أوروبية متنوعة بدءًا من سنة 1827م، وكان البدء في الحالتين متشابهًا، وذلك عن طريق فتح الأبواب أمام تغريب الجيوش، وهي القوى المنظمة التي يمكن الاعتماد عليها في فرض توجهات الدول وسياساتها(٦٣).

تلت **البعثات التعليمية المدنية** سابقتها العسكرية، فتلقفتها منظومات الاستشراق الغربي(٦٤)، وكان هؤلاء المبعوثون شبابًا، شبوا في أجواء من التدين الموروث الهش، لا يصمد أمام وهج الحضارة الغربية وبريقها. ولم تتحصن عقولهم بأصالة الاعتقاد، وأساليب الحِجاج عنه. ووجدوا أنفسهم أمام قامات علمية مشهود لها، ومناهج صارمة انقادوا إليها، ونقلوها إلى بلدانهم الظمأى إلى العلم ومناهجه، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وأنهم حين يجمعون أكوامًا من منتجات الحضارة يصنعون حضارة، والحقيقة أن "الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حتمًا أن نعكس هذه القاعدة، حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها"(٦٥).

– التأثيرات السلبية للتعليم الأجنبي:

يسفر المسيو شاتليه Chatelier المستشرق والمبشر النصراني عن أحد أهم غايات الاستعمار الفرنسي – التي لا تختلف عن غايات الاستعمار كله – وهي تغيير العقول الإسلامية لتوائم مراد الغرب منها، من خلال أدوات التعليم والتربية، فيقول في سنة ١٩١٠: "ينبغي لفرنسا أنْ يكون عملها في الشرق مبنيًا قبل

---

(٦٣) يقول المستشرق البريطاني هاملتون جب H. Gibb (١٨٩٥-١٩٧١م) – إن "الجيش أكثر عناصر الحياة السياسية تأثرًا بالنزعة الأوروبية"، والجهة التي يلجأ إليها التغريبيون الذين أضجرهم بطء قناعة الرأي العام بالتغريب، وبطء تجاوب المنظومة السياسية معه، فكان اللجوء لقوة الجيوش هو الورقة الحاسمة لإحداث التغيير الفوقي للمجتمعات المسلمة . راجع جب: **وجهة الإسلام**، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، (طبعة جامعة لندن، سنة ١٩٣٣م)، ص ٤٣– ٤٤)

(٦٤)الاستشراق هو التبحر في لغات الشرق وآدابه وتسليط الضوء على حضارته ودراستها. راجع آربري، أ. ج.: **المستشرقون البريطانيون**. تعريب محمد الدسوقي النويهي. (لندن: وليم كولينز، ١٩٤٦) ص٨، إدوارد سعيد: **الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة د. محمد عناني، (رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، سنة ٢٠٠٦م)، ص٤٤–٤٥، وعن ارتباط الاستشراق بالاستعمار الغربي والتنصير راجع د. محمد البهي: **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط٨، سنة ١٩٧٥)، ص ٤٨–٦٣) ، وقد صحب نابليونَ مائة وخمسة وستون من كبار علماء فرنسا ضمن حملته على مصر، شارك بعضهم في القتال، وقتل. راجع جون ماري كاريه: مصدر سابق، ص٢٠٢، ٢٢٣، ٢٢٦–٢٢٧)

(٦٥) مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ص ٤٢، ٤٤

كل شيء على قواعد التربية العقلية"[٦٦]، وإن "نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائمًا للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية"[٦٧].

وكان القس الإنجليزي صموئيل زويمر أكثر خبثًا، أو أكثر صراحةً، حيث قال: "إنَّ لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد، ومزية هدم، أو بالحري مزيتي تحليل وتركيب"، ويقصد بالهدم إخراج المسلمين من عقيدتهم كليّة، أو إضعافها فيهم، ويقصد بالبناء إدخالهم في النصرانية، أو تقريبهم منها، ويزعم زويمر أن "مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم، واعتنقوا النصرانية في طرف خفي"[٦٨].

ويؤكد شاتليه أن تعليم اللغات الأوروبية يفتح المجال للتأثر بالفكر الغربي، ويقود بهدوء إلى هدم الفكرة الإسلامية[٦٩].. فالتعليم إذن هو الباب الأوسع لإحداث الأثر، وديمومته، أو طول بقائه..

وقد كان الجهد الأبرز للإرساليات التنصيرية موجهًا إلى إنشاء المؤسسات التعليمية في بلاد الإسلام. وبخاصة في ظل الاحتلال الأجنبي، فنشطت الإرساليات في بلاد الشام في ذلك المجال، ومنها الإرسالية المشيخية الأمريكية التي جاءت إلى لبنان سنة 1820م، وافتتحت 33 مدرسة في خلال 40 سنة حتى سنة 1860، وأسست أكبر مؤسستين تربويتين في لبنان: الكلية السورية الإنجيلية سنة 1866م – وأصبح اسمها فيما بعد الجامعة الأمريكية في بيروت – وجامعة القديس يوسف اليسوعية سنة 1875م.

واضطلعت هذه المؤسسات بالدعاية لسياسات بلدانها الأصلية، كما قامت بالدور التنصيري المطلوب منها، وقدمت الرعاية للواعدين من طلابها النصارى، فأصبحوا بعد قليل أبرز مثقفي تلك البلاد، كما حدث في مصر والشام، ولهم القدح المعلَى في تدوير دولاب السياسة والفكر فيهما[٧٠]، وللدلالة على مبلغ القوة التي وصلوا إليها نذكر أن ربع النخبة السياسية في سوريا كانوا منهم[٧١].

---

[٦٦] **الغارة على العالم الإسلامي**، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، (منشورات العصر الحديث، ط٢، جدة، سنة ١٣٨٧هـ)، ص١٣

[٦٧] حكاه عنه شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي ص ٢٠

[٦٨] المصدر السابق ص ١٧

[٦٩] شاتليه: السابق ص ١٧-١٨

[٧٠] راجع زين نور الدين: **نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية**، (دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، سنة ١٩٨٦م)، ص ٥٠-٥٤

[٧١] د. بشير زين العابدين: **الجيش والسياسة في سوريا ١٩١٨-٢٠٠٠**، دراسة نقدية ، (دار الجابية، ط١، سنة ٢٠٠٨م)، ص ٧٤

وكان مما قاله الجنرال الفرنسي بيير كيللر: "كانت التربية الوطنية بكاملها تقريبًا في أيدينا، وفي بداية الحرب العالمية الأولى 1914-1918م كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتعلمون في مدارسنا، وكان من بينهم من ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة، مما جعل الجمعية المركزية السورية — التي تألفت في باريس- تعلن عام 1917م أن جميع ميول السوريين وعواطفهم تتجه نحو فرنسا؛ بعد أن تعلموا لغتها، وخبروها على مر الأجيال، وتأكدوا من إخلاصها وتجردها"(٧٢).

وانشأ اللورد كرومر - المندوب السامي البريطاني في مصر (١٨٨٢- ١٩٠٦)- كلية فيكتوريا في الإسكندرية التي قصد بها تربيه جيل من ابناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط انجليزي(٧٣). وامتدح المندوب السامي البريطاني الجديد في مصر اللورد لويد سنة 1936م صنيع سلفه اللورد كرومر؛ وأنه "ليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة أفعل من كلية تعلم الشبان من مختلف الأجناس المبادئ البريطانية العليا"(٧٤).

أما في قلب الدولة العثمانية فقد تأسست مدرسة الليسيه العثمانية سنة 1868 في جالاتا سراي في اسطنبول، وكان معظم التدريس فيها باللغة الفرنسية، وقد قدر لخريجيها أن يقوموا بدور بارز في السياسة والمجتمع فيما تبقى من عمر الخلافة، وفيما سيأتي من عمر الجمهورية التركية فيما بعد، ثم تأسست عدة مدارس أجنبية منها كلية روبرت الأمريكية البروتستانتية سنة 1862.. "لقد كان النزوع نحو النهج الغربي في التعليم يسير ببطء، لكنه نفخ في المجتمع والدولة روحًا جديدة، ومع حلول القرن العشرين كانت قد أفرزت نخبة حاكمة تمتلك التصميم للقيام بثورة اجتماعية وسياسية هي التي أقامت تركيا الحديثة"(٧٥).

وعُنيت الكنائس الغربية بتأسيس مدارس للبنات في الشرق الإسلامي، ليضمنوا امتداد الأثر الاجتماعي العميق في الأجيال القادمة، وبخاصة في الأسر الأرستقراطية المؤهلة للنفوذ والحكم.. فكانت أول مدرسة للبنات في الدولة العثمانية في بيروت، سنة ١٨٣٠م، تلتها مدارس في مصر والسودان وسوريا والهند وأفغانستان وغيرها(٧٦)، ففي مصر كانت هناك كليتان للبنات سنة ١٩٣١ مهمتهما تخريج بنات الطبقات الراقية في

---

(٧٢) راجع د. محمد محمد حسين: **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٨٤م)، ٢/٢٨٥

(٧٣) د. محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ص ٤٥-٤٦

(٧٤) د. محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية ٢/٢٨٦

(٧٥) راجع برنارد لويس: السابق ص ١٥٢، ١٥٧

(٧٦) د. مصطفى خالدي وعمر فروخ: **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، (المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، شباط سنة ١٩٥٣م)، ص ٨٧

المجتمع، وكان جميع المدرسين فيها من الأجانب[٧٧]، وتقول المُبَشِّرَةُ آن ميليغان: "لقد اِستطعنا أَن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تَحْتَ النُّفُوذِ المسِيحِيّ، وبالتالي ليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة" [٧٨].

وتعددت كتابات العلماء المسلمين تحذر من خطورة مؤسسات التعليم الأجنبي، ودورها التنصيري والاستعماري، ومهمتها في سلخ أبناء المسلمين من دينهم وهويتهم، أو على أقل تقدير إضعاف سلطان ذلك عليهم[٧٩].

ومن هؤلاء الشيخ محمد عبده الذي حذر من خطر مؤسسات التعليم الأجنبي – وقد عاينها في أثناء وجود منفيًا في الشام بعد الثورة العرابية – وذكر من آثارها أن "المتعلمين فيها إما أن يخرجوا مسيحيين في الاعتقاد؛ مسلمين بالاسم، أو دهريين لا عقيدة لهم"[٨٠].

وصرخ محمد إقبال منبهًا إلى خطورة الدور التغريبي للتعليم الأجنبي، قائلاً على لسان قائد غربي يعلم ابنه دهاء المستعمر: ولا تبغِ بالسيف قهر المحكومين.. وألقِ بذاتك في حمض مناهج التعليم.. ثم شكِّل منها ما بلائم مرادك.. إن هذا الحمض بفوق في تأثيره الإكسير.. الذي يحول جبل الذهب إلى كومة تراب[٨١].

وقد تأكد المنصفون من النصارى من خطورة ذلك التعليم الأجنبي، وأنه مرقاة إلى تقبل الاستعمار الغربي، بل إلى طلبه ونشدانه، فأسماه جبران خليل جبران "خبز الصدقة"، الذي التهمناه "لأننا جياع متضورون، ولقد أحيانا ذلك الخبز، ولما أحيانا أماتنا" [٨٢].

---

[٧٧] سليمان: المرجع السابق ص ٢٦٣

[٧٨] مصطفى خالدي وعمر فروخ: المرجع السابق، ص ٨٧

[٧٩] راجع بكر بن عبد الله أبو زيد: **المدارس العالمية، الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها**، (دار ابن حزم ، دار ألفا للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٣-١٨، حيث أثبت ٦٤ كتابًا وبيانًا وتصريحًا من العلماء في ذلك.

[٨٠] محمد عبده: **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده** ، تحقيق د. محمد عمارة، (دار الشروق، القاهرة، ط١، سنة ١٩٩٣م)، ١٠٣/٣

[٨١] محمد إقبال: **ديوان ضرب الكليم** ، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، (نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، سنة ٢٠٠٤) ص ١٣٧

[٨٢] **البدائع والطرائف**، (كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣م)، ص ٥٧-٥٨

معلمون أجانب في مدارس وجامعات العالم الإسلامي:

وفي ظل الاحتلال الأجنبي وجد المعلمون الأجانب فرصًا وافرة للتدريس في المدارس الوطنية، وبخاصة حين تفتقر البلاد إلى ذوي الكفاءات العلمية من أبنائها، كما حدث في وزارة المعارف المصرية التي وصل عدد الأجانب العاملين فيها إلى ١٩٢ أوروبيًا سنة ١٩٠٦، وظل المستشار البريطاني لوزارة المعارف دوجلاس دنلوب صاحب اليد العليا فيها، وكذا من أعقبه في وظيفته حتى سنة ١٩٢٢، وتولى المهمة من بعدهم مراقبون إنجليز للإشراف على مراحل التعليم للرجال والنساء[٨٣].

وتزايدت أعداد الأساتذة الأجانب في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة فيما بعد) منذ تأسيسها سنة ١٩٠٨، فوصلت أعدادهم سنة ١٩٢٧ إلى ٣٢٪ من مجموع أساتذتها، وتركزت عنايتهم بالتدريس في كليتي الحقوق والآداب، وهما الكليتان اللتان تخرجان الساسة وأعضاء المجالس التشريعية والصحفيين والخطباء، من موجهي الرأي العام، فكانت أعدادهم في كلية الآداب ٤٥٪ من جملة الأساتذة الأجانب في الجامعة، وتنافس البريطانيون والفرنسيون في السيطرة على هاتين الكليتين[٨٤]. وكان بعضهم من أخطر المستشرفين مثل "**ماسينيون**" الفرنسي (ت ١٩٦٢م) الذي وجه جل عنايته إلى دراسة المذاهب المنحرفة عن الإسلام، والشخصيات المثيرة للجدل مثل الحلاج، وكان عضوًا نشطًا في دوائر المستعمرات الغربية[٨٥].

د) نزيف الكفاءات العلمية وضعف الإفادة منها:

تشير دراسات عائدة إلى سبعينات القرن الماضي إلى أن الوطن العربي يُساهم بنحو 31% من الكفاءات والعقول المهاجرة إلى الغرب من الدول النامية، كما أن نحو 50% من الأطباء و23% من المهندسين و15% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية، يهاجرون إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا

---

[٨٣] د. محمود محمد سليمان: **الأجانب في مصر ١٩٢٢-١٩٥٢، دراسة في تاريخ مصر الاجتماعي**، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط١، سنة ١٩٩٦م)، ص ٢٥٦

[٨٤] المرجع السابق ص ٢٦٩-٢٧٠

[٨٥] راجع ترجمته عند د. عبد الرحمن بدوي: **موسوعة المستشرقين**، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، سنة ١٩٩٣م)، ٥٢٩- ٥٣٥

بوجه خاص، وتوضِّح هذه الدراسات أن نحو 75% من الكفاءات العِلمية العربية مُهاجرة إلى ثلاث دول غربية هي: بريطانيا وأمريكا وكندا[٨٦].

وتزايد معدل هجرة العقول إلى الغرب بسبب اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية والمجتمعية في العالم الإسلامي، مع توافر الإغراءات المالية والعلمية والاجتماعية في بلاد المهجر.

ويُعد التخصص الدقيق للكفاءات المهاجرة من المؤشرات الدالة على حساسية الظاهرة وأهميتها، سواء في بلدان الإرسال أم في بلدان الاستقبال[٨٧] .

ولنا أن نتصور حجم الجهود التي بذلت لتربية وتعليم هذه الألوف من العلماء ومشاريع العلماء، وتقديمها جاهزة للغرب، ومبلغ الخسارة التي تكبدها عالمنا الإسلامي بخسارة العطاء المنتظر من هؤلاء العلماء..

لقد أسهمت الاضطرابات السياسية والثورات الشعبية والانقلابات العسكرية والتدخلات الأجنبية في تفاقم أعداد الكفاءات العلمية المهاجرة إلى الغرب في الألفية الجديدة.. يضاف إلى تلك العوامل ضعف العوائد المالية، والميزانيات العلمية، وقد مرت بنا إحصائيات تظهر تهاوي الإنفاق على البحث العلمي، والتعليم بوجه عام، وظاهر للعيان اختلال أوجه الإنفاق العلمي مقارنة بما ينفق على منظومة الدفاع والأمن السياسي، والإنفاق الاستهلاكي ومظاهر الترف.. في مقابل ذلك نجد العوامل الجاذبة للعلماء في الغرب: كاحترامهم، والتقدير الأدبي والمادي لهم، وانفتاح أبواب الحياة الكريمة أمامهم، وتوفر ميزانيات البحث العلمي ووسائله، وأجواء الترقي العلمي وآفاقه.. وغير ذلك.

ولا يجوز الانصراف عن المخاطر التي تحتوش هؤلاء المبعوثين في بيئات ثقافية ومنظومات اجتماعية وتربوية تخالف القيم الإسلامية والميراث الاجتماعي الذي أَلِفه هؤلاء المبعوثون، فلا غرابة إذن أن نجد الانبهار الشديد بالغرب وحضارته، تمتزج مع النقمة البالغة على تردي الأوضاع في بلادنا، وتلك مشاعر متوقعة لدى

---

[٨٦] راجع د. أنطونيوس كرم: **العرب أمام تحديات التكنولوجيا** (عالم المعرفة- ٥٩، الكويت، سنة ١٩٨٢م)، ص١٠١، أنطوان زحلان: **هجرة الكفاءات العربية**، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٤)، ص ٢٣-٢٤

[٨٧] فمن بين الكفاءات المهاجرة من بلدان المغرب العربي حوالى ١٦٠٠ في المركز القومي للبحوث العلمية والجامعات والمعاهد الفرنسية، وهناك حوالى ٧٠٠٠ طبيب جزائري من أصل ١٠,٠٠٠ طبيب أجنبي في فرنسا، وهاجر ٧٠٪ من مجموع أساتذة معهد الرياضيات في الجزائر خلال العقد الأخير، وبلغ مجموع الكفاءات العليا المغربية المهاجرة إلى كندا حوالى ٢,٢٢٣ منها ١,٥٦٣ في مجالات مهمة، مثل هندسة المعلومات وعلوم التقنية وعلوم الإدارة والصحة. (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا): **تقرير السكان والتنمية العدد الثالث الهجرة الدولية والتنمية في المنطقة العربية: التحديات والفرص**، (الأمم المتحدة، نيويورك، سنة ٢٠٠٧)، ص٣٠

شباب لم يُحصنه العلم ولا التربية في بلده، ولم يدرك مزالق الحضارة الغربية، ولم تتكشف أمام ناظريه سوءاتها، وجنايات الغرب الاستعماري على بلاده، وأنه كان أهم أسباب نكباتها، وأن التخلف العلمي الذي تعانيه بلاده هو نتيجة منطقية لسياسات الغرب ووكلائه تجاهها.

ولا شك أن توليد وتغذية وترسيخ هذه المشاعر والأفكار لدى المبتعَثين من بلاد الإسلام كان عملاً غربيًا مخططاً له. ولنا أن نستحضر هنا مقولة المستشرق الفرنسي ماسينيون: "إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يُلوَّنوا بالمدنية المسيحية"[٨٨].

ويزداد الأمر سوءًا إذا علمنا أن كثيرًا من هذه الكفاءات لا تجد لها مكانًا مناسبًا في الغرب، فتضطر إلى الرضا بما لا ترضاه في بلدها، فقد تمكن ٤٧ % من المهاجرين من تونس و ٤٣ % من مصر من الحصول على مهن تناسب مهاراتهم[٨٩]، مما يعني أن أكثر من نصف هذه العقول المهاجرة تعجز عن تحقيق طموحات تناسبها في الوطن الأم والمهجر على السواء.

ولا ينبغي أن ينصرف الذهن إلى أننا نقف أمام التلاقح الفكري بين الشرق والعرب، أو التعاون العلمي بينهما، أو ننكر دور هجرات العلماء عبر التاريخ في النقل الحضاري والتقدم الإنساني، وقد كان لأمة الإسلام دور مشهود في نقل الحضارة إلى الغرب في العصر الوسيط، وكانت هجرات العلماء المسلمين ورحلاتهم بين مختلف شعوبهم وأوطانهم في دولة الإسلام الواحدة إحدى مسارات العلم المحمودة في زمانهم، ولكننا ننكر التفريغ المنهجي المتعمد للأمة من علمائها بالترغيب المادي والأدبي لمن يستجيب منهم، أو القتل والاغتيال لمن يمثل خطرًا على المشروع الغربي والصهيوني، أو يتمنع عن التماهي فيه.. والأمثلة على ذلك تطول.

وينبغي ألا نسرف في لوم هذه العقول المهاجرة، ونشكك في صدق ولائها الوطني أو الديني، فمن الإنصاف أن نتشكك في أن يكون لتلك العقول المهاجرة تأثير إيجابي في البلاد التي هاجرت منها فيما لو بقيت فيها، إذ سيكون مآلها الانكماش والعطالة؛ كالعقول التي لم تهاجر، وذلك بحسبان أنّ المناخ العامّ في تلك البلاد غير مساعد على الانطلاق في سبيل الريادة والابتكار والعطاء، وهو ما كان أحد أسباب هجرتها إلى بلاد يتوفّر فيها ذلك المناخ[٩٠]. كما أنّ هذه الكفاءات تبحث عن الفضاء الذي تجد فيه أقدارا من

---

[٨٨] خالدي، مصطفى وفروخ، عمر: **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، (المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، شباط سنة ١٩٥٣م)، ص ٨٩

[٨٩] الإسكوا: مرجع سابق ص ٣٠

[٩٠] د. عبد المجيد النجار و د. محمد الغمقي و د. محمد المستيري: **البعد الحضاري لهجرة الكفاءات**، (كتاب الأمة العدد ٨٩، جمادى الأولى ١٤٢٣هـ ـ أيلول (يوليو) – آب (أغسطس) ٢٠٠٢م)، ص ٤٤

الاحترام لعلمها وضمان كرامتها والاعتراف بجميلها. حيث يشعر أصحاب هذه الكفاءات في كثير من الحالات بالغربة داخل الوطن[٩١].

ويشير بعض الناصحين إلى ضرورة الإفادة من ظاهرة هجرة العقول إلى خارج العالم الإسلامي، وبخاصة إزاء العجز عن منعها أو ترشيدها، ويرون بحق أنها من الممكن أن تقوم بدور حضاري في بلاد المهجر، من حيث تصحيح المفاهيم والتصوّرات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين سواء لدى عامة الناس، أو مع المراكز البحثية ودوائر اتخاذ القرار، والدفاع عن قضايا العالم الإسلامي وحقوقه، وترشيد أداء الجاليات المسلمة هناك، فضلاً عن القيام بالفريضة الدينية والبعد الرسالي المنفتح على تلك المجتمعات[٩٢].

وقد استطاعت بعض الدول الإفادة من الكفاءات المهاجرة منها عن طرق شتى، منها دعوتها إلى المؤتمرات العلمية بالداخل، أو ألقاء محاضرات في جامعاتها، أو تنفيذ برامج علمية بين المراكز البحثية في الوطن الأم والجامعات والمراكز التي يعمل بها العلماء المهاجرون، وبناء شبكات بحثية عالية المستوى بين علماء الداخل والمهجر، أو استقدام بعض تلك الخبرات الكبيرة لتولي وظائف قيادية في مشروعات ومؤسسات التنمية بالداخل، وقد قامت بعض الأقطار مثل ماليزيا وتركيا ولبنان والمغرب العربي بمحاولات ناجحة في ذلك المجال[٩٣]

هـ) الحصار العلمي الغربي للعالم الإسلامي:

تواصلَ العداءُ الغربي للعالم الإسلامي على مر العصور، وإن عبَّر عن نفسه في كل عصر بما يناسبه، ولم يستطع الغرب الذي أعلن انتهاء سيطرة الكنيسة على السياسة والحياة العامة أن يتخفف من هواجسه تجاه الإسلام، وعدائه له، وبخاصة أنه وجده أقوى الموانع في طريق سيطرته الاستعمارية على الشرق، واتضح ذلك في تصريحات عديدة لقادة الغرب ومفكريه، منها ما قاله جلادستون –رئيس وزراء بريطانيا السابق (١٨٠٩–١٨٩٨)–: "ما دام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان"[٩٤].

---

[٩١] المرجع السابق، ص ٧٧

[٩٢] المرجع السابق ص ٨١

[٩٣] راجع الإسكوا: مرجع سابق ص ٣١–٣٤

[٩٤] محمد أسد: **الإسلام على مفترق الطرق**، ترجمة د. عمر فروخ، (دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٧م)، ص ٤١

والدلائل واضحة على حرص الغرب على حجب التقنية العالية والعلوم المؤثرة بقوة في التقدم العلمي للمسلمين، وتدمير ما قد يفلت من حبائله وحصاره، ويحقق شيئًا من التقدم العلمي، ومن ذلك تدمير الكيان الصهيوني المفاعل النووي العراقي سنة ١٩٨١ لحرمان العراق من السلاح النووي، وما قامت به أمريكا والغرب من حصار للعراق، ثم شن عدوان عليه حشدت له أكثر من ثلاثين دولة بحجة منعه من إنتاج السلاح الكيميائي والنووي.

وكذلك تلك الجهود الغربية التي بذلت لمنع الباكستان المسلمة من إنتاج قنبلتها النووية، ثم معاقبة باكستان بعد نجاح جهودها وإنتاج قنبلتها، وإجراء تجاربها النووية سنة ١٩٩٨.

يحدث هذا في الوقت الذي يغض فيه الغرب الطرف عن التقدم النووي لإسرائيل، وما أنتجته بالفعل من قنابل نووية لم يتم الإعلان عنها، وأكدتها المنظمات البحثية العالمية.. وما حدث بالفعل من تراخٍ في مواجهة المشروع النووي الهندي حتى أنتجت الهند قنبلتها النووية بالفعل سنة ١٩٩٨م.

ناهيك عن استهداف الكفاءات العلمية العربية والإسلامية بالفتل المنظم والاغتيالات الممنهجة لأسباب سياسية وطائفية؛ كما حدث في حالات علماء العراق وسوريا ومصر وفلسطين وليبيا واليمن.

فلا مرية في أهمية البحث عن وسائل لاختراق ذلك الحصار العلمي، مع المحافظة على علماء المسلمين من الأخطار المحدقة بهم، وقد نجحت بعض الدول الإسلامية في ذلك حين توفرت فيها الإرادة السياسية، فأنتجت باكستان قنبلتها النووية، وحافظت على علمائها العاملين في مجالها، غير أنها لم تواصل السعي لتحقيق نهضة علمية شاملة، وقطعت ماليزيا وتركيا شوطًا في إحراز تقدم تقني واقتصادي.

الخاتمة

تناول هذا البحث في مقدمته مظاهر التخلف العلمي في العالم الإسلامي، وأهمها تفشي نسبة الأمية، وتراجع مستوى القراءة لدى المتعلمين، وتدني ترتيب الجامعات الإسلامية على المستوى العالمي، وكذا أعداد براءات الاختراع، والحاصلين على جوائز نوبل، ومن أبرز تلك المظاهر والأسباب معًا فقر الميزانيات المرصودة للبحث العلمي.

وفي المبحث الأول تناول البحث المعوقات الفكرية التي تعرقل – أو تحول دون – النهوض العلمي، وهي تعود بشكل أساس إلى سوء فهم الموروث الديني العظيم للأمة، ومن ذلك اختلال التوازن بين العناية بالعلوم النظرية والعلوم التجريبية العملية، حيث جرى غالبًا إيثار الأولى لأسباب شتى، ومنها الدعوة إلى إغلاق باب الاجتهاد الفقهي، اكتفاءً بالاجتهادات الحاصلة في أزمانها، أو شفقة من مزالق الاجتهاد في أجواء فكرية مهزومة ومأزومة تعيشها الأمة في حاضرها، ومن ذلك خطأ النظر إلى مفهومي الابتداع والإبداع، وسوء الظن في مساراتهما، حتى وجدنا المماليك يحرمون استعمال البارود والبنادق في حربهم ضد العثمانيين، ووجدنا العثمانيين يتوجسون من استعمال المطابع الحديثة، فيتأخر عملها مدى حين.

وعرض المبحث الثاني للمعوقات السياسية والاجتماعية للنهوض العلمي، وتمثل ذلك في سوء الإدارة السياسية لقضايا التعليم، بقلة الإنفاق، واختلال الأولويات، وزاد الطين بلَّة بإعاقة الساسة مشاركة الأوقاف ومؤسسات المجتمع المدني في تطوير التعليم والبحث العلمي، في حين نجد نظير تلك المشاركة تنهض بأدوارها في المجتمع الغربي. ومن ذلك ما عانته مجتمعاتنا من اضطراب الهوية الإسلامية بعد الانفتاح الكبير على الغرب؛ سواء في البعثات العلمية أو استجلاب أساتذة غربيين إلى بلادنا، أو تأسيس معاهد علمية غربية في ديار المسلمين، وكذا في الاستسلام للمخططات الغربية التي أدت إلى نزيف العقول الإسلامية التي أغوتها مدنية الغرب، وعجز العالم الإسلامي عن الإفادة منها كليًا أو جزئيًا، مع ما يفرضه الغرب من حصار علمي على العالم الإسلامي، لضمان زيادة الهوة معه، وفرض التخلف عليه.

النتائج والتوصيات

خلص البحث إلى عدة نتائج أهمها: إن التخلف العلمي قد ضرب أطنابًا في العالم الإسلامي، وأن معالجة أسبابه أصبحت ضرورة لا غنى عنها.

ومن أبرز هذه المعالجات الواجبة – التي يوصي البحث بالسير فيها– تصحيح النظر إلى موروثنا الإسلامي المتصل بالموضوع، سواء في النظر إلى العلوم الكفائية على أن بعضها أشرف من بعض، أو النظر إلى الإبداع

في مجالات الحياة على أنه بدعة وضلالة، أو الدعوة للاكتفاء باجتهادات فقهية كانت صالحة لزمانها، وغدت جديرة بمواكبة مستجدات الأمور، والبحث في إشكاليات لم تنطرح بين أيدي علمائنا السابقين.

ومن شرائط النهوض تجاوز العقبات السياسية والاجتماعية التي تسد آفاق ذلك النهوض، بحيث يصبح الإصلاح لسياسي واجبًا، لتتزايد فضاءات الحرية السياسية والعلمية، والمشاركة الاجتماعية، فإن أنفاس البحث العلمي الرشيد مرهونة بمناخات الحرية. وليكون العلماء هم قاطرة التنمية والنهوض، فلا يوسد الأمر إلى غير أهله. ونُفتح السبل أمامهم للترقي الاجتماعي والمادي، مع تعميق الهوية الإسلامية لديهم؛ لتزيد مناعتهم أمام مغريات البقاء في الجامعات الأوروبية، أو النزوح إليها.

وكذا تشجيع المشاركة المجتمعية في الاستثمار في البحث العلمي، سواء من خلال الأوقاف الإسلامية التي نهضت بالتعليم في عصور الإسلام الزاهية، أو من خلال مؤسسات المجتمع المدني التي ترى لها دورًا رساليًا في إنهاض الأمة، أو تطمح إلى تقاسم عوائد النهوض العلمي حين حدوثه.

ومن ذلك التصدي للحصار العلمي المفروض على الأمة من خارجها، وخلق مساحات من التشارك العلمي الذي يستهدف إنهاض البشرية وإسعادها.

المصادر والمراجع

آربري، أ. ج.: **المستشرقون البريطانيون**. تعريب محمد الدسوقي النويهي. (لندن: وليم كولينز، ١٩٤٦

أسد، محمد: **الإسلام على مفترق الطرق**، ترجمة د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٧م

أرسلان، شكيب: **تاريخ الدولة العثمانية**، دار ابن كثير، دمشق، ط١، سنة ٢٠١١

إقبال، محمد: **ديوان ضرب الكليم** ، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، سنة ٢٠٠٤

أمين، أحمد: **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)

إينالجيك، خليل: **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ، ترجمة د. محمد م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بني غازي، ليبيا، ط١، سنة ٢٠٠٢م

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ): **صحيح البخاري**، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط ٥، سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م

بدوي، د. عبد الرحمن: **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، سنة ١٩٩٣م

البغدادي، الخطيب: **الفقيه والمتفقه**، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، سنة ١٤٢١هـ

البنا، حسن: **مجموعة رسائل الإمام البنا**، البصائر للبحوث والدراسات، ط٢، سنة ٢٠١٠

البهي، محمد: **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٨، سنة ١٩٧٥م

التونسي، خير الدين: **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، سنة ٢٠٢٢

توينبي، أرنولد: مختصر **دراسة للتاريخ**، ترجمة فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، سنة ٢٠١١

جب: **وجهة الإسلام**، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، طبعة جامعة لندن، سنة ١٩٣٣م

جبران، جبران خليل جبران: **البدائع والطرائف**، دار نشر كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣م

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن بن إبراهيم (ت ١٢٤٠هـ): **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، دار الجيل، بيروت، (د. ت)

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن علي (ت٨٥٢هـ) : **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد، ١٩٩٣م

: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المكتبة السلفية (د. ت)

حسين، محمد محمد: **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٨٤م

: **الإسلام والحضارة الغربية** ، دار الفرقان، القاهرة، (د. ت)

خالدي، مصطفى وفروخ، عمر: **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، شباط سنة ١٩٥٣م

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ): **تاريخ ابن خلدون**، تحقيق خليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٩٨١م

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٠٥هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، مؤسسة الرسالة العالمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ): **معجم شيوخ الذهبي**، تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ): **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٢

ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي (ت ٧٩٥هـ): **جامع العلوم والحكم**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، سنة ٢٠٠١م

رضا، محمد رشيد: **الخلافة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، سنة ٢٠١٢م

زحلان، أنطوان: **هجرة الكفاءات العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٤

الزحيلي، محمد مصطفى: **الوجيز في أصول الفقه الإسلامي** ، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، ط2، سنة 1427هـ /2006 م

ابن زنبل الرمال، أحمد بن علي بن أحمد (ت بعد ٩٨٠هـ): **آخرة المماليك**، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٨م

أبو زيد، بكر بن عبد الله: **المدارس العالمية، الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها**، دار ابن حزم ، دار ألفا للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

زين العابدين، بشير: **الجيش والسياسة في سوريا ١٩١٨–٢٠٠٠**، دراسة نقدية ، دار الجابية، ط١، سنة ٢٠٠٨م

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٩٢،

: **"المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المنتشرة على الألسنة"**، تحقيق د. محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٥م

سعيد، إدوارد: **الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، سنة ٢٠٠٦م،

سليمان، محمود محمد: **الأجانب في مصر ١٩٢٢–١٩٥٢**، دراسة في تاريخ مصر الاجتماعي، عيد للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط١، سنة ١٩٩٦م

شاتليه (أ. ل.): **الغارة على العالم الإسلامي**، ترجمة مساعد إليافي ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، جدة، ط٢، سنة ١٣٨٧هـ

شاكر، محمود محمد: **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ضمن مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٧م)،

الطبري ،محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.

عبد العزيز د. زينب: **مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيس**، (د. ن)، سنة ١٩٩٨

عبد الوهاب المسيري: **من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟ أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية**، دار الشروق، القاهرة، ط٦، سنة ٢٠٠٩.

عبده، محمد: **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده**، تحقيق د. محمد عمارة، دار الشروق، ط١، سنة ١٩٩٣م

عوض، أحمد حافظ: **فتح مصر الحديث، أو نابوليون بونابارت في مصر**، مطبعة مصر، سنة ١٩٢٥)

الغزالي، محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ): **مقاصد الفلاسفة** ، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف القاهرة، ١٩٦١

المنقذ من الضلال، تحقيق د. عبد الحليم محمود، نشر دار الكنب الحديثة، القاهرة،

فاتحة العلوم، المطبعة الحسينية، القاهرة، ط١، سنة ١٣٢٢هـ

القاسمي، محمد جمال الدين: **محاسن التأويل**، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٨هـ،

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ): **المغني**، مكتبة القاهرة، القاهرة، (د.ت)

القرافي، أحمد بن إدريس الصنهاجي (٦٨٤هـ): **الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)**، عالم الكتب، (د.ت)

كاريه، جون ماري: **مختارات من كتاب رحالة وأدباء فرنسيون في مصر**، ترجمة د. سونيا مجا ود. رشا صالح، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط١، سنة ٢٠٠٦م

كرم، أنطونيوس: **العرب أمام تحديات التكنولوجيا** (عالم المعرفة– ٥٩، الكويت، سنة ١٩٨٢م).

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا): **تقرير السكان والتنمية العدد الثالث الهجرة الدولية والتنمية في المنطقة العربية: التحديات والفرص**، (الأمم المتحدة، نيويورك)، سنة ٢٠٠٧

لويس، برنارد: **ظهور تركيا الحديثة**، ترجمة قاسم عبده قاسم وسامية محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، سنة ٢٠١٦م

محفوظ، علي: **الإبداع في مضار الابتداع** ، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، سنة ٢٠٠٠م

مرسي، أحمد منير: **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، عالم الكتب سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م

مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب التابع لمنظمة التعاون الإسلامي (sesric): **التعليم والتنمية العلمية في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي ٢٠١٦ م**

المودودي، أبو الأعلى: **نحن والحضارة الغربية**، دار الفكر، دمشق، (د. ت)

بن نبي، مالك: **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسعاوي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سنة ١٩٨٦م

النجار، زغلول: **مشكلة التخلف العلمي في العالم الإسلامي**، مقال منشور على موقع مداد، على الرابط https://cutt.us/45IlF

النجار، عبد المجيد، والغمقي، محمد ، والمستيري، محمد: **البعد الحضاري لهجرة الكفاءات**، كتاب الأمة العدد ٨٩، جمادى الأولى ١٤٢٣هـ ـ أيلول (يوليو) – آب (أغسطس) ٢٠٠٢م

نزهت، سليم: **تاريخ الطباعة في تركيا ١٧٢٩–١٩٢٩م**، ترجمة وتعليق سهيل صابان، نشر مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ، ١٤١٣هـ

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): **حلية الأولياء**، مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٩٧٤م

نور الدين، زين: **نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية**، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، سنة ١٩٨٦م

النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت: **الموسوعة الفقهية**، دار السلاسل، الكويت، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م

رُوشه، خالد: **أزمة الهوية الإسلامية**، مقال بموقع المسلم، ١٨ ذو الحجة ١٤٢٩هـ، ورابطه: https://almoslim.net/node/103661

عبد الله، طارق: **هارفارد وأخواتها، دلالات الوقف التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية**، مقال بمجلة أوقاف، العدد ٢٠. السنة ١١

غانم، إبراهيم البيومي: **تحولات العلاقة بين الأوقاف والتعليم العالي في مصر الحديثة**، (مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد ٢٠، السنة ١١، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ/مايو ٢٠١١م)

بن مولود، وثيق، وجيدان، عمار : **وقفات مع رسالة الاجتهاد للأستاذ النورسي**، النور للدراسات الحضارية والفكرية،2013 ، على الرابط:

; .NUR Academic Studies on Thought and Civilization)7(7

الوزاني، حسن: **تحريم الطباعة**، مقال بجريدة العرب، بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١٦م

Leah Caldwell,**The Arab Reader and the Myth of Six Minutes**, an article on: http://www.pcp.ps/article/156/The-Arab-Reader-and-the-Myth-of-Six-Minutes.

"**أكثر من ٩٦ مليون أمي بالوطن العربي**"، تقرير موقع الجزيرة الإخباري وعنوانه على الرابط: https://cutt.us/G5Clw

"**الإنفاق على البحث والتطوير % من إجمالي الناتج المحلي**"، تقرير منشور على موقع البنك الدولي. على الرابط الآتي،

https://data.albankaldawli.org/indicator/GB.XPD.RSDV.GD.ZS

الطباعة في العهد العثماني.. بين الافتراءات والحقيقة، موقع ترك برس، على الرابط:
https://www.turkpress.co/node/43195

"**العربي لا يقرأ سوى ربع صفحة سنويًا**" دراسة على موقع الجزيرة الإخباري عنوانها على الرابط:
https://cutt.us/AZ3YO

"**نصف سكان العالم الإسلامي أميون**" تقرير موقع الجزيرة الإخباري: على الرابط الآتي
https://cutt.us/tw4ar

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 28.09.2023 | Accepted: 11.12.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10350097 0000-0003-3750-1194

علاقة المقاصد بالخلق والتكوين نحو تفعيل النظر المقاصدي في الخلق الإلهي

The Relation Of The Science Of Maqasid With Creation And Composition: Towards Activating The Purposive Point Of View in Divine Creation

وصفي عاشور أبو زيد *

Vasfi Âşûr Ebû Zeyd

ملخص

إن الحديث عن مقاصد الخلق: خلق الكون، وخلق المخلوقات عامة، وخلق الإنسان خاصة، أمر بالغ الأهمية والأثر؛ فالقرآن الكريم – والسنة معه – فيه مئات النصوص التي تتحدث عن مقاصد خلق الكون، بسماواته وأرضه، وليله ونهاره، وشمسه وقمره، ورياحه وأمطاره، وفيه مئات النصوص التي تتحدث عن مقاصد خلق النبات والشجر والدواب والخيل والبغال والحمير والأنعام.

فالقرآن الكريم فيه آيات تمثل موسوعة مقاصدية في الخلق والتكوين، وخلق النبات والحيوان والإنسان، وذلك بذكر مقاصد تفصيلية لكل خلق من خلقه، ومقاصد مجملة للخلق عامة بكل ما في الدنيا وما في السموات وما في الأرض، وهذا يدل على كمال الله تعالى، وطلاقة قدرته، وجمال خلقه، وعظمة نعمه على الخلق أجمعين.

وهذا يجعلنا نتحدث عن الفوائد المرجوّة من العلم بمقاصد الخلق: خلق الكون، وخلق الإنسان، وخلق الحيوان، وخلق النبات، وهذه الفوائد لها آثار عظيمة على النفس، فمعرفة مقاصد الخلق تعزز الإيمان بالله تعالى، وتزيد الإيمان بآثار أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهي امتثال لأمر الله تعالى، وأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – بالتفكر في خلق الله تعالى، وتجويد تدين المسلمين، ودعوة غير المسلمين، وغير ذلك من فوائد تجعل للنظر إلى الكون والخلق ذا أهمية وفاعلية.

* Prof. Dr. Ibn Haldun University. Department of Basic Islamic Sciences. ORCID: 0000-0003-3750-1194 E-Mail: vasfi.abuzid@ihu.edu.tr

الكلمات المفتاحية: مقاصد الخلق، مقاصد الكون، أهمية المقاصد، زيادة الإيمان، الدعوة الإسلامية، النظر المقاصدي.

Abstract: Talking about the purposes of creation: the creation of the universe, the creation of creatures in general, and the creation of man in particular, is of great importance and impact. The Holy Qur'an - and the Sunnah with it - contains hundreds of texts that talk about the purposes of creating the universe with its heavens and earth, its night and its day, its sun and its moon, its winds and its rains, and it contains hundreds of texts that talk about the purposes of creating plants, trees, animals, horses, mules, donkeys and cattle.

The Holy Qur'an includes verses that represent an encyclopedia of purposes in creation, formation, and the creation of plants, animals, and humans, by mentioning detailed purposes for each of his creatures, and overall purposes for creation in general with everything in the world and what is in the heavens and what is on the earth, and this indicates the perfection of God Almighty, the omnipotence of His power, and the beauty His creation, and the greatness of His grace upon all creation.

This makes us talk about the desired benefits from knowledge of the purposes of creation: the creation of the universe, the creation of man, the creation of animals, and the creation of plants, and these benefits have great effects. He commanded His Messenger, may God's prayers and peace be upon him, to reflect on the creation of God Almighty, to improve the religiosity of Muslims, to invite non-Muslims, and other benefits that make looking at the universe and creation important and effective.

Keywords: the purposes of creation, the purposes of the universe, the importance of purposes, increasing faith, the Islamic call.

ملخص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فإن من أوائل ما خلق الله تعالى من خلقه كان هذا الكون البديع، الذي خلقه على غير مثال، فخلقه وسواه وأحكمه وأحسنه، ونظمه ورتبه، وأتقنه وقسّمه، بحيث أصبح نظاما محكما، لا يختلط مخلوق بآخر، ولا تتداخل وظيفة مخلوق مع وظيفة مخلوق آخر، وكلٌّ في فلك يسبحون.

وقد استعرض القرآن الكريم قصة الخلق، وطبيعة هذا الخلق، ومدة خلق السموات والأرض، كما ذكر القرآنُ الكريم مقاصد هذا الخلق على الأرض، ومخلوقات هذا الكون في السماء والأرض وما بينهما، في آيات عدة قد تتجاوز خُمس القرآن الكريم.

ففي خلق الكون على غير مثال سابق قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة ١١٧]. وقال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ

صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام ١٠١]. فقوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بارئهما وخالقهما على وجه متقن على غير مثال سبق.

وعن قصة بدء الخلق قال سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء ٣٠].

وفي خلق السموات والأرض قال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت ١١].

وفي مدة الخلق قال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [فصلت ١٢].

وفي قصة خلق آدم من بدء خليقته إلى البعث والنشور قال عز شأنه: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون ١٢-١٦].

من أجل هذا أردنا أن نتعرض لبحث هذه القضية، مع بيان مقاصد هذا الخلق، وفوائد معرفة هذه المقاصد، على الصعيدين الإيماني والدعوي معا.

أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث من أن تناوله سيكون معزَّزًا بالنصوص الشرعية، وهي منطلَقه الأساس، كما أن الدراسات عن مقاصد الخلق والتكوين تعتبر نادرة، رغم الحديث الكثيف في القرآن الكريم عنها، ومن ناحية أخرى فإن الوقوف على مقاصد خلق الكائنات، ومقاصد خلق الإنسان، فيه فوائد عظيمة، تفيد الإنسان في هذه الحياة، وتؤثر إيجابيا في قيامه بوظائفه، وهو ما ينعكس في النهاية على ترقية الحياة ونهضتها، والفلاح في الآخرة والفوز بدرجاتها العلى.

الدراسات السابقة

لا أعم في القديم والحديث – حسب اطلاعي – من تناول مقاصد الخلق والتكوين إلا أبا حامد الغزالي في رسالته: "**الحكمة في مخلوقات الله عز وجل**"، وقد تتبع فيها ما ورد في القرآن الكريم من آيات قرآنية تشير إلى الوظيفة التي خُلق لأجلها كلُّ مخلوق، ولكنه لم يُعَرّفها ولم يذكر فوائدها، وستأتي الإشارة لها.

وهناك بحث آخر بعنوان: **"مقاصد الخلق الخمسة وجوهر التربية الأصيل: دراسة في ضوء القرآن الكريم"** للدكتور محمد أبو بكر المصلح، نشر في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر([1])، رأى فيه أن مقاصد الخلق خمسة: العبادة، والاستخلاف في الأرض، وعمارتها، والابتلاء، والاختلاف بين الناس، مبينا أثر كل مقصد في التربية، وعلاقات هذه المقاصد بعضها ببعض.

وحديثنا في هذا البحث لا يقتصر فقط على سرد الآيات القرآنية التي تبين مقاصد خلق الله تعالى في الكون والنبات والحيوان والإنسان، وإنما تبين أيضا فوائد العلم بهذه المقاصد، وكيفية استثمار العلم بها لحركة حضارية في هذه الحياة للإنسان، يكون سلوكُه بها راشدًا، وعطاؤه بها فاعلاً.

١. مقاصد التكوين (خلق الكون):

أما ما يتعلق بمقاصد هذا الخلق والتكوين فقد أفاض فيه القرآن الكريم بما يوسع آفاق الدرس المقاصدي، ويضيف إلى مقاصد التشريع مقاصدَ التكوين، وهذا مبحث من المهم أن يضاف للدرس المقاصدي وعلم المقاصد.

١,١. تعريف مقاصد الخلق الكوني:

وقبل أن نتعرض لبيان مقاصد الخلق الكوني، نعرفها بأنها: **الغايات التي خلق الله لأجلها المخلوقات سوى الإنسان لمعرفة تسخيرها وتحقيق مصلحة الإنسان بها في الدنيا والآخرة.**

ونحن هنا نقسم مقاصد الخلق نوعين:

النوع الأول: مقاصد خلق الكون (التكوين) نسبة للكون؛ سماءً وأرضًا ومخلوقاتٍ سوى الإنسان.

والنوع الثاني: مقاصد خلق الإنسان.

٢.مقاصد خلق الكون:

حفل القرآن الكريم بآيات تمثل مدونة ذكر فيها ما خلقه اله تعالى، مع بيان غايات هذا الخلق على النحو الآتي:

٢. ١. يقول الله تعالى عن خلق السموات والأرض مبينًا المقصد من خلقهم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق ١٢]. وهذه الآية الكريمة جامعة للحديث عن بيان مقاصد لخلق الكون

([1]) QU Current Journals Journal of College of Sharia & Islamic Studies ١٤٤٢هـ-2021 - Volume 38 - Issue 2 – Pages: ٢٠٤ – ١٧٧.

والإنسان، فالغرض من خلق السموات والأرض هو أن يعلم الناس طلاقة القدرة الإلهية وأنه أحاط بكل شيء علما، ومتى عرف الإنسان ذلك قام بحق العبودية، وائتمر بأوامر الله، وانتهى عن نواهيه، وعبده حق عبادته.

٢. ٢.وفي خلق الموت والحياة يبين الله عز شأنه المقصد من خلقهما قائلا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك ٢]، فهو الابتلاء والاختبار، وهذه طبيعة الحياة الدنيا، وكذلك الموت، وهذا يجعل الإنسان على بصيرة من أمر الحياة والموت، فيضع كل شيء في مكانه الصحيح، ومن ثم يحصل الاعتدال العقلي والنفسي.

٢. ٣.وفي خلق الشمس والقمر يقول عز شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [يونس ٥-٦]. ففي هذه الآيات الكريمة بين الله تعالى الغرض من خلق الشمس، وهو جعلها ضياءً، والقمر نورًا، وبيّن الغرض من تقدير منازلَ للقمر، وهو أن يعلم الناسُ عدد السنين والحساب، ثم بينت الآياتُ طلاقةَ القدرة الإلهية، وما تقتضيه من العباد.

يقول الإمام الرازي: "اعلم أنه تعالى استدل على التوحيد والإلهيات، أولا: بتخليق السموات والأرض، وثانيا: بأحوال الشمس والقمر، وثالثا : في هذه الآية بالمنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار... ورابعا : بكل ما خلق الله في السموات والأرض، وهي أقسام الحوادث الحادثة في هذا العالم، وهي محصورة في أربعة أقسام، أحدها: الأحوال الحادثة في العناصر الأربعة، ويدخل فيها أحوال الرعد والبرق والسحاب والأمطار والثلوج، ويدخل فيها أيضا أحوال البحار، وأحوال المد والجزر، وأحوال الصواعق والزلازل والخسف. وثانيها: أحوال المعادن وهي عجيبة كثيرة. وثالثها: اختلاف أحوال النبات. ورابعها: اختلاف أحوال الحيوانات، وجملة هذه الأقسام الأربعة داخلة في قوله تعالى: ﴿وَما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾، والاستقصاء في شرح هذه الأحوال مما لا يمكن في ألف مجلد، بل كل ما ذكره العقلاء في أحوال أقسام هذا العالم فهو جزء مختصر من هذا الباب" ا.هـ.([٢]).

ثم يقول: "كل ما في العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور فهو مِلكه ومُلكه، ومتى كان الأمر كذلك كان قادرًا على كل الممكنات، عالما بكل المعلومات غنيًّا عن جميع الحاجات، مُنزَّهًا عن النقائص والآفات، فهو تعالى لكونه قادرًا على جميع الممكنات يكون قادرًا على إنزال العذاب على الأعداء في الدنيا وفي الآخرة، ويكون قادرًا على إيصال الرحمة إلى الأولياء في الدنيا وفي الآخرة، ويكون قادرًا على تأييد رسوله

([٢]) الرازي، مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون بيانات: ١٧/ ٢١٠.

– عليه السلام – بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة، ويكون قادرًا على إعلاء شأن رسوله وإظهار دينه وتقوية شرعه، ولما كان قادرًا على كل ذلك فقد بطل الاستهزاء والتعجب، ولما كان منزهًا عن النقائص والآفات كان منزهًا عن الخُلف والكذب، وكل ما وعد به فلا بد وأن يقع"([٣]).

٢. ٤. وفي بيان المقصد من خلق الرياح يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۤ حَتَّىٰۤ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف ٥٧]. ذكر القرآن الكريم أن الرياح "بشرًا" و"مبشرات" في سور: الفرقان والنمل والروم.

وقال تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر ٢٢]، فهنا ذكر القرآن الكريم أن الغرض من الرياح هو اللقاح.

ففي هذه الآيات الكريمة الخاصة بالرياح يتضح لنا أن الله تعالى خلق الرياح **لمقصدين**: الأول: هو أن تكون بشرى للناس، وهذه البشرى مرتبطة بالمقصد الثاني وهو أن الرياح تلقح السحاب، فينشأ عن ذلك الماء، فيرسله الله تعالى لبلدة ميتًا فيحييه بعد موته، فيشرب الناسُ وتشرب العجماواتُ، ويبقى ما يُخزنه الله تعالى لهم رحمة منه ولطفًا بالعباد الذين لا قدرة لهم على ادخاره وتخزينه؛ فهو فضلُ محضٍ ورحمة محضة من الله تعالى بالعباد.

٢. ٥. وفي المقصد من خلق الجبال يقول تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتًاۖ﴾ [الأعراف ٧٤]، وذكر أنها بيوت في سور الحجر والنحل والشعراء.

وقال عز شأنه: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء ٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادًا﴾ [النبأ ٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل ١٥].

فمن هذه الآيات الكريمة تتبين المقاصد من خلق الجبال، وهي: جعلها بيوتًا، وأنها خلقت للتسبيح، وبرئت للسجود لله، كما تضيف الآياتُ هنا مقصدًا آخر لخلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وكثير من الناس، وهو السجود لله تعالى بطريقة لا يعلمها إلا هو.

([٣]) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٧/ ٢٦٦.

٢. ٦.وفي المقصد خلق الليل والنهار، يقول سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور ٤٤]، وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء ١٢]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ [الفرقان ٦٢]، وقال: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [القصص ٧٣]، وقال: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام ٩٦]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ [يونس ٦٧]، وقال: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [القصص ٧٣].

ففي هذه الآيات الكريمة يقرر القرآن الكريم أن تقليب الله الليل والنهار – ابتداءً – آيةٌ تستحق التأمل والتدبر مِن أولي الأبصار، وأن من مقاصد خلق الليل والنهار: أن يكونا خِلفةً للتذكُّر والعبرة، وأن الليل للسكن والراحة والهدوء والتقاط الأنفاس والاستجمام، وأن النهار لكسب المعاش والإبصار والابتغاء من فضل الله تعالى، وتحقيق الشكر له على نعمة الليل والنهار.

٢. ٧.وذكر المقصد من خلق الخيل والبغال والحمير، فقال سبحانه: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل ٨]، فبين أنها للركوب وللزينة.

٢. ٨.وذكر المقصد من خلق الأنعام، فقال سبحانه: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ [النحل ٥-٧]، فذكر أنها للدفء والمنافع والأكل والجمال وحمل الأثقال، وهذا كله يُجسّد رحمة الله تعالى بخلقه، مما يزيدهم حبًّا له وإقبالاً على عباته؛ حمدًا له وشكرًا، وهذا من باب مقاصد المقاصد.

أما مطلع سورة النبأ فقد جاء حاويًا لكثير من مقاصد الخلق الكوني؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦﴾ [النبأ ٦-١٦].

***

وهكذا يذكر القرآنُ الكريم بشكل صريح الحكمةَ من هذه المخلوقات الكونية، وهذه أمثلة – مجرد أمثلة – على مقاصدية هذا الخلق الكوني، وإلا فهناك آيات تصرح بالمقصد من خلق الماء والهواء والنار والطير والبهائم والنحل والنمل والعنكبوت والسمك والبحار والذباب وغير ذلك، مما يدعو إلى التفكر والتدبر، المفضي إلى تعظيم الله في النفوس، وشكره على النعم، والقيام بحق العبودية له وحده دون سواه.

٩,٢.رسالة أبي حامد الغزالي:

وقد ألف الإمام أبو حامد الغزالي رسالة ضمن مجموع رسائله بعنوان: "الحكمة في مخلوقات الله عز وجل"، عدّد فيها من مخلوقات الله في الكون والحياة ما استطاع، وقال في مقدمة هذه الرسالة: "يا أخي وفقك الله توفيق العارفين، وجمع لك خير الدنيا والدين، إنه لما كان الطريق إلى معرفة الله سبحانه والتعظيم له في مخلوقاته والتفكر في عجائب مصنوعاته، وفهم الحكمة في أنواع مبتدعاته، **وكان ذلك هو السبب لرسوخ اليقين، وفيه تفاوت درجات المتقين**(٤)، وضعتُ هذا الكتاب منبهًا لعقول أرباب الألباب بتعريف وجوه من الحكم والنعم التي يشير إليها معظم آي الكتاب، فإن الله تعالى خلق العقول، وكمل هداها بالوحي، وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته، والتفكر والاعتبار مما أودعه من العجائب في مصنوعاته، لقوله سبحانه: ﴿قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ والْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]. وقوله: ﴿وجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. إلى غير ذلك من الآيات البينات والدلالات الواضحات التي يفهمها متدبرها، والمترقي في اختلاف معانيها يُعظّم المعرفة بالله سبحانه التي هي سبب السعادة، والفوز بما وعد به عباده من الحسنى وزيادة، وقد بوبته أبوابًا يشتمل كلُّ باب على ذكر وجه الحكمة من النوع المذكور فيه من الخلق، وذلك حسب ما تنبهتْ له عقولُنا فيما أشرنا إليه، مع أنه لو اجتمع جميع الخلائق على أن يذكروا جميع ما خلق الله سبحانه وتعالى، وما وضع من الحكم في مخلوق واحد من مخلوقاته لعجزوا عن ذلك وما أدركته الخلائق، من ذلك ما وهب الله سبحانه لكل منهم، وما سبق له من ربه سبحانه، والله المسئول أن ينفعنا به برحمته وجوده"(٥).

---

(٤) هذا أيضا من باب مقاصد المقاصد؛ حيث ذكر أن التأمل والتدبر يقود إلى الوقوف على إدراك الحكمة من مخلوقات الله، وإدراك الحكمة ينتهي بالإنسان إلى رسوخ اليقين، ورسوخ اليقين يؤدي إلى تفاوت درجات المتقين، فانظر إلى التسلسل المقاصدي في كلام الإمام الغزالي!

(٥) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ضمن مجموعة رسائل الإمام أبي حامد الغزالي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ: ٧-٨.

وذكر في هذه الرسالة الحكمة من عدد كبير من المخلوقات مثل: الشمس، والقمر، والكواكب، والأرض، والبحر، والماء، والهواء، والنار، والإنسان، والطير، والبهائم، والنحل، والنمل، والعنكبوت، ودود القز، والذباب، والنبات، والسمك، وغير ذلك في طول الرسالة وعرضها، ويستدل من آيات القرآن الكريم ونصوص السنة ما يذكر به المقاصد من خلق هذه المخلوقات جميعا.

ثم يقول في نهاية هذه الرسالة: "اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع ما تقدم ذكره في هذا الكتاب من بدائع الخلق وعجائب الصنع، وما ظهر في مخلوقاته من الحكم آيات بينات، وبراهين واضحة، ودلائل دالات على جلال بارئها وقدرته، ونفوذ مشيئته وظهور عظمته، فإنك إذا نظرت إلى ما هو أدنى إليك وهي نفسك رأيت فيها من العجائب والآيات ما سبق التنبيه عليه وأعظم منه، ثم إنك إذا نظرت إلى مستقرك وهي الأرض وأجَلْتَ فكرك فيها، وأطلت النظر في استرسال ذهنك فيما جعل فيها وعليها من جبال شامخات، وما أحيط بها من بحار زاخرات، وما جرى فيها من الأنهار، وما انبثّ فيها من أصناف النباتات والأشجار، وما بث فيها من الدواب إلى غير ذلك مما يَعتبر به أولو الألباب، ثم إذا نظرت إلى سعتها وبُعد أكنافها، وعلمتَ عجز الخلائق عن الإحاطة بجميع جهاتها وأطرافها، ثم إذا نظرت فيما ذكرته العلماء من نسبة هذا الحق العظيم إلى السماء، وأن الأرض وما فيها بالنسبة إلى السماء كحلقة ملقاة في أرض فلاة...".

ويستمر بك هكذا في رحلة ماتعة مع الكون ثم يقول: "فارفع نظرك إلى البارئ العظيم، واستدل بهذا الخلق العظيم على قدر هذا الخالق العظيم، وعلى جلاله وقدرته وعلمه، ونفوذ مشيئته وإتقان حكمته في بريّته، وانظر كيف جميع هذا الصنع العظيم ممسوكًا بغير عَمَد تُقلّه، ولا علائق من فوقه ترفعه وتثبّته، فمن نظر في ملكوت السماوات والأرض ونظر في ذلك بعقله ولُبّه، استفاد بذلك المعرفة بربه والتعظيم لأمره، وليس للمتفكرين إلى غير ذلك سبيل، وكلما ردد العقل الموفق النظر والتفكر في عجائب الصنع وبدائع الخلق ازداد معرفة ويقينًا وإذعانًا لبارئه وتعظيمًا، ثم الخلق في ذلك متفاوتون، فكل مثال من ذلك على حسب ما وهبه له من نور العقل ونور الهداية، وأعظم شيء مُوصّل إلى هذه الفوائد المشار إليها تلاوة الكتاب العزيز، وتفهم ما ورد فيه وتدبر آياته مع ملازمة تقوى الله سبحانه"(٦).

٣. مقاصد خلق الإنسان:

أما مقاصد خلق الإنسان فمذكورة ومذخورة كذلك في القرآن العظيم، وقد تحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان، ومراحل هذا الخلق، وتطوره من مرحلة إلى أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ

(٦) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ٤٥-٤٦.

فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الحج: ٥].

وهذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات في مواضع كثيرة من القرآن العظيم تقطع الطريق على مقولات مخالفة ونظريات أخرى تشوه هذا الخلق العظيم، وتخالف رواية القرآن الكريم الثابتة بيقين، وتقف مُشاقّة لخلق الله تعالى، فتزعم أن أصل الإنسان قرد ثم تطور، وبنوا على ذلك أمورا أخرى أدت بقطاع واسع من البشرية إلى الإلحاد.

٣. ١. تعريف مقاصد خلق الإنسان:

وقبل الحديث عن مقاصد خلق الإنسان نُعرِّف أولا بها، فهي: **الغايات التي خلق الله لأجلها الإنسان كي يَعرف مهمتَه في هذه الحياة فيهتدي ويَرشُد ويفوز في الدنيا والآخرة.**

والإنسان من أشرف مخلوقات الله تعالى، بل أشرفها على الإطلاق؛ حيث خلقه بيده، وسواه بنفسه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وشرفه وكلفه وكرمه، وسخر له ما في السموات ما في الأرض، ونترك المجال هنا للإمام الراغب الأصفهاني الذي تحدث عن ذلك في كتابه المفيد: "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، فتحت عنوان: "ما لأجله أُوجد الإنسان"، قال الراغب:

"الإنسان من حيث هو إنسان كل واحد كالآخر كما قيل: فالأرض من تربة والناس من رجل، وإنما شرفه بأنه يوجد كاملًا في المعنى الذي أوجد لأجله، وبيان ذلك أن كل نوع أوجده الله تعالى في هذا العالم، أو هدى بعض الخلق إلى إيجاده وصنعه فإنه أوجد لفعل يختص به، ولولاه لما وجد، وله غرض لأجله خُصَّ بما خصَّ به، فالبعير إنما خصَّ بذلك ليحملنا وأثقالنا إلى بلد لم نكن بالغيه إلا بشق الأنفس، والفرس ليكون لنا جناحًا نطير به، والمنشار والمِنْحَت لنصلح بهما الباب والسرير ونحوهما، والباب لنحرز به البيت، والفعل المختص بالإنسان ثلاثة أشياء:

١ – عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى: (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)، وذلك تحصيل ما به تُزجية المعاش لنفسه ولغيره.

٢ – وعبادته المذكورة في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)، وذلك هو الامتثال للباري – عز وجل – في أوامره ونواهيه.

٣ – وخلافته المذكورة في قوله تعالى: (وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)، وغيرها من الآيات، وذلك هو الاقتداء بالباري – سبحانه – على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة(٧).

وفي سياق آخر يتحدث عن الإيمان ويركز منه على جانب الأعمال الذي هو مقاصد خلق الإنسان فيقول: "الإيمان شيئان: اعتقاد وأعمال؛ **فالاعتقاد على ثلاث منازل:**

يقيني: لا يعتريه شك ولا شبهة بوجه، كما قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا). [الحجرات ١٥].

وظني: وذلك ما كان عن أمارة قوية، وأعني بالظن هاهنا ما يفسره أهل اللغة باليقين، نحو قوله تعالى: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ). [البقرة ٤٦].

وتقليدي: وذلك ما يعتقد عن رأي أهل البصائر، كما وصفه تعالى بقوله: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ). [النساء ٨٣].

والأعمال ثلاثة:

عمارة الأرض: المعنية بقوله تعالى: (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا). [هود ٦١].

وعبادة الله تعالى: المعنية بقوله: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ). [الذاريات ٥٦].

وخلافته: المعنية بقوله تعالى: (وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ) [الأعراف ١٢٩]، وقوله: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة ٣٠]، وذلك بتحري مكارم الشريعة.

فهذه ستة، وكل واحد من هذه: إما أن يتحراه الإنسان عن رهبة، أو رغبة، كما قال تعالى: (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) [الأنبياء ٩٠]، أو يتحراه عن إخلاص تطوع واهتزاز نفس، كما قال تعالى: (وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) [النساء ١٤٦]؛ **فهذه اثنتا عشرة منزلة.**

وكل واحدة من هذه المنازل: إما أن يكون الإنسان في مبتدئها أو وسطها أو منتهاها؛ لأن كل فضيلة ورذيلة لا ينفك الإنسان فيها من هذه الأحوال الثلاث؛ ولهذا قال تعالى في الفضيلة: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) [المائدة ٩٣]، وقال في الرذيلة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) [النساء ١٣٧]؛ فجعل منازل الإيمان ومنازل التقوى ثلاثة كما ترى، **فهذه اثنتا عشرة في ثلاثة تكون ستًّا وثلاثين.**

---

(٧) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أستاذنا د. أبي اليزيد أبو زيد العجمي. دار السلام. القاهرة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م: ٨٢–٨٣.

وكل واحدة من هذه الست والثلاثين: إما أن يتوصل إليها الإنسان من طريق الاجتباء، أو من طريق الهداية. والاجتباء للأنبياء ومن يليهم من الأولياء وهو: إيثار الله تعالى بعض عباده بفيض إلهي وتأتيهم الحكمة بلا سعي منهم، وعلى هذا قوله: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) [يوسف ٦]، وقوله: (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) [آل عمران ١٧٩].

والاهتداء: للحكماء والعلماء، وهو توفيق الله تعالى العبد ليطلب بسعيه وجهده الحكمة فيتحصل له منها بقدر ما يتحمل من المشقة، وإياهما عني بقوله تعالى: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)، وقوله تعالى: (وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا) [الشورى ١٣].

فهذه اثنتان وسبعون درجة لا يمكن الزيادة عليها ولا النقصان عنها، ذلك ما ورد من الأخبار فليس بخارج عنها، والله الموفق"(٨).

أما أبو حامد الغزالي فقد أفاض واستفاض في تتبع خلق الإنسان، وما فيه من أجهزة وأوردة وأعضاء وتفصيلات، يعجز العقل عن تصورها، والقلم عن الإحاطة بعجائبها، ويمكن الاطلاع على ذلك في رسالته(٩).

وبهذا تتضح مقاصد خلق الإنسان، ويزداد إيمان المؤمن بأن القرآن الكريم هو دستور هذا الإنسان الذي يعرف من خلاله قيمته في الحياة، وغاية وجوده في هذه الدنيا، وإلى أين مصيره، وهي الأسئلة التي حيرت الفلاسفة والمفكرين قديما وحديثا؛ بيد أنها واضحة كل الوضوح في كتاب الله تعالى.

٤ .فوائد العلم بمقاصد الخلق والتكوين:

اتساقا مع ما نتحدث فيه من روح مقاصدية تسري في خلق الكون والمخلوقات عامة والإنسان خاصة؛ فإن هذا الحديث ليس هملا بغير غاية، وإنه من المفيد والمنطقي أن نبين ما للحديث عن مقاصد الخلق والتكوين من فوائد، ومن خلال تناولنا لمقاصد ما سبق يمكننا رصد فوائده في الآتي:

٤ . ١ . امتثال أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بالتفكر في الكون:

أمر الله تعالى بالتفكر في **الخلق وفي الكون وفي النفس في آيات كثيرة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى في التفكر في خلق السموات والأرض والليل والنهار والبحر والأمطار والرياح والسحاب،**

(٨) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة: ١٦٣-١٦٤. وتخريج الآيات من عمل الباحث.

(٩) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ١٨-٢٨.

وكل هذا من خلقه تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران ١٩٠]. وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس ١٠١]. فالله تعالى هنا يدعو عباده للنظر والاعتبار بما يقودهم إلى أن الله تعالى هو المستحق للعبادة والحمد.

وقوله تعالى في التفكر في خلق الإنسان: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الروم ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات ٢١]، قال الإمام القرطبي: "قال ابن زيد: المعنى أنه خلقكم من تراب، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة (ثم إذا أنتم بشر) (تنتشرون). السدي: (وفي أنفسكم) أي في حياتكم وموتكم، وفيما يدخل ويخرج من طعامكم. الحسن: وفي الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والشيب بعد السواد. وقيل: المعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصور، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصت به من أنواع المعاني والفنون، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح"(١٠).

وقوله تعالى في خلق النبات: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر ٢١]، قال العلامة الآلوسي: "لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك حال الحياة الدنيا وسرعة تقضيها، فلا يغترون ببهجتها، ولا يفتنون بفتنتها، أو يجزمون بأن من قدر على إنزال الماء من السماء والتصرف به على أتم وجه قادر على إجراء الأنهار من تحت تلك الغرف، وكأن الأول أولى ليكون ما تقدم ترغيبا في الآخرة، وهذا تنفيرا عن الدنيا، وقيل المعنى إن في ذلك لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد لذلك من صانع حكيم، وأنه كائن على تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال"(١١).

(١٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م: ١٧/ ٤٠.

(١١) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ: ١٢/ ٢٤٦.

أما في السنة النبوية فحسبنا ما أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير بسنده عن عبد الله بن عباس أن النبي قال: "تفكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، ولا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ"(١٢). وهو حديث آمِرٌ بالتفكر في خلق الله، وموجه للعقل إلى المساحة التي يجب أن يستثمر فيها طاقته، وصرفه عن المساحة التي لا مدخل له فيها.

فهذه النصوص الشرعية آمِرةٌ بالتفكر في خلق الله وكونه، وذُيّلت الآيات القرآنية بأولي الألباب وقوم يعقلون، مع بيان بعض الفوائد المترتبة على ذلك، مثل: زيادة الإيمان والاعتبار والاتعاظ وغير ذلك، ومن هنا فالقيام بالتفكر يأتي في قمة فوائده امتثالُ أمر الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٤. ٢. امتثال أمر الله تعالى بالتفكر في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم آيات آمرة بالتفكر في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢]، قال العلامة جمال الدين القاسمي: "إنكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن وإعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الإيمان؛ ليعلموا كونه من عنده تعالى، بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ... قال الزجاج: ولولا أنه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الإخبار بالغيب، مما يسره المنافقون وما يبيتونه، مختلفا: بعضه حق وبعضه باطل؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى"(١٣).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد ٢٤]. قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور: "والمعنى: أن الله خلقهم بعقول غير منفعلة بمعاني الخير والصلاح فلا يتدبرون القرآن مع فهمه أو لا يفهمونه عند تلقيه، وكلا الأمرين عجيب، والاستفهام تعجيب من سوء علمهم بالقرآن، ومن إعراضهم عن سماعه... والتدبر: التفهم في دُبُر الأمر، أي ما يَخفى منه وهو مشتق من دبر الشيء، أي خلفه ... وتنكير قلوب للتنويع أو التبعيض، أي على نوع من القلوب أقفال، والمعنى: بل بعض القلوب عليها أقفال، وهذا من التعريض بأن قلوبهم من هذا النوع؛ لأن إثبات هذا النوع من القلوب في أثناء التعجيب من عدم تدبر هؤلاء القرآن يدل بدلالة الالتزام أن قلوب هؤلاء من هذا النوع من القلوب ذوات الأقفال"(١٤).

---

(١٢)الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. رقم (٢٩٧٦)، وقال: "حسن".

(١٣) القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ: ٣/ ٢٣٣.

(١٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ: ٢٦/ ١١٣-١١٤.

فهاتان الآيتان الكريمتان تدعوان إلى التفكر في القرآن الكريم، وضمن آيات القرآن آيات التفكر في الكون والخلق بكل أنواعه، فالقرآن الكريم تضمن آياتِ الخلق والكون كما تضمن آيات التشريع والأمر، وهذا كله يدعو إلى التفكر في آيات الخلق وآيات التشريع.

٤. ٣. تحقيق الإيمان الحق بالله تعالى في قلوب المؤمنين:

في القرآن الكريم توضيح أن مجرد الإيمان شيء، وأن الإيمان الحق شيء آخر، فالله تعالى أمر بالإيمان به فقال: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء ١٣٦]. أما في الإيمان الحق فقال تعالى مبينا صفات أهل الإيمان الحق في مطلع سورة الأنفال ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال ٤]، وقال في السورة نفسها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال ٧٤].

وعن أنس بن مالك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خرج يوما فاستقبله شاب من الأنصار يقال له: حارثة بن النعمان، فقال له: "كيف أصبحت يا حارثة؟" قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، قال: فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "انظر ما تقول، فإن لكل حق حقيقة إيمانك؟" قال: فقال: عزفتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعادون فيها، فقال: فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: "أبصرت فالزم، مرتين، عبدٌ نوّرَ اللهُ الإيمان في قلبه"، قال: فنودي يوما في الخيل: يا خيل الله اركبي، فكان أول فارس ركب، وأول فارس استشهد، فجاءت أمه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت: يا رسول الله، أخبرني عن ابني حارثة، أين هو؟ إن يكن في الجنة لم أبكِ ولم أحزن، وإن يكن في النار بكيتُ ما عشت في الدنيا، قال: فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يا أم حارثة، إنها ليست بجنة ولكنها جنان، وحارثة في الفردوس الأعلى"، قال: فانصرفت وهي تضحك وتقول: بخٍ بخٍ لك يا حارثة"(١٥).

ففي الآيتين السابقتين وحديث حارثة وصفٌ للإيمان بأنه "إيمان حق" و"حق الإيمان"، وهذه درجة أعلى من مجرد الإيمان، ولن تتحقق حقيقة الإيمان في قلوب المؤمنين إلا بالتفكر في كتابين: كتاب الله المنظور "الكون وما فيه"، وكتاب الله المسطور "الآيات القرآنية"، وكلا الكتابين أمرَ القرآنُ الكريم بالتفكر فيهما.

(١٥) البيهقي، شعب الإيمان: ١٣/ ١٥٨، حديث رقم (١٠١٠٦)، والعسقلاني، مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، ١/ ١٧.

٤. ٤. زيادة محبة الله تعالى بالتعرف إلى نعمه:

إن الإنعام هو أكبر باب للمحبة ومعرفة اليد والفضل، وقد قال الشاعر أبو الفتح البستي:

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ ** فطالَما استبَعدَ الإنسانَ إحسانُ

وإذا كان هذا من الإسنان للإنسان، فكيف إذا كان الأمر من الله للعبد؟!

والقرآن الكريم ذكر مدى نعم الله تعالى على الإنسان، وأنها لا تقع تحت حصر، قال جل شأنه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل ١٨].

وقد أوردنا سلفا ما خلقه الله تعالى من سموات وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، ورياح ومطر، وخيل بغال وحمير وأنعام، وبين أغراض كل هذا الحلق وأنه إنما خلق للإنسان، وأن كل ما في السموات والأرض مسخر للإنسان.

فنحن هنا أمام مدونة قرآنية من الخلق وبيان مقاصده، وأنه للإنسان، فبيان مقاصد هذا الخلق يظهر نعمة الله على الإنسان، وقد قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان ٢٠]. فهذا كله يزيد المسلم محبة لله تعالى حين يتعرف إلى خلقه والمقاصد منها.

٤. ٥. تحقيق تعظيم الله تعالى بالتعرف إلى أسرار خلقه:

إن التأمل في هذا الملكوت، وما به من إعجاز وإحكام ليبعث في النفس تعظيم الخالق القادر المهيمن العزيز الجبار البارئ المهيمن المصور؛ فهو سبحانه أبدع هذا الكون، وأحكم هذا الخلق: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك ٣].

ومن تتبع كل مخلوقات الله، وتدبر أسرارها ومقاصد وجودها أو غايات خلقها عَظُمَ اللهُ أو عظَّم اللهَ — تبارك وتعالى — في نفسه، ومجده في قلبه، وانتزع هذا التأملُ في أسرار الخلق الحمدَ من أعماقه، كيف لا وقد أوجد كل شيء لغاية، وأبدع كل خلق لمقاصد، وخلق كل شيء فقدره تقديرا، فسبحانه وتعالى عما يشركون.

ولهذا يقرر القرآن الكريم أن الخلق ما قدَرُوا الخالقَ حق قدره ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج ٧٤]؛ فهو قوي لا يجري شيء في كونه إلا بأمره، ولا يتحرك أي متحرك إلا بإذنه، وهو الذي يُمسك السموات والأرض أن تزولا، ويُمسك السموات أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فانظر إلى هذه القدرة القاهرة وهذه الهيمنة الإلهية، وكمال قدرته بل طلاقة قدرته بما يثمر في نفس المؤمن مقاصد عظيمة وفوائد

جليلة، ومنها: بثُّ السكينة والاطمئنان، والعزة بالله تعالى وطلاقة قدرته، وحسن التوكل عليه، والتحرر من كل ما سواه.

وفي سياق آخر يتحدث عن عظمة الله في اليوم الآخر، وأن الخلق أيضا ما قدروا الله حق قدره، وهو مالك هذا اليوم، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر ٦٧].

إن التأمل في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، والتدبر في وظائف كل مخلوق، في الكون أو في السماوات أو في الأرض أو فيما بينهما، لا يمكن إلا أن يزيد المؤمن إيمانا، ويزيد الله تعظيما في نفسه مما يكون له الأثر الكبير في الاستقامة في السلوك، والرشد في التفكير، والخوف من الله، وهذا كله ينعكس إيجابا على مسيرة الإنسان لأداء وظائفه بشكل فاعل في هذه الحياة، وهي –كما أسلفناها من قبل – الخلافة، والعبادة، والعمارة.

٤. ٦. زيادة الإيمان بأسماء الله الحسنى من خلال رصد آثارها في الأنفس والآفاق:

خلق الله تعالى هذا الكون على غير نظام سابق؛ ولهذا قال جل شأنه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة ١١٧]، وذكر لكل خلق من خلقه أسرارَه ووظائفَه ومهماتِه كما سبقت الإشارة، وفي هذا الخلق تتجلى الآثار العظيمة لأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ فهو الخالق الذي خلق، واستوى على العرش، وسخر الشمس والقمر، فهو الخالق المصور البارئ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف ٥٤].

ومراحل خلق الإنسان وما فيها من لطف إلهي وقدرة مطلقة على التصريف والتصوير: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون ١٢-١٤].

وكذلك التأمل في أطوار حياته ومراحل وجوده في الحياة الدنيا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ [الروم ٥٤].

إن كل خلق من هذا الخلق لتتجلى فيه آثارُ كلِّ اسمٍ من أسماء الله الحسنى، فترى في كل خلق من خلقه آثار هذه الأسماء: الحكيم والرحيم والعزيز والقوي والمتين والقابض الباسط، والضار النافع، والقهار، والجبار،

والمتكبر، وهكذا إلى آخر الأسماء الحسنى، فكل آية قرآنية وآية كونية يمكنك أن تطبقها على الأسماء الحسنى جميعا.

وكذلك الصفات العلى من حكمة ورحمة وعلم وسعة وستر ولطف وقوة إلى آخر هذه الصفات الجليلة، وهو ما يضاعف إيمان المؤمن بربه من خلال استشعاره وإحساسه بالآثار العظيمة الجليلة لأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي تتجلى في كونه وخلقه.

وحسبنا أن نقرأ هذه الآياتِ القرآنيةَ الكريمة متأملين ما فيها من آثار الأسماء والصفات، وما تتجلى فيه من بيان عظيم ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل ٥٩-٦٤].

٤. ٧. اهتداء الإنسان إلى مهمات وجوده في الحياة وحسن القيام بها:

ومن فوائد معرفة مقاصد الخلق أن يقف الإنسان على مهمات وجوده في هذه الحياة، فهذا الإنسان لم يُخلق عبثا: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ [المؤمنون ١١٥]. ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص ٢٧].

وإنما خُلق لغايات ذكرناها عند الحديث عن مقاصد خلقه، وكما نقلناها عن الراغب الأصفهاني، وهي: الخلافة، والعمارة، والعبادة، فالإنسان لو خلقه الله تعالى وتركه بلا وحي يبين له مقاصد خلقه ومهمات وجوده لما استطاع أن يهتدي إليها إلا بعد بذل جهد كبير وتأمل طويل، لو وصل، وهذا ما جعل فلاسفة الدنيا يحارون في هذه الأسئلة الوجودية: من أنا؟ ومن أين أتيت؟ ولماذا؟ وإلى أين؟، الأمر الذي جعل شاعرا مثل إيليا أبي ماضي يقول:

جئت، لا أعلم من أين، ولكنّي أتيت
ولقد أبصرت قدّامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري!

لكن القرآن الكريم جعلنا ندري من نحن؛ فبين طبيعة الإنسان وتحدث عنه، وجعلنا ندري من أين أتينا، من طين، وسوَّانا ربُّنا تعالى، ونفخ فينا من روحه، وأسجد لنا الملائكة، وكرّمنا وشرفنا، وأرسل لنا الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعا منه، وجعَلنا ندري لماذا خُلقنا، وبين لنا مهماتِنا في هذه الحياة، وهي: للخلافة والعمارة والعبادة.

وجعلنا ندري إلى أين المصير، إلى جنة عرضها السموات والأرض، أو إلى جهنم وبئس القرار، وأخبرنا أن هناك ميزانا ينصب، وحسابا يجري، وثوابا وعقابا، فالدنيا ليست نهاية المطاف، وإنما هناك آخرة يحاسب فيها الناس، فينتصف فيها المظلوم من الظالم، ويقال لأهل الجنة: حياة بلا موت، ولأهل النار: حياة بلا موت.

ومعرفة الإنسان المقاصد من خلقه يعينه على فهم مهماته، ويقفه على مقاصد وجوده، وهذا يعينه على حسن القيام بهذه المقاصد، وتحرِّي تحقيقها، وحسن القيام بها، فيجدد الدين ويجود التدين، ويَعْمر الأرض، ويملأ الدنيا خيرا ونفعًا.

٤. ٨. تحقيق اهتداء الإنسان إلى طرق تسخير الكون والخلق لصالحه:

ذكر القرآن الكريم أنه سخر للإنسان ما في الأرض جميعا، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية ١٣]. فما أعظم هذا التذييل في الآية الكريمة: "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون".

وما أحسن ما قاله العلامة عبد الرحمن السعدي في تفسير هذه الفاصلة إذ يقول: "وجملة ذلك: أنَّ خلقَها وتدبيرها وتسخيرها دالٌّ على نفوذ مشيئة الله وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن الخلقة دال على كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة دال على سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من التخصيصات والأشياء المتضادات دليل على أنه الفعال لما يريد، وما فيها من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية دليل على سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره، وكل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له، وأن رسله صادقون فيما جاءوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبًا ولا شكًّا"(١٦).

(١٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م: ٧٧٦.

وفي سورة إبراهيم سرد لما سخره الله للإنسان، يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم ٣٢-٣٤].

فمن فوائد معرفة مقاصد ما خلقه الله تعالى – إذن – أن يعرف الإنسان وظائف ومقاصد هذا الخلق، ومن فوائد معرفته لمقاصد هذا الخلق أن يعرف كيف يتعامل معه، وكيف يستفيد منه بما هو مسخر له، وقد خلق الله هذا الكون كله تسخيرا للإنسان وخدمة له؛ ليكون ذلك عونًا له على تحقيق مقاصد وجوده.

وما ذكرناه سلفًا من مقاصد الخلق: الليل والنهار، والشمس والقمر، والسموات والأرض، والخيل والبغال والحمير والأنعام، وغير ذلك، كل هذه المقاصد التي ذكرها القرآن لهذه المخلوقات تجعل الإنسان يقف عليها، ويعرف كيف يُسخرها ويفيد منها؛ لتعينه على أداء مهمته وتحقيق رسالته.

٤. ٩. استثمارها في تعزيز تزكية المسلمين وتجويد تدينهم:

ومن فوائد معرفة مقاصد الله في خلقه استثمارُ هذه الفوائد في تعزيز تزكية المسلمين وتجويد تدينهم، وهي بعض حصاد هذه الفوائد، فهي بمثابة فوائد الفوائد لمعرفة المقاصد.

فإن من المصادر الأصلية لتزكية النفوس التأمل في خلق الله؛ ولهذا أمرنا — سبحانه – بالتدبر في الكون والخلق: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس ١٠١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف ١٨٥].

إن هذا التأمل الذي يُثمر الفوائد السابقة من تعظيم الله في النفوس، وامتثال لأمره وأمر نبيه، واهتداء الإنسان لمهماته، وزيادة الإيمان في النفوس، وتجسيد آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وغير ذلك مما ذكرناه من فوائد، يعود على المسلمين بعد تزكيتهم بتجويد تدينهم والقيام بالعبادة بحب وشوق: بحبٍّ في الأداء، وشوق إلى العبادة؛ فيعبدون الله تعالى حبًّا وشوقًا، وإحسانًا وإتقانًا؛ لأنهم تعرّفوا عليه في خلقه، وازدادوا إيمانًا بتفكّرهم في كونه، كما يزدادون إيمانًا بإنصاتهم لآياته في كتابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال ٢].

٤. ١٠. استثمارها في دعوة غير المسلمين للإسلام:

ومن فوائد العلم بمقاصد الخلق والكون – أخيرًا – أن هذا يفيد العلماء والدعاء إلى الله تعالى بل أي مسلم وقف على هذه المقاصد: أنها باب واسع وذُخر متجدد في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام من خلال التأمل والتدبر في الآيات الكونية.

وهذا ما اهتدى إليه الأعرابيُّ البسيط من قديم حين سئل عن أدلة وجود الله تعالى، فقال بكل ثقة وصفاء: "البعرة تدلّ على البعير، وأثرُ الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أما يدلّان على الصّانع الخبير".

إن ما نعيشه اليوم من عوالم مفتوحة، وآفاق ممتدة في التواصل والانفتاح التام بلا حدود ولا حواجز أو موانع قد تُدخل الإلحاد في بيوتنا وإلى قلوب أبنائنا، فهو – في الوقت نفسه – فرصة من ناحية أخرى لدعوة غير المسلمين إلى الدين الحق من خلال استعراض هذا الكون العظيم، ونظرياته الكامنة فيه، والتي اكتشف العلم الحديث طرفًا منها.

إن التأمل في إحكام الخلق بالطرق العلمية التجريبية، والتأمل في خلق الإنسان وما يضمه جسده من أجهزة، والتأمل في النبات والحيوان والشمس والقمر والليل والنهار والشجر والدواب، واستجلاء مكامن العظمة فيه، والكشف عن معالم القدرة والعلم والحكمة الإلهية لهو من الأبواب الكبرى لقيادة البشرية إلى الله، الذي خلق هذا الخلق، ودبر أمره، وقدر رزقه، وحدد عمره، وهو الحكيم الخبير.

ومن ثم فإننا لن نستطيع أن نستثمر هذه المقاصد الكونية في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام إلا إذا وقفنا نحن عليها، وتعرفناها من خلال آيات القرآن الكريم، واطلعنا على النظريات العلمية الحديثة في إعجازها وإبداعها وإتقانها، فما أحرى الدعاة إلى الله أن يقوموا بواجب الدعوة من خلال هذا الباب من العلم الشريف، وما ألفه العلماء قديمًا وحديثًا في إعجاز القرآن والإعجاز الكوني والخَلقي لا يكاد يحصى، ومن المفيد للمسلمين عامة، والدعاة خاصة، أن يحملوا هذه الثقافة المهمة في كل عصر عامة، وفي عصرنا خاصة.

خاتمة ونتائج

كشفت هذه الدراسة عن عدد من الأمور، أهمها:

أن تعريف مقاصد الخلق الكوني هي الغايات التي خلق الله لأجلها المخلوقات سوى الإنسان لمعرفة تسخيرها وتحقيق مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وأن تعريف مقاصد خلق الإنسان هو الغايات التي خلق الله لأجلها الإنسان؛ كي يَعرف مهمتَه في هذه الحياة؛ فيهتدي ويَرشُد ويفوز في الدنيا والآخرة.

وأن مقاصد الله من خلقه تتمثل في ثلاثة مقاصد، هي: الخلافة، والعبادة، والعمارة.

وأن القرآن الكريم يحتوي على مدونة هائلة من الآيات التي تتحدث عن المخلوقات الكونية والأرضية، وخلق الحيوان والنبات والرياح، وبيان مقاصدها جميعا، وكذلك السنة النبوية.

وأن فوائد العلم بمقاصد الخلق عظيمة وجليلة ومهمة، وهي: امتثال أمر الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بالتفكر في الكون، وامتثال أمر الله تعالى بالتفكر في القرآن الكريم، وتحقيق الإيمان الحق بالله تعالى في قلوب المؤمنين، وزيادة محبة الله تعالى بالتعرف إلى نعمه، وتحقيق تعظيم الله تعالى بالتعرف إلى أسرار خلقه، وزيادة الإيمان بأسماء الله الحسنى من خلال رصد آثارها في الأنفس والآفاق، واهتداء الإنسان إلى مهمات وجوده في الحياة وحسن القيام بها، وتحقيق اهتداء الإنسان إلى طرق تسخير الكون والخلق لصالحه، واستثمارها في تعزيز تزكية المسلمين وتجويد تدينهم، واستثمارها في دعوة غير المسلمين للإسلام.

إن الله تعالى لم يخلق شيئا عبثًا ولا باطلا – سبحانه – ومن أجل هذا يجب أن نقرأ الآيات الكونية والآيات القرآنية معًا، وهما مصدر الإيمان الحقيقي؛ لنقف على حقائق الكون والوجود، ونعيد اكتشاف وجودنا نحن في هذه الحياة، ونضع أيدينَا على طبيعة استثمار هذه المخلوقات وكيفية تسخيرها لنا؛ كي نقوم بمهمات رسالتنا في هذا الوجود: خلافةً لله في ملكه، وعمارةً له في أرضه، وعبادةً له آناء الليل وأطراف النهار.

وبهذا يتبين لنا أثر النظر المقاصدي في خلق الله وكونه، وأهمية الفوائد المستفادة من هذا التفعيل: تأثيرا وتأثرا.

المصادر والمراجع

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)،الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أستاذنا د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. دار السلام. القاهرة. ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الملقب بفخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون بيانات.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر (ت ٨٥٢هـ)، مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، تحقيق: صبري عبد الخالق أبو ذر. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ضمن مجموعة رسائل الإمام أبي حامد الغزالي، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 09.10.2023 | Accepted: 04.12.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10350433
0000-0003-4603-4997

دلالة السياق القرآني في تفسير سورة الفاتحة عند المحقق سعيد بن خلفان الخليلي

The significance of the Qur'anic context in the interpretation of Surat Al-Fatiha according to the investigator Saeed bin Khalfan Al-Khalili

بدرية علي وليد الهنائية * & رضوان جمال الأطرش**

Badriya Ali Waleed AL Hinai & Radwan Jamal Elatrash

ملخص

يهدف هذا البحث إلى التعريف بمنهجية المحقق سعيد بن خلفان الخليلي العالم الفقيه الأصولي العماني حيث يعد من الشخصيات المهمة في دراسة علوم القرآن خلال القرن الثالث عشر الهجري، حيث تميز باهتمامه البالغ بعلوم القرآن وتفسيره، وقدم جهدًا كبيرًا في تفسير سورة الفاتحة والتي تعتبر من أعظم السور في القرآن الكريم. ومن معالم منهجية المحقق الخليلي في تفسير سورة الفاتحة استخدام أسلوب الدلالة اللغوية واعتمد على السياق والأسلوب الإشاري، وبهذا قدم تفسيرًا شاملًا يستخلص منه مضامين إيمانية توجه المسلمين في أداء واجباتهم الدينية. وقد كتب رسالة في تفسير سورة الفاتحة موجودة ضمن الجزء الثالث عشر من كتابه "تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان"، مستخلصاً مضامين إيمانية حيوية. وقد ارتأى الباحثان توظيف المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي للوصول إلى منهجية المحقق الخليلي في تفسير سورة الفاتحة التي حوت مضامين القرآن كله، ومما توصلا إليه على سبيل المثال: أن للفظ القرآني أثر على السياق، كما للسياق السابق واللاحق أثر في الوصول للهدايات القرآنية التي تُتخذ منهجاً لحياة إيمانية كما أرادها

* PhD Candidate. International Islamic University Malaysia. Department of Qur'an and Sunnah. E-Mail: badriya018@gmail.com

** Assoc. Dr. International Islamic University Malaysia. Department of Qur'an and Sunnah. ORCID: 0000-0003-4603-4997 E-Mail: radwan@iium.edu.my

المولى عز وجل. وهكذا ظهر جلياً أن للمحقق سعيد بن خلفان الخليلي رؤية تكاملية تضم عدة دلالات في آن واحد لإيصال فحوى معنى الآيات الكريمة لتالي كتاب الله الحكيم.

الكلمات المفتاحية: دلالة، السياق القرآني، سورة الفاتحة، المحقق الخليلي

Abstract: The investigator Saeed bin Khalafan Al-Khalili is a scholar, jurist, and Omani fundamentalist. He paid great attention to the sciences of the Qur'an in the thirteenth century AH, and interpreted many Qur'anic verses and wrote a treatise on the interpretation of Surat Al-Fatihah, which is found in the thirteenth part of his book "Tamheed: Qawaeid Al'iiman". He interpreted the mother of the book in a linguistic, contextual, and indicative way, extracting faith contents from what the verses guide to in the greatest surah that a Muslim needs to perform his five duties daily. And because of the nature of the research, the two researchers decided to employ the inductive analytical approach to reach the methodology of the investigator Al-Khalili in interpreting Surat Al-Fatihah, which contained the contents of the entire Qur'an. For example, they reached: That the Qur'anic word influences the context, as well as for the previous and subsequent context, an effect in reaching the Qur'anic guidance that adopts a methodology for a life of faith as God Almighty wanted. And so, it became clear that the investigator Saeed bin Khalafan Al-Khalili has an integrative vision that includes several connotations at one time to convey the essence of the meaning of the noble verses to the follower of the book of God Almighty.
Keywords: Connotation, Qur'anic context, Surah Al-Fatihah, Al-Muhaqqiq Al-Khalili

المقدمة

يعد التفسير القرآني واحدًا من أهم علوم القرآن التي تسعى إلى فهم معاني القرآن وتفسيرها بشكل صحيح ومناسب للزمان والمكان، والمحقق سعيد بن خلفان الخليلي هو أحد العلماء العُمانيين الذين سعوا إلى فهم القرآن وتفسيره بمنهجية علمية دقيقة. تعتبر رسالته في تفسير سورة الفاتحة من أعماله المهمة، حيث قدم فيه تحليلًا عميقًا للنص القرآني وبحث في دلالته السياقية واللغوية واستخلص مضامينها الإيمانية.

هذه الدراسة جاءت لجمع وتحليل تفسيرات المحقق الخليلي المنتشرة في كتبه المختلفة، وذلك لندرة الأبحاث التي ركزت على استخراجها وفحصها. ومن بين هذه الكتب كتاب تمهيد قواعد الإيمان الذي يشمل على تفسير العديد من آيات القرآن في أربعة عشر جزءً. وقد نصح عدد من العلماء بضرورة متابعة تراث هذا الإمام الجليل المبعثر. وتعد دراسة الدلالة السياقية من أهم المناهج التي اتسم بها تفسير المحقق الخليلي كما سنبين في هذا البحث. ومن ضمن من دعوا إلى ذلك الباحث مبارك بن عبد الله الراشدي (٢٠٠١م)، الذي حثَّ طلاب العلم على إظهار الجوانب العلمية والفكرية للمحقق الخليلي. وهذا ما توافق معه الباحث (خلفان الحارثي ، ٢٠١٢م) في دعوته إلى الالتفات لمؤلفات المحقق الخليلي وخصوصًا كتابه تمهيد قواعد

الإيمان لغزارة علومه. وكذلك الباحث (سعيد الهنائي، ٢٠١٨م) أوصى بدراسة مؤلفات الإمام المحقق الخليلي وذلك لأهمية قيمتها العلمية والجوانب المعرفية التي تتصل بها.

ويهدف هذا المقال بناء على ذلك إلى استكشاف وتحليل دلالة السياق القرآني في تفسير سورة الفاتحة عند المحقق سعيد بن خلفان الخليلي. تعتبر سورة الفاتحة من أهم السور في القرآن الكريم، حيث تُعَدُّ مدخلاً إلى كل القرآن وتحتوي على مفاهيم إيمانية وأخلاقية عميقة.

ستشمل هذه الدراسة تحليلًا لتفسير سورة الفاتحة عند المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، مع التركيز على كيفية استخدامه للسياق القرآني في تفسيره. ستستند الدراسة إلى المصادر الأصلية والمراجع السابقة في هذا المجال لفهم أفضل للمنهجية التي اتبعها المحقق في تحليله لسورة الفاتحة وتفسيرها.

الأهمية العلمية والعملية للبحث:

١. تساهم هذه الدراسة في فهم أعمق لمحتوى سورة الفاتحة ومفاهيمها الإيمانية والأخلاقية من خلال تحليل تفسير المحقق الخليلي.

٢. سيوفر البحث منهجية تفسيرية تستند إلى السياق القرآني لفهم مضمون القرآن ومعانيه بشكل أعمق، وهذا يمكن أن يكون مفيدًا للباحثين والدارسين في العلوم الإسلامية.

٣. من جهة أخرى، يساهم هذا البحث في الحفاظ على تراث المحقق سعيد بن خلفان الخليلي وإظهار أهمية أعماله الفقهية والتفسيرية.

٤. يضيف هذا البحث إلى المعرفة العلمية في مجال تفسير القرآن ويساهم في تطوير الدراسات الإسلامية المتعلقة بالسياق القرآني.

٥. يلقي هذا البحث الضوء على أهمية الدراسات الأصولية في فهم القرآن وتفسيره ويشجع الباحثين على متابعة هذا المجال.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في ذات الموضوع لم نقف على دراسة مستقلة عن موضوع دلالة السياق القرآني في سورة الفاتحة للمحقق الخليلي، إلا دراسة سليمان بن سعيد بن حماد العبري[١]، بعنوان سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه في

[١] سليمان بن سعيد بن حماد العبري، **سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه في علوم القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير غير منشورة في كلية أصول الدين السودان: جامعة أم درمان الإسلامية (٢٠١٠م).

علوم القرآن الكريم، (رسالة ماجستير غير منشورة في كلية أصول الدين السودان: جامعة أم درمان الإسلامية (٢٠١٠م). حيث تحدث في مبحث مستقل عن منهج المحقق الخليلي في تفسيره لبعض آيات القرآن باعتباره علم من علوم القرآن. وهناك بعض الدراسات الأخرى التي لها صلة بموضوع السياق القرآني تارة، ومنهج المحقق الخليلي تارة أخرى ومن ذلك:

رسالة دكتوراه: أثر السياق القرآني في التفسير دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، محمد بن عبد الله الربيعة[٢]، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ، حيث عمد الباحث في منهجه التطبيقي إلى تقسم السورة إلى مقاطع بحسب ارتباطها بسياق متحد. وبين السياق العام للمقطع، ثم أفرد كل آية بدراسة مستقلة ، وبين ما فيها من المسائل المتعلقة بالسياق، بعد ذلك بين أثر السياق في ألفاظ الآية، واقتصر على إبراز المسائل المتعلقة بها. وبين معاني الآية والراجح في المسائل المختلف فيها عند المفسرين، اعتماداً على دلالة السباق وغرض الآية ومناسبتها للسياق. تتفق هذه الرسالة في جزء من منهجية استنباط نوع السياق في الآية، وتختلف في باقي المنهجية.

السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، لسعد بن محمد الشهراني[٣]، جامعة الملك سعود، ١٤٣٦هـ، دراسة تناولت موضوع السياق القرآني ودوره في فهم الآيات والسور، وانتقدت بعض المفسرين الذين يعتمدون على العقل والمنطق في تفسير القرآن دون الاستناد إلى السنة والأثر. يقوم المؤلف بتحليل نماذج من تفاسير هؤلاء المفسرين ويبين أخطاءهم ومغالطاتهم، ويوضح كيفية استخدام السياق القرآني بشكل صحيح وموافق للمنهج السلفي. تتفق هذه الدراسة مع البحث في كيفية الاستفادة من السياق الخارجي السنة الصحيحة وآثار الصحابة في تقوية المعنى السياقي للآيات، بينما اختلفت في محل الدراسة وهي سورة الفاتحة.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

نتطرق في هذا المبحث إلى التعريف بماهية السياق والتفسير من الجانب اللغوي والاصطلاحي حسب المطالب الآتية:

---

[٢] محمد بن عبد الله الربيعة، **أثر السياق القرآني في التفسير دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة**، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، رسالة دكتوراة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

[٣] سعد محمد الشهراني، **السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة**، (الرياض: جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٣٦هـ).

المطلب الأول التعريف بالسياق لغة واصطلاحاً

أولاً: السياق في اللغة: من خلال الرجوع إلى معاجم اللغة وجدنا أن السياق له عدة معاني حسب الآتي:

الجلب والاقتياد: أصل لفظة السياق –كما قررها أهل اللغة– سواق فقلبت الواو ياء لكسر الحرف الذي قبله، قال ابن فارس: "السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا. وَالسَّيِّقَةُ: مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ. وَيُقَالُ سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَقْتُهُ. وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَسْوَاقٌ[٤].

٢. التتال والتتابع والترادف: حيث يقول الزمخشري: "تساوقت الإبل تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُسَاقُ الحديث، وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: أي على سرده"[٥].

٣. وجاء في الصحاح (السِّيَاقُ) نَزْعُ الرُّوحِ.[٦]

٤. شدة الأمر: فالساق في اللغة تطلق على الأمر الشديد وكشفه مثل في شدته، قال ابن منظور: وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد يقال شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام بذلك الأمر العظيم"[٧] وفي الذكر الحكيم قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]. إذا تأملنا في هذه المعاني نجد أنه يجمعها ويربط بينها معنى التتابع والترابط، واتصال شيء بشيء ولحوقه به لتأدية غرض محدد، فإيراد الشيء وقيادته وتقديمه يكون من خلال انتظامه وتتابعه لسوقه لغرض معين؛ فالماشية تساق وتقدم بغرض الرعي والنزع سمي سياقاً؛ لأن الروح إنما تخرج من الإنسان متتابعة متدرجة بدء من القدم حتى تصل إلى الحلقوم ، وكذلك الأمر الشديد لا يأتي مرة واحدة بل يتدرج ويتسلسل ويتتابع كما هو الحال

---

[٤] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون**، (سوريا: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٣، ص١١٧.

[٥] محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص٤٨٤.

[٦] زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، **مختار الصحاح**، (بيروت: المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص١٥٧.

[٧] محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق اليازجي وجماعة من اللغويين، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج١٠، ص١٦٨.

في أهوال يوم القيامة، وخلاصة الأمر أن السياق في اللغة على تعدد معانيه يجمعه رباط واحد وهو تتابع الشيء ولحوق بعضه ببعض لتأدية غرض معين.

ثانياً: تعريف السياق القرآني في الاصطلاح

لم يعن العلماء المتقدمون –رحمهم الله تعالى – بتعريف السياق القرآني من الناحية النظرية بقدر عنايتهم به من الناحية التطبيقية؛ فالباحث في تراثهم العلمي يجد أنه زاخر بالأمثلة العملية التي تبرز أهمية السياق، وأثره في تفسير القرآن الكريم، بينما لن يعثر على تعريف لذلك.

وقد اختلف الباحثون في وضع تعريف علمي للسياق القرآني؛ فمنهم من رأى أنه تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المرتبطة؛ لأداء المعنى[٨]، ويلاحظ بأن هذا التعريف أنه يجعل السياق مقصور على المقال دون المقام، وهذا ليس دقيقا ولا يتناسب مع مفهوم السياق القرآني؛ لأن السياق القرآني يشمل المقال والمقام يقول نجم الدين زنكي في ذلك: لو أمكن افتراض الفصل بين السياق والمقام على مستوى الجملة في خطاب الشارع، فإنه لا يمكن ذلك في استنباط الحكم الشرعي من نصوص الشارع على مستوى النظم العام، وأعني بذلك ما يتعلق بالعلاقات البيانية بين نصوص الشارع من تخصيص العام وتقييد المطلق والنسخ، ذلك أن القرآن الكريم قد حوى نصوصاً منظومة مقرونة ببعضها بين دفتي المصحف في شكل آيات وسور، فلو أننا نزلنا عند استنباط الحكم وبيان العلاقات البيانية بين النصوص على مجرد السياق المقالي (النظم) لفهمنا كثيراً من الأمور على غير وجهها، وحينئذ قد نُدخل على غرض النص ومساقه ما لا يدخل[٩]. وقيل إنه: الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية[١٠]. هذا التعريف قد حصر السياق القرآني بالغرض الذي يساق الكلام لأجله، وهذا يتعارض مع ما ثبت جليا من أن السياق في أصل اللغة يهدف إلى غاية محددة مرجوة، وليس هو الغاية ذاتها، كما ويعتبر أن السياق القرآني شامل للمقال والمقام؛ وهذا لا يتناسب مع ما ثبت في معنى السياق لغة؛ فالحال مستقل عن المقال والسياق مختص بالمقال وهذا لا يعني التقليل من قيمة الحال أو المقام في إدراك معنى السياق عامة؛ وإنما العلاقة بين الحال والسياق علاقة

---

[٨] عبد الرحمن عبد الله المطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ٢٠٠م)، ص٧١.

[٩] نجم الدين قادر كريم الزنكي، **نظرية السياق**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٦١.

[١٠] محمد عباس الباز، **الحذف البلاغي في الرسم القرآني**، (بيروت: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢١م)، ص١١٩م.

تكامل تهدف إلى تأدية المعنى القرآني كاملا صحيحا. هذا وقد عرفه الدكتور المثنى عبد الفتاح بأنه تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"[١١].

ويرى البحث أنه يمكن تعريف دلالة السياق القرآني باعتباره مصطلحاً قائماً بذاته أنه ما يرشد إلى مراد الله من خلال النظر إلى سابق الكلام ولاحقه مقالا ومقاما وإلى جميع النظم القرآني.

المطلب الثاني: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير لغة: هو مصدر فسر، ويعني الكشف أو الإبانة أو الظهور، يقال فسر الشيء وضحه[١٢]. أي أن التفسير يعني بيان ما يحتويه القرآن من معاني وحكم وأحكام.

اصطلاحاً، التفسير هو علم يبحث فيه عن دلالة القرآن على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. أي أن التفسير يعني استخراج المعاني الحقيقية والمجازية والظاهرة والباطنة للآيات القرآنية[١٣] بالاستناد إلى المصادر الشرعية واللغوية والعقلية.

هناك أنواع مختلفة من التفسير، منها:

التفسير بالمأثور: وهو التفسير الذي يعتمد على نقل الروايات والأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين في شرح الآيات[١٤]، مثل تفسير ابن جرير الطبري وتفسير ابن كثير.

التفسير بالرأي: وهو التفسير الذي يعتمد على الاجتهاد والقياس والاستدلال في فهم المعاني، مع مراعاة أصول الدين وأدلة الشرع، مثل تفسير الزمخشري وتفسير فخر الدين الرازي.

---

[١١] المثنى عبد الفتاح محمود، **نظرية السياقي القرآني**، (عمان: دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٨م)، ص١٥.

[١٢] انظر: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية ، ط٢، ١٩٧٢م)، ج٢، ص٦٨٨.

[١٣] انظر: أحمد عبد الغفار، **التفسير ومناهجه والنص وتفسيره**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م)، ص١٩

[١٤] انظر: أيوب آدم رسول البرزنجي ، **أقوال الأكثرية في التفسير بالمأثور في القرنين الرابع والخامس هجري**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٩م)، ص٣٩.

التفسير بالإشارة: وهو التفسير الذي يعتمد على استخلاص المعاني المجازية والباطنية والإشارات الروحانية للآيات[١٥]، مع احترام حدود المأثور، مثل تفسير القشيري لطائف الإشارات، وتفسير سهل التستري وتفسير ابن عربي. أما المفسرون من الصحابة، فأشهرهم هم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنهما، وابن مسعود رضي الله عنه، وأبو بن كعب رضي الله عنه[١٦]. فكانوا يتمتعون بمعرفة عميقة باللغة العربية وأساليبها، وكانوا قريبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذوا منه شرح الآيات، كما كانوا يعرفون أحداث نزولها وظروفها.

المبحث الثاني: دلالة السياق القرآني في تفسير الفاتحة عند المحقق الخليلي

التفسير بالسياق القرآني هو أحد المناهج التي تهدف إلى فهم القرآن الكريم بما يتوافق مع نظامه الداخلي وترابطه البنائي وتناسقه المعنوي. وقد اهتم بهذا المنهج عدد من المفسرين والباحثين في علوم القرآن منهم المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، الذي قدم مساهمات قيمة في هذا المجال. وفي هذا الفصل سنتعرف على مفهوم التفسير بالسياق القرآني عند المحقق الخليلي، وأصوله وضوابطه وأهمية تطبيقه في فهم كتاب الله تعالى، كما سنستعرض بعض الأمثلة من تفسيراته التي تبرز دقة ملاحظته وعمق تحليله للآيات القرآنية.

المطلب الأول: السياق الكلي لسورة الفاتحة عند المحقق الخليلي

جاء في الإتقان في علوم القرآن[١٧] قاعدة معرفة السياق الكلي للسورة: أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذكر الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له. فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية وفي كل سورة وسورة.

---

[١٥] انظر : مشعان سعود العيساوي، **التفسير الإشاري ماهيته وضوابطه**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٣م)، ص٢٠١٧.

[١٦] انظر: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد/الداوودي، **طبقات المفسرين**، تحقيق: عبد السلام عبد المعين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م)، ص٤.

[١٧] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٧م)، ص٤٧٣.

وبالنظر فيما أورده المحقق الخليلي في تفسير الفاتحة، نجد أنه جعل محور السورة هو تعلم الأدب في الطلب من الرب الهداية والنعمة حيث قال: "حث لهم على الاجتهاد في الدعاء الذي هو رأس العبادة بمراعاة شروطه وتشويق بأن يكونوا داخلين في زمرة وفده الراجين"[١٨]. وقال في موضع آخر: "وسر الأدب فيها يأتي من الدعاء، فإنه لم ينطق بطلب الشيء إلا بعدما استنصر والتجأ وتضرع وصرح بالعبودية وأظهر الاستكانة، وفيه إظهار لسر قدرة الربوبية[١٩] " وهو مناسب لأحد أسمائها، سورة تعليم المسألة: لأن فيها آداب السؤال[٢٠]. وقد قررت هذا السياق وأيدته سمر محمد فقالت: "فإن السورة وبالنظر إلى مكونات هذا السياق نجد أنه ينقسم إلى قسمين: الأول: بيان استحقاق الله تعالى للكمال المطلق، وهو متعلق بالله تعالى. الثاني: بيان اختصاصه تعالى بالعبودية والسؤال، وهو متعلق بالعبد من حيث إنه دال على سبيل كمال العبد بإخلاص العبودية والسؤال الله"[٢١]. والذي يؤكد لنا هذا السياق ويجليه الحديث الصحيح الذي قسم الله تعالى فيه السورة بينه وبين عبده وسماها بالصلاة، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال: مجدني عبدي. وقال مرة: فوض إلي عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل[٢٢]. فأما تسميته لها

---

[١٨] سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، تحقيق: حارث بن شامس البطاشي، (القاهرة: دار الهلال العالمية، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ج١٣، ص٤٨٦.

[١٩] المرجع السابق، ج١٣، ص٤٨٥_٤٨٦.

[٢٠] مرجع السابق، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ٥٣.

[٢١] سمر محمد حاووط، **أول الغيث في تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة**، راجعه: أحمد سليمان الرقب، (الأردن: دار المأمون للنشر، ط١، ٢٠٠٨م)، ص٢٢/٢٣.

[٢٢] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت) ج١، ص٢٩٦. كتاب الصلاة، بَابُ وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ، وَلَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا، رقم الحديث: ٣٨ – (٣٩٥). وانظر: الضياء المقدسي أبو عبد الله محمد، **صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الأحاديث**، تحقيق: حمزة أحمد الزين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م)، ج٨، ص١٦٦، رقم الحديث٣١٠٣٧.

بالصلاة فلأنها ركن في الصلاة في كل ركعة منها، وهذا يؤكد ما بينهما من علاقة، وذلك لأن مقصدهما واحد وهو أنه يتمثل فيهما جميعاً كمال التوجه إلى الله تعالى، فبذلك تظهر العلاقة بينهما لاجتماعهما في الغرض والمقصود، فكأن الله تعالى يقول العلاقة بيني وبين عبدي نصفين تضمنتهما هذه السورة وهذه الصلاة.

فهي بذلك مقسمة إلى نصفين، النصف الأول ثناء على الله، والنصف الثاني دعاء إليه. تعلم العباد الأدب مع ربهم، ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم، لإفراده بالعبادة، فهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسائل إليه، وهو مقصود القرآن كله الذي تضمنته الفاتحة.

المطلب الثاني: السياق القرآني في مقطع آيات الربوبية لسورة الفاتحة عند المحقق الخليلي

قال المحقق الخليلي في تفسير ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ﴾: إشارة إلى ما عداه فهو عبد[٢٣]، فالحمد محصور لله وحده[٢٤]، لأنه هو المستحق للحمد في كل حال، سواء في الرخاء أو الشدة، في السراء أو الضراء، في المنع أو العطاء. فلا يوجد أحد غير الله يستحق الحمد بلا شرط ولا قيد، بل كل ما يُحمد من المخلوقين فهو بفضل من الله وإنعام منه، فالحمد لله هو المنبع والمصدر لكل خير . ورب تدل على كمال غناه ، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار[٢٥]. ﴿الْعَالَمِينَ﴾: فيه مدح لأهل العقول إذ من عليهم على من سواهم، ولم يقل العوالم[٢٦]. ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: التعريف للعهد لأن رحمته قديمة، أو للحصر أي من فعل ذلك غيره رحمة إيجاد تعم الجميع، رحمة إمداد تخص المؤمنين بدلالة التكرير والمضاعفة. ﴿مَالِكِ يَوْمِ﴾: إشارة إلى أنه لم يبق هنالك ملك سواه وأن الخلق كلهم ضعفاء تحت حكمه، يفعل فيهم بقدرته ما يريد، وفي هذا الخبر ذم الحياة الدنيا، إذ لم يجعلها الله شيئا حتى كأنها لحقارتها لم يرض أن يمتدح بملكها، وتعظيم لذلك اليوم، وذكره دع ما وراءه يوم فيه تهويل للموقف إذ جميع تلك العظائم والأهوال، والزلازل التي تبرز في يوم واحد. ﴿الدِّينِ﴾: إشارة إلى العدل، فمن يعمل ومن لم يعمل كما تدين تدان، وفيه تخويف وتحذير من موبقات الأعمال، وفيه تبشير بلقاء العمل الصالح.

---

[٢٣] انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٨٤.

[٢٤] انظر: محمد متولي الشعراوي، **أسئلة حرجة وأجوبة صريحة**، (بيروت: دار العودة، ط١، ١٩٨٢م)، ص١١٢.

[٢٥] انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨م)، ص٣٩.

[٢٦] انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٨٥.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: هذه من مقابلة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وصف ربه بالربوبية وهنا وصف نفسه بالعبودية، وتملق بين يديه أن جعل نفسه من عبيده رجاء أن يكفله ما أهمه وانقطاعه لمولاه لأن من عادة المولى كفاية عبيده، وأن لا يهملهم سدى للشياطين، ولا سيما إن كان بضعفهم عارفا، وفيها سر إخلاص العبادة له، وفيها سر تحقيق العبودية الموجبة للخدمة في مقام الربوبية المدهشة لعظمتها، فلا غرو أن يقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: هذه من مقابلات ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بواو العطف لسر الجمع، أي نستعين بك مع القيام بالعبادة، لا مع إهمال المقام الأول، وفيها سر الإخلاص للتصريح بلفظة إياك نستعين، أي لا نستعين بسواك قطعا، وسر الرجاء الجازم لأن السؤال غير متردد، وسر الإقرار بالعجز من العبد عن القيام بحق الرب، فإنه لا يستعين إلا من ظهر عجزه فتبين له حزما، وسر الأدب فيما سيأتي من الدعاء، فإنه لم ينطق بطلب لشيء إلا بعد ما استعان واستنصر، والتجأ وتضرع، وصرح بالعبودية وأظهر الاستكانة، وفيه[٢٧]. وتفسير المحقق الخليلي يتوافق مع ما ذهب إليه ابن تيمية حيث قال إن: هاتين الكلمتين تجمعان معاني الكتب المنزلة من السماء[٢٨]. فهي عماد السورة، وإليها يرجع مضمون السورة كلها. إذ أنها واردة لغرض عظيم وهو تقرير استحقاقه تعالى واختصاصه بالعبودية والاستعانة.

ونخلص مما سبق أن المحقق الخليلي راعى السياق اللغوي للآيات وفي الوقت ذاته سلك مسلك التفسير الإشاري في تفسير المقطع الأول من سورة الفاتحة كالآتي:

١.السياق اللغوي الذي اعتمد عليه المحقق الخليلي في تفسير القسم الأول من الفاتحة

[٢٧] سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٨٥.

[٢٨] محمد السيد جليند، **دقائق التفسير الجامع للإمام ابن تيمية**، (مكة المكرمة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ، ط١، ١٩٨٦م)، ج١،ص٢٢٦.

الآية	الروابط السياقية	نوع السياق
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	مقابلة مع آية سابقة	سياق سابق
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	مقابلة مع آية سابقة	سياق سابق
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	واو العطف	سياق الآية نفسها

وهذا من أثر السياق على الألفاظ في السورة فوجه الجمع بين الرحمن والرحيم. الجمع بينهما مناسب للسياق من جهة تحقيق اختصاصه تعالى بالكمال المطلق، بين الله تعالى هذه الصفة بكمالها وهي جمعه بين الوصف المتعلق بذاته، والفعل المتعلق بالمخلوقين، ولا يتحقق هذا الكمال إلا بهذا المعنى في اقتران الوصفين. والجمع بين الاسمين على هذا المعنى مناسب لما تضمنته السورة من تقسيمها إلى قسمين، قسم متعلق بالله، وقسم متعلق بالعبد. وأيضاً فإن ذلك مناسب لكون السورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابله[٢٩].

٢. مضمون اللطائف أو الأسرار التي استرشدها المحقق الخليلي من القسم الأول من الفاتحة.

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: وصف نفسه بالعبودية والاستكانة.
- ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: زيادة في الخضوع والاستنجاد بالمساعدة.
- بواو العطف لسر الجمع، أي نستعين بك مع القيام بالعبادة، لا مع إهمال المقام الأول: طلب العون مع الاستمرار في العبادة.
- سر الإخلاص للتصريح بلفظة إياك نستعين: التصريح بالاستعانة بالله وحده.
- سر الرجاء الجازم: الرجاء القوي والثقة.
- سر الإقرار بالعجز من العبد عن القيام بحق الرب
- سر الأدب في الدعاء: توجيه للانتباه للجزء المقبل من الآيات

[٢٩] انظر: ابن قيم الجوزية، **الضوء المنير على التفسير**، تحقيق: علي الحمد الصالحي، (الرياض: مؤسسة النور للطباعة، ط١، ١٩٩٤م)، ج١، ص١٣٤.

وفي حقيقة الأمر أن للتفسير الإشاري دور في السياق القرآني وهو إبراز بعض المعاني والحكم والدروس التي تتعلق بالموقف الذي نزلت فيه الآية أو بالغرض الذي ترمي إليه، وهذه المعاني قد تكون خفية عن الناظر المتعلق بالدلالة المباشرة للألفاظ، ولكنها تظهر لمن يتأمل ويتدبر القرآن بعمق وبصيرة وهذا النوع من التفسير يحتاج إلى معرفة باللغة والبلاغة والشريعة والتاريخ والسيرة، وإلى رصانة علمية ودينية[٣٠]، وإلى اتباع ضوابط محددة لتجنب الانحرافات والمبالغات.

من جهة أخرى، فإن من ضوابط التفسير الإشاري أن لا يخالف الظاهر المتواتر من القرآن والسنة، وأن لا يكون محمولاً على مذهب أو فرقة أو رأي معين، وأن لا يكون مبنيا على خواطر أو أحاسيس أو تجارب شخصية، وأن يكون مستندا إلى دليل شرعي أو لغوي أو عقلي[٣١]، و أن يكون التفسير الإشاري المستنبط متوافقا مع السياق والمقام والمقصد، وأن لا يكون مجرد تأويل أو تلميح لا يراد به إلا إثبات رأي.

المطلب الثالث: السياق القرآني في مقطع آيات طلب الهداية من سورة الفاتحة عند المحقق الخليلي

يقول المحقق الخليلي في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ : فألهمهم طريق الخلاص والإنقاذ باستعانة ثانية وهي طلب مجرد الهداية التي لا يقدر عليها إلا به، ولا ترجا إلا منه فقالوا: اهْدِنَا علما بأنه لا هادي إلا هو وبمنته ورحمته هداهم إلى الطريق الواضح، وهذا هو الطريق الذي يقودنا إلى الله، يبدأ بمعرفة الله والإيمان به كرب يخضع له العباد، ثم نتلقى منه رحمات متتابعة تجعلنا نشعر بتواضعنا وانكسارنا وخضوعنا وخشوعنا أمامه، فإذا فعلنا ذلك نرى منه عظمة وجلالة وقدرة تدفعنا إلى الطلب منه بخضوع، وهذا الطريق لا يمكن أن نعرفه بأنفسنا، بل نحتاج إلى نور من الله يبين لنا ما هو خير لنا. هذا الطريق هو طريق الحق الذي لا يمكن أن نفهمه بعقولنا فقط، بل نحتاج إلى توفيق من الله يفتح لنا عيون قلوبنا. فإذا فتح الله لنا عيون قلوبنا، سنرى الحق كما هو، ولو كان دقيقًا جدًا، مثل سيف رفيع أو شعرة رقيقة[٣٢]

وعليه فإن المحقق في تفسيره لآية طلب الهداية للصراط المستقيم يربطها بسباق الآية حيث الاستعانة الأولى في قوله إياك نستعين ويبرز أهمية وشرف هذا الطلب، ويوضح أنه لا يمكن للإنسان أن يصل إلى صراط

---

[٣٠] انظر: هادي نور توفيق، **المدخل في علوم القرآن**، (أندونيسيا: الجامعة المحمدية مالانج، ط١، ٢٠٢٢م)، ص٢٤٧.

[٣١] انظر: مساعد بن سليمان الطيار، **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**، (الرياض: مركز التفسير للدراسات القرآنية، ط١، ٢٠٢٠م)، ج٢، ص٢٠٤.

[٣٢] انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٨٨.

الله المستقيم إلا بفضل الله وإستعانته به. وإلى هذا المعنى ذهب ابن القيم في قال ابن القيم : لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم من أجل المطالب لنيل بها أشرف المواهب علم الله تعالى عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يدي الدعاء حمده سبحانه وتعالى، والثناء عليه، وتمجيده[٣٣]

مقامات أنعمت عليهم:

يرى المحقق الخليلي أن سلوك الإنسان وتدرجه في العمل بأوامر الله تعالى هو يجعله أكثر قربًا من رضاه. فالعبادة والطاعة لله تكون في ثلاث مقامات:

١. **الإسلام:** يُفهم من قوله تعالى ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ وَآمَنَّا . قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أسلمنا**﴾ [الحجرات: ١٤] أن الإسلام هو القيام بالأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة والصيام والحج، مع فعل المأمورات واجتناب المحظورات من يفعل هذه الأركان فقط يُطلق عليه اسم مسلم.

٢. **الإيمان** إلى جانب أركان الإسلام، يجب على المؤمن أن يؤمن بقلبه بالله تعالى وبرسوله، وأن يكون مستشعرًا لحضور الله في حياته هذا هو مقام الإيمان

٣. **الإحسان:** هذه هي المرتبة الأعلى هذا المقام يشير إلى مرحلة تواصل مستمر مع الله، كأنه يراه ، والتزام المؤمن بفضائل الخير والإحسان إلى ناسه سواءً في كلامه أو علاقاته. إذا كان المؤمن يتحلى بهذه المروءات، فإن ذلك يجعله قريبا من رضا الله[٣٤]. ومقام الإحسان هذا درجات أولها درجة الحب واستشهد لهذه الدرجة بالحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»[٣٥]، ثم درجة التمكين ثم الاستغراق.

---

[٣٣] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ابن قيم، **تهذيب مدارج السالكين**، تحقيق: عبد المنعم العزي، (مصر: دار النشر للجامعات، ط١، ٢٠١٠م)، ص٢٦.

[٣٤] انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٩١.

[٣٥] تتمة الحديث : (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)، والحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وفي الباب عن ميمونة وأبي أمامه وأنس وعائشة رضي الله عنهم. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب قول النبي ﷺ ألا بعثت أنا والساعة كهاتين (٥/ ٣٣٨٤ ، رقم ٦١٣٨)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى (٤/٢٠٦١، رقم ٢٦٧٥)، والإمام أحمد في مسنده (٦/٢٥٦، رقم ٢٦٢٣٦) ، وابن حبان في صحيحه كتاب البر والإحسان باب ما جاء في الطاعات وثوابها (٢/٥٨) ، رقم ٣٤٧.

مع أن تفسير المحقق هنا إشاري إلا أنه استخدم روابط سياقية داخلية وخارجية للاستدلال على قوله، منها:

١. ربط الآية القرآنية بآية أخرى في نفس الموضوع من باب تفسير القرآن بالقرآن حينما تحدث عن مقام الإسلام ، ثم استشهاده في نفس المقام بحديث أركان الإسلام وهذا سياق خارجي.

٢. ومن ضمن استشهاده بالسياق الخارجي حديث الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك»[٣٦] ، ثم بالحديث القدسي لبيان درجة الحب التي هي فرع من مقام الإحسان.

كما أن الآية ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيْهِمْ﴾ أيضًا تعني أنه يشمل فئات مختلفة من الأشخاص، مثل النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين. وكل من هذه الفئات تسلك صراطًا مختلفًا، وفقًا لمرتبتهم ،ودرجة إيمانهم ،وإحسانهم.

التحليل السياقي:

ومن أنواع السياق التي استخدمها المحقق الخليلي في هذه الآية أيضا اللفظة القرآنية وأثرها على السياق القرآني، حيث بين أثر لفظتي أنعمت وعليهم على سياق الآية:

أما بالنسبة للتعبير ﴿أَنْعَمْتَ﴾، فهذا يشير إلى نعمة الله وفضله على هؤلاء الأشخاص. النعمة تأتي من الله من خلال تطهير وتهذيب العبد. والآية تدل على أن هذه النعمة لا يمكن للإنسان فهمها تمامًا بالكلمات، بل تُدرك عن طريق الروح والقلب، وقد يكون بعض الأشخاص محظوظين بالشعور بها بشكل خاص.

يقول المحقق الخليلي موضحاً أثر اللفظ على السياق أتى بلفظة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مبالغة في شمول النعمة لهم، فكأنها قد أطبقت عليهم من الجوانب كلها، لأن الاستعلاء على الشيء تمكن منه، وفيه إشارة لطيفة إلا أنهم مع وصول هذه الدرجة لا سبيل عليهم لشيء لأن نعمته محيطة بهم متمكنة منهم فهم في ظلها يسرحون، وفي كنفها يمسون ويصبحون، فتبارك الله رب العالمين[٣٧].

. استشهد المحقق الخليلي بآثار الصحابة، لتوضيح المفاهيم التي يتحدث عنها، ومن ذلك القصة التي أوردها عن علي رضي الله عنه مع السائل في سياق بيان مقامات الذين أنعم الله عليهم وتضمنت:

---

[٣٦] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول إن الله عنده علم الساعة رقم ٤٧٧٧ ، ومسلم في كتاب الإيمان باب الإيمان ما هو وبيان خصاله رقم ٩٧.

[٣٧] انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٩٧.

١. الحوار بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسائل:

تناولت القصة حوارًا بين الإمام علي بن أبي طالب وشخص يسأله عن سر القدر. يسأله الشخص إن شاء الله للأشياء حسب مشيئته أم حسب مشيئة الإنسان، وكذلك عن رزق الإنسان. يقوم الإمام بالإجابة على هذه الأسئلة وتوضيح الفهم الصحيح للقدر والمشيئة[٣٨].

٢. معنى لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: يشرح الإمام علي كرم الله وجهه معنى هذه العبارة، حيث إنها تعبر عن الاعتماد على الله وبالله في كل أمور الحياة، سواءً للابتعاد عن معصية الله أو للالتزام بطاعته، حيث تشير العبارة إلى أن الإنسان بحاجة إلى عصمة الله ليتجنب الخطأ وتوفيق الله ليكون مطيعًا له.

٣. السكينة وثلج اليقين: يتحدث الإمام عن حالة السكينة والثقة العميقة في الإيمان، وكيف أن الإيمان القوي يقوي القلب ويزيل الشكوك. ويتساءل إن كانت هذه الحالة قد وصلت إلى السائل، وبالإيجاب يشجعه على تحية أخاه الإنسان ودعوته للإسلام.

فثلج اليقين هو تعبير يستخدم في اللغة العربية للإشارة إلى درجة عالية من اليقين والتصديق. يعبر عن الثقة والإيمان القوي بالأمور والمعتقدات دون أدنى شك في السياق الديني، يُستخدم هذا التعبير لوصف الإيمان القوي والثابت بالله والأمور الروحية والدينية بشكل عام. يمكن تصويره كأنه جليد اليقين، أي أنه قوي وبارد كالثلج، مما يعني أنه لا يمكن أن يتزعزع بسهولة.

وخلاصة القول إن المحقق سعيد بن خلفان في تفسيره لسورة الفاتحة اعتنى بجانب الدلالة السياقية للآيات مقترنا بالتفسير الإشاري، ويظهر ذلك جليا في توظيفه أنواع السياق المختلفة مثل تركيزه على السياق الكلي لسورة الفاتحة ومحورها، بما في ذلك موضوعها ومكانتها في القرآن، ومن ثم يركز على السياق القرآني في مقطع آيات الربوبية وكيف يظهر مفهوم ربوبية الله فيها. كما أبرز المحقق الخليلي أيضًا السياق القرآني في

---

[٣٨] انظر : سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٩٢. وانظر أيضا: محمد السيد تيجاني، **الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٥. وذلك لما سئل علي بن أبي طالب عن سر القدر قال للسائل: سر خفي فلا تنظره قال: بينه لي. قال: خلقك كما تشاء أم كما يشاء؟ قال: كما يشاء، قال: وكل الأشياء قسمها عليه. قال: زدني بيانا. قال: رزقك كما تشاء أم كما يشاء. قال: كما يشاء. قال: وكل الأشياء قسمها عليه. قال: زدني بيانا. قال: إن جعلت مشيئتك مع مشيئته فقد أشركته، وليس لله شريك وإن قلت دون مشيئته فقد غالبته. ثم قال: أتقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟ قال: نعم. أتدري ما معناها ؟ قال معناها لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله. ثم قال أوقعت على قلبك السكينة وثلج اليقين ؟ قال : نعم. قال: فصافحوا أخاكم فقد أسلم إسلاما جديدا.

مقطع آيات الهداية وكيف يتجلى طلب الصراط المستقيم فيه. وأشار المحقق الخليلي كذلك إلى أثر اللفظة القرآنية على سياق التفسير في لفظتي أنعمت وعليهم، واستعرض أحاديث نبوية وآثار الصحابة كجزء من استدلاله الخارجي بما يؤيد قوله. وهكذا، تظهر براعة المحقق الخليلي في الجمع بين السياق اللغوي بأنواعه وبين اظهار التفسير التأويلي والإشاري بشكل متزن بدون شطط أو انحراف في تفسير سورة الفاتحة.

نتائج البحث: خلص البحث إلى النتائج الآتية:

١. دلالة السياق هي معنى يتولد من ترتيب الكلام، أو توليه، أو اتصاله، أو انفصاله، وهو ما لا يتحقق من مجرد معاني الألفاظ المستعملة.

٢. أولى المحقق الخليلي اهتمامًا كبيرًا لدلالة السياق في تفسير سورة الفاتحة، ربط بين آيات الربوبية وآية طلب الهداية، وجعل آية طلب الهداية مرتبطة بها ارتباطا وثيقا ، واستخرج مما ترشد إليه الآيات من معاني إيمانية وفق ظلال الألفاظ القرآنية بها.

٣. سورة الفاتحة هي أول سورة في المصحف ، وهي أشرف السور، وأجلها، وأعظمها، وأكثرها فضلاً، تحوي مضامين إيمانية عظيمة، منها:

. التوحيد: فهي تبدأ بالحمد لله رب العالمين، وتنتهي بالاستغاثة به وحده للهداية إلى الصراط المستقيم. وفيها تصريح بأن العبادة والاستعانة لله وحده، وأنه هو الرحمن الرحيم مالك يوم الدين.

– الإخلاص: فهي تعلم العبد أن يخلص دينه لله تعالى، وأن يسأله هداية الصراط المستقيم، وأن يتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين.

– الإيمان بالآخرة: فهي تذكر بأن الله تعالى هو مالك يوم الدين، وأن في ذلك يومًا عظيمًا يجزى فيه كل نفس بما كسبت، وأن لفظ الدين يدل على العدل والجزاء، فهو يوم يجازي الله فيه عباده بحسب أعمالهم وأقوالهم، ولا يظلم أحداً شيئاً.

٤. استشهد المحقق الخليلي في تفسيره أيضا بالسياق الخارجي، فذكر الأحاديث النبوية الصحيحة التي تناسب معنى الآيات، كما استشهد بآثار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

التوصيات العملية للبحث:

١. يوصي الباحثان طلاب الدراسات العليا بالتفكير في تكامل الآيات القرآنية، وكيف يمكن ربطها ببعضها البعض، واللجوء إلى منهجية المحقق الخليلي كمنهجية ملهمة ومحفزة لابتكار مناهج جديدة في تفسير

القرآن اعتماداً على السياق القرآني، فهذه الخطوة تساهم في فهم الرسالة القرآنية ككل وتداخل المفاهيم والمعاني.

٢. نوصي جميع الباحثين في العلوم الإسلامية وخاصة المتخصصين في علوم القرآن الكريم، استكمال مسيرة البحث في تراث المحقق الخليلي في تفسير آيات الله تعالى وتفسير سور القرآن على غرار تفسير سورة الفاتحة وجمع ما تفرق منه في كتبه المتنوعة، وتقصي منهجه في استنباط المعاني من الألفاظ.

٣. نوصي الباحثين إلى الالتفات إلى مناهج علماء التفسير المختلفة في تفسير كلام رب العالمين والجهود التي بذلوها في إظهار ما اشتملت عليه الآيات القرآنية من علوم وفوائد، وذلك لزيادة الإدراك في كيفية التعامل مع آيات الذكر الحكيم.

٤. نوصي الباحثين والمفسرين الاهتمام بدراسة وتفسير القرآن الكريم بناءً على السياق القرآني والسياق الخارجي الذي يشمل الأحاديث النبوية وآثار الصحابة، إذ ذلك يساعد في فهم أعمق للمعاني والمفاهيم القرآنية.

٥. من الوصايا العملية لهذا البحث حث الباحثين على أن يأخذوا بعين الاعتبار الأحاديث النبوية الصحيحة وآثار الصحابة في تفسير القرآن وربط ذلك بالاستنباطات الجديد الخاصة بالباحثين والمفكرين والمفسرين الجدد، إذ ذلك يساعد في توضيح المفاهيم والتفسيرات المتعلقة بالآيات القرآنية، ويساهم كذلك في الحفاظ على الأصالة والدقة في البحث والتفسير، كما يمكن أن يساهم في تطوير البحوث وزيادة الفهم المشترك للقرآن الكريم.

المصادر والمراجع

سليمان بن سعيد بن حماد العبري، **سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه في علوم القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير غير منشورة في كلية أصول الدين السودان: جامعة أم درمان الإسلامية (٢٠١٠م).

محمد بن عبد الله الربيعة، **أثر السياق القرآني في التفسير دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة**، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، رسالة دكتوراة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

سعد محمد الشهراني، **السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة**، (الرياض: جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٣٦هـ).

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون**، (سوريا: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٣، ص١١٧

محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)

زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، **مختار الصحاح**، (بيروت: المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)

محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق اليازجي وجماعة من اللغويين، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)

عبد الرحمن عبد الله المطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ٢٠٠م)

نجم الدين قادر كريم الزنكي، **نظرية السياق**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)

محمد عباس الباز، **الحذف البلاغي في الرسم القرآني**، (بيروت: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢١م)

المثنى عبد الفتاح محمود، **نظرية السياقي القرآني**، (عمان: دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٨م)

أيوب آدم رسول البرزنجي ، **أقوال الأكثرية في التفسير بالمأثور في القرنين الرابع والخامس هجري**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٩م)

مشعان سعود العيساوي، **التفسير الإشاري ماهيته وضوابطه**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٣م)

شمس الدين محمد بن علي بن أحمد/الداوودي، **طبقات المفسرين**، تحقيق: عبد السلام عبد المعين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م)

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٧م)

سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، تحقيق: حارث بن شامس البطاشي، (القاهرة: دار الهلال العالمية، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)

سمر محمد حاووط، **أول الغيث في تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة**، راجعه: أحمد سليمان الرقب، (الأردن: دار المأمون للنشر، ط١، ٢٠٠٨م)

عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨م)

محمد السيد جليند، **دقائق التفسير الجامع للإمام ابن تيمية**، (مكة المكرمة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ، ط١، ١٩٨٦م)

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 11.06.2023 | Accepted: 11.12.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10360643 0000-0003-3652-1775

استرَاتِيجِيّةٌ لِتَنْمِيَة أُصُوْلِ الوَقْفِ:
دراسة في شِرْكَةِ لا تَنْسَ التَّعَاوُنِيّة بمعهد دَارِ السَّلاَمِ كونتور للتّرْبِيةِ الإسْلاَمِيّةِ الحَدِيثةِ

A Strategy For Developing Endowment Assets: Study in The Don't Forget Cooperative Company At The Darussalam Gontour Institute For Modern Islamic Education

خرون زهرو* & مليونو جمال & سوراجي بادي*** & شمسوري شمسوري****

Khurun'in Zahro' & Mulyono Jamal & Suraji Badi' & Syamsuri Syamsuri

ملخص

إن استدامة معهد دار السلام كونتور للتربية الإسلامية الحديثة لا يَخْلُوْ عن الدعم المالي الكبير. لأجل تنمية أصول الوقف لا يعتمد معهد دار السلام كونتور للتربية الإسلامية الحديثة اعتمد على المساعدة من أطراف خارجية، ولكن تمويلها يأتي من تنمية أصول الوقف. ويهدف هذا البحث إلى تحديد استراتيجية لتنمية أصول الوقف بمعهد دار السلام كونتور للتربية الإسلامية الحديثة من خلال شركة لا تنس التعاونية. فَيستخدم هذا البحث مَنهجًا مَيدَانيًّا مع المنهج الوَصْفِيْ هي أن استراتيجية لتنمية أصول الوقف من خلال شركة لا تنس التعاونية على سبيل الإدارة الذاتية بناظر الوقف. ولو كان ليس لهم كفاءة شاملة لتنمية الوقف، بل بالجُهود والإخلاص مِن مسؤول وحدة الأعمال فَتُسَاهَمُ شركة لا تَنْسَ التعاونية مساهمةً

* Dr. Universitas Darussalam Gontor. Endonesia. ORCID: 0000-0003-3652-1775 E-Mail: khuruninzahro@unida.gontor.ac.id

** Dr. Universitas Darussalam Gontor. Endonesia. ORCID: 0000-0002-3644-9024 E-Mail: mulyonojamal@unida.gontor.ac.id

*** Dr. Universitas Darussalam Gontor. Endonesia. E-Mail: surajibadi@gmail.com

**** Dr. Universitas Darussalam Gontor. Endonesia. ORCID: 0000-0001-6741-7765 E-Mail: syamsuri@unida.gontor.ac.id

كبيرةً لتنمية أصول الوقف. والرهان ذلك بوجود ٣٤ وحدة الأعمال، تتكون من ٤ أنواع، وهي التجارة وَصَلتْ على ١٤ وحدة الأعمال، والإنتاج وصل على ٦ وحدات الأعمال، والخدمة التّجارية وَصَلتْ على ١٢ وحدة الأعمال، والفلاحة وصلت على وحدتين.

الكلمات الرئيسية: تنمية أصول الوَقف، شِركة لا تَنْس التّعاونيّة، معهد دار السلام كونتور للتربية الإسلامية الحديثة.

Abstratc: The sustainability of Pondok Modern Darussalam Gontor is reliant on substantial financial support. In the context of developing waqf assets, Pondok Modern Darussalam Gontor does not depend on assistance from external parties, but the funding comes from developing waqf assets. This study aims to determine the strategy for developing waqf assets at Pondok Modern Darussalam Gontor through the La-Tansa Kopontren. This study employs a qualitative method with a descriptive approach. The results of this study indicate that Kopontren La-Tansa's waqf asset development strategy is carried out with an independent system through Nazhir waqf. Even though the waqf manager does not have the scientific discipline in accordance with the field of waqf development in a professional manner, due to their sincerity and sincerity in managing business units, the La-Tansa Kopontren can contribute to the development of waqf assets in Gontor. Kopontren La-Tansa has succeeded in producing 34 business, which are grouped into 4 types of business, namely trading with 14 business units, Manufacturing with 6 business units, Services with 12 business units, and Fishery and Animal Husbandry with 2 business units.

Keywords: Development of Waqf Assets, La-Tansa Kopontren, Pondok Modern Darussalam Gontor.

المقدمة

يكون الوقف في الإسلام وسيلةً من وَسائل علاج مشكلة الفَقر في المجتمع، فيكون الوقف صدقةً جاريةً لا ينقطع دورُ ثوابها على الواقِف، ويَدور الخيرُ الوافرُ على المحتاجين والمستحقّين.[١] أهمية غرس إرادة الوقف عند المجتمع لزيادة محبة العبادة، وبذلك فإنّ أوّل شكل الوقف الذي عَرفه الناس هو الوقف الديني. وكان هذا الوقف عبادة، كوقف الأراضي والمباني لممارسة العبادات والطقوس والنُّسُك الَّتِي يَتَعَبَّد

[١] أحمد محمد عبد العظيم الجمل، دور نظام الوقف الإسلامي في التنميته الاقتصادية المعاصرة (القاهرة: دارالسلام، ٢٠٠٧)، ١٥٠.

النَّاسُ بها.[٢] ويكون الوقف صدقة جارية تحبها الناس حتى يرضوك الناس على تفويض أموالهم لمصلحة المجتمع.

ولأجل دوام الثواب والخير، وَقفَ مؤسّسُوا معهد دار السلام كونتور الحديث أموالهم، منذ ١٢ أكتوبر ١٩٥٨ إلى المسلمين، بمساحة الأراضي الجافّة على قدر ١،٧ هكتار، والأراضي الرطبة بقدر ١٦،٨ هكتار.[٣] ولأجل استمرار الوقف وصيانته وتنميته، كلّف ناظر الوقف مؤسسة صيانة وتنمية الوقف بالمعهد العصري كونتور.

أسّسَت مؤسسة صيانة و تنمية الوقف بالمعهد العصري دار السلام كونتور،[٤] في ٨ مارس ١٩٥٩ في بونوروكو، وظيفتها هي صيانة أموال الوقف، واستكمالها وزيادتها بجميع ممتلكات الوقف المنقولة مثل السَيَّارة وغير المنقولة مثل الأراضي والمباني، للحصول على أهداف المجلس الأَعْلى للمعهد دار السلام كونتور. يبدو نجاح تنمية الوقف في معهد دار السلام كونتور بكثرة وحدات الأعمال التجارية في مؤسسة دار السلام كونتور، تضم أقسام وحدات الأعمال وهي:

١. قسم الأراضي الذي له وظيفة على تنظيم شراء الأرض أو تنظيم زيادة أرض الوقف إلى أن تتمّ الشّهادة من موظّف الأراضي.
٢. قسم الزّراعة الّذى له وظيفة على اسْتغلال أرض الوقف في مؤسسة المعهد العصري دار السلام كونتور بطريقة الإجارة أو المزارعة.
٣. قسم مزارع زيت النخيل في سومطرة.
٤. شركة ذات مسؤولية محدودة " استافيت دوي ماسا" الذي يدير محطة الوقود العامة في وونوسوبو.
٥. شركة لاتنس التعاونية التي تدير وحدة الأعمال التى أقامَتْها مؤسسة المعهد العصري دار السلام .

ومن وحدة الأعمال المذكورة، كانت شركة لاتنس التعاونية لها وظائف كثيرة في تدبير وحدات الأعمال، وكان عدد وحدات الأعمال في سنة ٢٠١٩ بلغ إلي ٣٤ قسما. وحصلت تنمية أرض الوقف في مؤسسة معهد دار السلام كونتور ١,٥٤٧,٦ هكتار. كثرة أقسام وحدة الأعمال التّجارية في شركة لاتنس

---

[٢]قحف، الوقف الإسلامي تطوره إدارته وتنميته، ١٨.

[3]Imam Zarkasyi Ahmad Sahal ،Zainudin Fanani ،"Piagam Wakaf Pondok Modern Gontor Ponorogo" (Ponorogo ،1958).

[4]Yayasan Pemeliharan&PerluasanWakafPondok Modern (YPPWPM)

معناه: مؤسسة صيانة و تنمية الوقف بالمعهد العصري كونتور، فيما يلى في هذا البحث بذكر هذا الإسم بمؤسسة دار السلام كونتور

التّعاونية وكثرة تنمية أرض الوقف في مؤسسة معهد دار السلام كونتور، تدلّ على أعْظَم تقدُّم تنمية الوقف فيها .

وكانت ترقية زيادة مجموعة أرض الوقف وترقية مجموعة وحدة الأعمال فيها ترقية كبيرة، وظنّ الناس أن مدير الوقف فيها من المدير الخبير بالعلوم التجارية، ولديه مهارة خاصة وخبرة في تنمية الوقف، ولكنّ مدير وحدة الأعمال في معهد دار السلام كونتور هو مدرّس مُتخرّج من كلية المعلمين الإسلامية فليس له مهارة خاصة في تنمية الوقف فليس له مهارة في علوم التجارة.

فإنّ الشّركة التعاونية قد أَسْهَمَتْ في دعم اقتصادية المعهد. ومن بعض مساعدة الشركة التعاونية هي: تكون شركة التعاونية محركة لاقتصادية المعهد، وتكون الشركة التعاونية وسيلة لرعاية رجال الأعمال من الطلاب والمعلمين، وتكون الشركة التعاونية قادرة على تحسين اقتصاد المجتمع حول المعهد.[٥]

وحدات الأعمال في شركة لا تنس التعاونية، منها: مصنع الشاي،[٦] ومصنع الثلج،[٧] ومطحنة الأرز،[٨] ومطبعة دار السلام،[٩] ومصنع لا تنس لمياه الشرب،[١٠] مَخْبَزُ لا تنس،[١١] ومصنع لا تنس للملابس الجاهزة،[١٢] مكتب الاتصالات،[١٣] ودار السلام للضيافة،[١٤] ومكتب المواصلات،[١٥] ودُكَّانُ لا تَنْسَ للأدوات الرياضية[١٦] والصيدليّة[١٧] وشركة رفاهية الأسرة[١٨]وشركة أعمال الأسرة[١٩]ودكان لا تنس لبيع

[5] Syamsuri ،"MODEL PENGEMBANGAN EKONOMI BERDIKARI DI PESANTREN GONTOR BERBASIS PENGELOLAAN KOPONTREN" 4 ،no. 1 (2018): 2.

[6] PabrikTeh

[7] Pabrik Es

[8] PenggilinganPadi

[9] Percetakan Darussalam

[10] Pabrik Air Minum La-Tansa

[11] Pabrik Roti La-Tansa

[12] Konveksi La-Tansa

[13] Wartel

[14] Wisma Darussalam (Wisda)

[15] La-tansa Transport

[16] La-Tansa Sport

[17] Apotik

[18] Usaha KesejahteraanKeluarga (UKK)

[19] Koperasi Usaha Keluarga (KUK)

الكتب[٢٠] ومطعم لاتنس[٢١] وقسم تصوير المستندات[٢٢] ومغسل الثياب[٢٣] ودار السلام لمركز موزع المنتجات الاستهلاكية[٢٤] ومركز بيع الخضروات[٢٥] وغير ذلك[٢٦] لكثرة وحدة الأعمال في شركة لاتنس التعاونية سيبحث الباحث ثلاث وحدات الأعمال وهي مصنع مياه دار السلام للشرب الذى تنتشر حاصلة إنتاجه إلى مناطق كثيرة في جزيرة جاوا خصوصا وغيرها ودار السلام للضيافة من إحدى إنتاج الخدمة ومطحنة الأرز هي أول وحدة الأعمال استفادتها لرفاهية الأسرة في معهد دار السلام كونتور.

نظرية تنمية أصول الوقف

مفهوم تنمية الوقف

التنمية هو التّغيِيرُ المتعمد لتحقيق أهداف معينة، وعلى هذا فإنّه تغيير على أساس علمي مَوضوعي ودراسة لكل العوامل المؤثرة والمتأثرة به، فالتّنمية يستلزم التغيير الواعي، بينما التّغيير قد يُؤدي أَوْ لَا إلى التنمية، كما أن التغيير قد يحدث بإرادة الإنسان، وقد يحدث دون إرادته، وذلك عندما تكون العوامل المؤدية إليه خارجة عن إرادة الإنسان وليس له دخل في إحداثها، أما التنمية فلا يمكن أن يحدث إلا بإرادة الإنسان ورغبته، والتغيير قد يكون جُزئيّا يَنْصَبّ على جانبٍ معينٍ أو مَظْهَرٍ خاصٍّ .

حين تناول الفقهاء والعلماء مشروعية الوقف وأحكامهم فإنّهم لم يفرّقوا بين وقف الإنسان على ذريته وقرابته بين وقفه من جهة الخير والبِرّ عامة على إعتبار إن الوقف هو نوع من أنواع الصدقات التي حَثّ الشارع على فعلها ندب القيام بها، وأنّ الإنسان يتقرّب بها إلى ربّه سبحانه وتعالى وذلك بالإنفاق في وجود الخير و البر .

تنمية الوقف هي إضافة وقف جديد إلى مال وقف سابق، ومن الواضح الجلي أن إضافة مال وقفي جديد إلى وقف قائم موجود لتوسيعه على إنتاج الخدمات والمنافع والسِّلَع التي يهدف إليها الوقف الأول أنما هو تنمية للوقف بزيادة رأسماله، وشأنه في ذلك شأن الشركات التي تزيد رأسمالها في عالمنا المعاصر. إِذَنْ، تنمية الأوقاف بالأنشطة أو الأعمال المنظمة المخطوطة بدراسة التغيير المتعمد ودراسة لكل العوامل المؤثرة والمتأثرة به، مع خضوع بمبادئ الوقف، لتحقيق الأهداف المعينة لسلامة أموال الأوقاف وحسنها وإضافة

[20] TokoBuku La-Tansa
[21] RumahMakan La-Tansa
[22]Poto Copy
[23] Laundry
[24] Darussalam Distributor Center (DDC)
[25] PerkulaanSayur
[26] Wardun ،*Wardun (Warta Dunia Pondok Modern Darussalam Gontor)* ،46.

قيمتها، وكذلك لأجل رفاهية الناس والاستفادة منهم من خلال تحقيق الأنشطة المنتجة، لممتلكات الوقف ولحصول فوائد الاقتصادية. حتى يمكن استفادة أموال الوقف لمصلحة أموال الوقف ومصلحة المجتمع ومصلحة الموقوف عليه.

أجمعت الأمة الإسلامية من لدن صحابة رسول الله صلى الله علية وسلم حتى يومنا هذا على مشروعية الوقف، ونفذته عمليا بوقف العقارات والأراضي والآبار وبوقف الأموال غير المنقولة كالأسلحة والكتب والمخطوطات والقدور والمراجل ولا يزال المسلمون يتقربون إلى الله عز وجل بإقامة المساجد المدارس ودُور القرآن الكريم ودور الحديث الشريف ودور الأيتام والمستشفيات والعبادات الطيبة وهي في تزايد مستمرة بحمد الله وتوفيقه، وإن وزارات الأوقاف والأحباس في العالم الإسلامي تؤدي رسالتها السامية في حماية الوقف وتنميته وذلك للدلالة على دَيْمُوْمَةِ الوقف واستمراريته، وأنه قائم مند شأنه مع التبرّع والتطوّع حسبه لله عز وجل .

طرق تنمية أموال الوقف

قبل معرفة عن إستراتيجية لتنمية أصول الوقف بالمعهد الحديث فلابد من معرفة طرق تنمية أموال الوقف، وهي ما يأتي :

١. الاستثمار، وهو العمل على بقاءِ أصل الوقف وتنميته وزيادة موارده. جميع ما سبق يجعل وقف كل من الأسهُم، والحِصص والوحدات في الصناديق الاستثمارية، والودائع الاستثمارية في البنوك الإسلامية من أهم الأشكال الحديثة للوقف، لأنها تعبّر عن حقيقة المضمون الاقتصادي للوقف الإسلامي، كما مَارَسَه الصّحابة الكرام من وقف بئر رومة من عثمان، ووقف الأرض بستان في خيبر من قبل عمر رضي الله عنهما، وكلاهما كان في العصر النبوي الشريف، ثم وقف الصحابة الأراضي والأشجار والمباني .

وينقسم أدوات الاستثمار إلى قسمين، وهما أدوات الاستثمار قصيرة الأجل مثل المرابَحة وبيع السَّلَم، والإجارة التّمليكية، والاستصناع، وأدوات الاستثمار طويلة الأجل مثل المضاربة، والمشاركة بنوعها والإجارة التشغيلية. ثم يحكم اختيار صِيغ استثمار أموال الوقف على الطبيعة الخاصة للوقف في المجالات الآتية :

١. صيغ المشاركة، مثل المشاركة الثابتة المستمرّة، والمشاركة المتناقصة المنتهية بالتَّمليك.
٢. صيغ الإجارة، مثل الإجارة التشغيلية لأجل والإجارة المنتهية بالتمليك.
٣. صيغ المساهمة في رؤوس الأموال بهدف تحقيق عائد، مثل المساهمة في رؤوس أموال بعض الشركات مثل شراء الأسهم.

٤. صيغ تَلاؤُم النّشاط الزّراعي، مثل المزارعة أو المساقاة.

٥. صيغ الحِسابات الاستثمارية لدى المؤسسة المالية الإسلامية، مثل مُضاربة مُطْلقة صيغ الاستصناع لأصول ثابتة لتقديم الخدمات والمنافع، مثل استصناع عقارات لأجل الإجارة.

إذَنْ، قيام الاستثمار على أساس الشريعة الذي يساعد خير البلاد والعباد بتحديد القاعدة بين الحلال والحرام التي يحدّدها الإسلام وما يترتب على ما يأتي:

١. توجيه الاستثمار وتركيزه في دائرة إنتاج السِّلع والخدمات التي تشبع الحاجات السوية للإنسان المسلم.

٢. تحري أن يقع المنتج – سلعة كان أو خدمة – في دائرة الحلال.

٣. تحكيم مبدأ احتياجات المجتمع ومصلحة الجماعة قبل النظر إلى العائد الذي يعود على الفرد.[٢٧]

فهذا يجب أن يكون استثمار أصول الوقف في دائرة الحلال، وأن يكون من المراحل العملية الإنتاجية وأسباب الإنتاج. لاستثمار الوقف ضوابط شرعيّة لابد من مراعاتها: أن يكون استثمار الوقف مشروعًا، أن يكون مما يحقق المصلحة الراجحة، أن تكون صيغ استثمار الوقف مأمونة المخاطرة لا تذهب بأصول الوقف وأمواله، أن لا يكون البيع والشراء بغبن فاحش.[٢٨]

وإنّ صور استثمار الوقف تنقسم إلى ثلاث: **الصورة الأولى** : استثمار الوقف في صناديق الاستثمار عن طريق إنشاء هذه الصّناديق ابتداء لغرض محدّد، فالوعاء والأغراض و المصارف واحدة، وقد يكون الواقف واحدًا أو متعددًا. **الصورة الثانية**: استثمار الوقف في هذه الصناديق عن طريقة إنشائها كوعاء تجمع فيه الأوقاف لتستمر، وليصرف ريع كل واقف فيما حدد له من مصارف، فهو في هذه الصورة وعاء استثماري واحد، والواقِفون مُتَعَدِّدُون، والأغراض الوقفية متعددة كذلك. **الصورة الثالثة**: أن يتمّ استثمار الوقف في صناديق الاستثمار عن طريق مشاركة الوقف بفاضل رِيْعِهِ، أو ما خصص منه للاستثمار في هذه الصّناديق، وهو صورة من صور المضاربة في أموال الوقف.[٢٩]

---

[٢٧] عفانة، يسألونك عن المعاملات المالية المعاصرة، ص ٩٧.

[٢٨] المشيقح، الجامع للأحكام الوقف والهبات والوصايا، الجزء ٣ ص ١٤٦.

[٢٩] المشيقح، الجزء ٣ ص ١٤٩.

الإنتاج، وهو مجال الاستغلال الذي يُمارس الإنسان دوره فيه من خلال العمل للاستفادة ممّا أودع الله في أرضه وسمائه من رزق لسدّ حاجات الإنسان.[٣٠] ومفهوم الإنتاج في الإسلام بذل الجُهد الدائب في تَثمير موارد الثّروة المباحة، ومضاعفة الغلة من أجل رخاء المجتمع ودعم وجوده وقيمه العُليا. نظرًا من هنا إنّ الإنتاج صناعة شيء من شيء آخر ويعتمد على استخدام مجموعة من الأدوات والوسائل والآلات من أجل الوُصول إلى تحقيق الهَدف الرّئيسي منه. فإنّ إنتاج الوقف نوعان وهما إنتاج السّلعة، وإنتاج الخدمة . تبادل المنافع بين النّاس بعضهم بعضا فهم يحتاجون أرباب المال للعمل أو البيوت للسُّكْنى والدّواب والسّيارات للحمل، وكلّ شيء للانتفاع، وهذه الأعمال بعقد الإجارة. بتَجميع وتَحليل ما قَدّمه ابن خلدون من عَطاء اقتصاديّ يمكن الخلوص إلى أن مسألة عناصر الإنتاج لم تغرب عن باله، كما يمكن القول إنّه قد تعرف على ثلاثة عناصر للإنتاج وهي العمل والموارد الطبيعية ورأس المال. وفيها مراحل العمليّة الإنتاجيّة تحري أن تكون كلّ مراحل العمليّة الإنتاجيّة (تمويل – تصنيع – بيع – شراء) وأن تكون كل أسباب الإنتاج (أجور – نظام عمل) .

تنمية أصول الوقف في شركة لاتنس التعاونيّة بمعهد دار السلام كونتور

معهد دار السلام كونتور الحديث من أحد المعاهد لتعليم شريعة الإسلام، وقد وقف مؤسسو المعهد ما لديه من المعهد المسلمين، في ١٢ أكتوبر ١٩٥٨. إدارة أصول الوقف تحت مسؤولية مؤسسة معهد دار السلام كونتور بالقيام جميع الأمور التي كلّفها رئيس معهد دار السلام كونتور خصوصا في صيانة وتنمية أصول الوقف فيه. منذ تسليم أصول الوقف من مؤسسي معهد دار السلام للمسلمين، أصبحت أرض الوقف واسعة ومنتشرة في عدة الأماكن الكثيرة، وتكون أرض الوقف رأس المال لاستمرار سير برنامج المعهد. قام مسؤول مؤسسة دار السلام كونتور باستغلال أصول الوقف في معهد دار السلام بأمور كثيرة على سبيل الصيانة والتنمية.

وتقسيم أرض الوقف في معهد دار السلام إلى قسمين وهُما الأرض المنتجة وغير المنتجة. أمّا في الأرض المنتجة استخدمها في أعمال الزراعة، واستخدام الأرض غير المنتجة لبناء المباني لتربية الطلاب بمعهد دار السلام كونتور الحديث من نوع التربية والتعليمية في كلية المعلمين الإسلامية والتربية الاقتصادية في وحدات

[٣٠] جاسم سلطان, مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة حطوتك الأولى نحو فهم الاقتصاد (مكة المكرمة: مؤسسة أم القرى، ٢٠١٠), ١٦.

الأعمال بمؤسسة دار السلام كونتور.[٣١] وتقسيم الأعمال في مؤسسة معهد دار السلام كونتور إلى خمسة أقسام وهي كما يلي:

١. قسم الأراضي الذي له وظيفة على تنظيم شِراء الأرض أو تنظيم زيادة أرض الوقف إلى أن تتمّ الشّهادة من موظف الأراضي.
٢. قسم الزراعة الذى له وظيفة على اسْتغلال أرض الوقف في مؤسسة المعهد العصري دار السلام كونتور بطريقة الإجارة أو المزارعة.
٣. قسم مزارع زيت النخيل في سومطرة
٤. شركة ذات مسؤولية محدودة " استافيت دوي ماسا" الذي يدير محطة الوقود العامة في وونوسوبو.
٥. شركة لاتنس التعاونية التي تدير وحدة الأعمال التى أقامتها مؤسسة معهد دار السلام كونتور.[٣٢]

كثرة أقسام الأعمال في مؤسسة دار السلام كونتور لتنمية أصول الوقف، منها شركة لاتنس التعاونية، فهي لسد احتياجات جميع السكان فيه. فتَرقية أنْشِطة شركة لا تنس التعاونية لا تنحصر إلى سد حاجة سُكّان المعهد الداخلي بل تنتشر لسد احتياجات المجتمع حول المعهد. وجودها في المعهد لها فوائد كثيرة، ومن بعض فوائدها لمساعدة اقتصادية المعهد، وتربية كوادر المعهد على القيام عن الأنشطة التجاريّة في شركة لاتنس التعاونية، وكونها نموذجيّة لاقتصادية المجتمع حول المعهد.[٣٣] تَسير شركة لا تنس التعاونية في معهد دار السلام سيرًا جميلاً لقوة الشعور بالمسؤولية من كل فرد من سُكّان المعهد لترقية ولتنمية أصول الوقف فيها، ولتكون أصول الوقف أكثر منفعة وفائدة لجميع الناس.

كانت شركة لا تنس التعاونية لها وثيقة رسمية من حكومة اندونيسيا بتاريخ ٢٩يوليو ١٩٩٦.[٣٤]على الرغم أنّ بداية وحدة الأعمال في معهد دار السلام كونتور منذ عام ١٩٧٠ وهي مطحنة الأرز، لكن تمّ نشر قانونيتها في عام ١٩٩٦ بسبب حضور وزير شركة التعاونية إندونيسا السيد آدى ساسونو، الذي زار معهد دار السلام كونتور سيقدم المساعدة على المعهد لأنشطة البيع الرخيص في السوق للمواد الأساسية مثل الأرز، وجود المواد المبيعة في محلات لوجستيات لا يستطيع محلات لوجستيات أن يخرج الأرز إلا باسم

[31]Cahyo and Muqorobin, "Strategi Pengembangan Wakaf Berkelanjutan Sektor Pertanian Pada Yayasan Pemeliharaan Dan Perluasan Wakaf Pondok Modern (YPPWPM) Gontor Ponorogo."
[32]Cahyo and Muqorobin.
[33]Imam Shobari, "(Ketua Yayasan Pemeliharaan Dan Perluasan Wakaf Pondok Moden Gontor Di Pesantren Gontor Ponorogo), Dalam Interview Dengan Penulis 20 Pebruari 2021" (Interviu, n.d.).
[34]Shobari.

الشركة التعاونية، ولهذا السبب تم تسجيل شركة لا تنس التعاونية في حكومة إندونيسيا. كان البيع الرخيص للمواد الأساسية في السوق غير ناجح لكثرة أعمال مسؤول شركة لا تنس التعاونية في المعهد.[٣٥]

بهذه الخبرة، عادت الأعمال التجارية في شركة لاتنس التعاونية إلى العناصر التي لها علاقة مع أنشطة الطلاب. تنقسم وحدة الأعمال في شركة لا تنس التعاونية إلى خمس مجموعات رئيسية، وهي: الفلاحة والخدمة التجارية والتجارة والإنتاج وبيت المال والتمويل.[٣٦] بكثرة مصادر الأنشطة التجارية من وحدة الأعمال في شركة لا تنس التعاونية كون تنمية أصول الوقف فيها سريعة.

وأمّا إدارة وحدة الأعمال في شركة لا تنس التعاونية على أساس الإدارة الذاتية[٣٧] يشارك فيها المعلّمون والطلاّب في إدارة أنشطة الأعمال التجارية وإن لم يكن لهم الكفاءة في العلوم التجارية لتدريب أنشطة وحدة الأعمال ولكن أعمارهم تكون إضافة لكفاءتهم. مشاركتهم في أنشطة وحدة الأعمال على أساس الإخلاص والصدق والأمانة والمسؤولية والوفاء والتدريب. بكثرة وحدات الأعمال في شركة لا تنس التعاونية يكون تعليم الاعتماد على النفس سهلا، من جهة مكان التدريب ومراقبة أعمال الطلاب فيها والاستغلال على حاصلة وحدات الأعمال وغير ذلك.[٣٨] وحدة الأعمال تكون مكانًا لإخراج جميع القوّة الجسميّة والعقليّة والخلقيّة للطلاب بمشاركة أنشطتها.

بوجود الطلاب في معهد دار السلام كونتور يكون سير إدارة الأنشطة الاقتصادية فيه سيرا جميلا سريعا من بداية الإنتاج إلى نهاية وصولها إلى المستهلكين. وحدة الأعمال في شركة لا تنس التعاونية لها دور هام في توفير الاحتياجات اليومية لسُكان المعهد.[٣٩] المحافظة على سدّ حاجة سكان المعهد من وظيفة مسؤول وحدة الأعمال في شركة لاتنس التعاونية، والنّظام على وُجوب شراء حاجتهم في وحدات الأعمال بشركة لا تنس التعاونية يكون أساسًا لتنمية أصول الوقف فيه.

[35]Burhanuddin, "Evaluasi Program Pendidikan Dan Latihan Pada Koperasi Pondok Pesantren," *Pengkajian Koperasi Dan UKM*, no. 2 (2006): 1.

[36]Departemen Koperasi, *Akte Pendirian Koperasi Pesantren La-Tansa Pondok Modern Gontor* (Jawa Timur: Kantor Wilayah Propinsi Jawa Timur, 1996).

[37]Prinsip Swakelola

[38]Imam Muchtar, *(Ketua Kopontren La-Tansa Pondok Moden Gontor), Dalam Interview Dengan Penulis 2 Maret 2021*, n.d.

[39]Koperasi, *Akte Pendirian Koperasi Pesantren La-Tansa Pondok Modern Gontor*.

مبادئ شركة لا تنس التعاونية في تنمية الوقف

إنّ مبادئَ شركة لا تنس التعاونية في تنمية الوقف مُنقسمة إلى ثلاثة، وهي مما يلي:

١. تأسيس وحدة الأعمال

أحد العوامل الأساسية في تأسيس شركة لا تنس التعاونية هو توفير احتياجات سكان المعهد، وقيام وحدة الأعمال في شركة لا تنس التعاونية لتدريب الطلاب بالاعتماد على النفس، وأعضاء شركة لا تنس التعاونية من أحسن عامل في استخدام خدمته على تقدمها لأنه صاحب الملك في العمل بإخراج جميع قوته وفكره وطاقته لأجلها.[٤٠] فمسؤول إدارة شركة لا تنس التعاونية المتخرج من هذا المعهد على أساس الأمانة والإخلاص، وعضوية شركة لا تنس التعاونية من المعلمين هذا المعهد على الطريقة التلقائية، إذا غادر المدرس من هذا المعهد كونتور إنتهى عضويته في شركة لا تنس التعاونية.[٤١] جميع حاصلة وحدة الأعمال فيها يكون ملكا للمعهد كونتور وليس للمسؤول أو لأعضاء شركة لا تنس التعاونية.

٢. مصادر المالية

بداية تأسيس الشركة التعاونية كونتور في عام ١٩٣١ بجمع رأس المال من سين ونصف سين وسينين، حتى صارت دجاجة وغنما ثم حاولت إرادة المعهد إلى تأسيس الشركة التعاونية، وطريقة جمع رأس المال من المتبرعين على شكل التبرع بنظام الانفاق منذ سنة ١٩٥٤.[٤٢] فبذلك استخدام أموال الإنفاق لتوسيع الأعمال الاقتصادية ولبناء الدكان الذي يسد جميع احتياجات الطلاب من الأدوات المدرسية وغيرها، من هذا الدكان تطورت الشركة التعاونية حتى تصبح شركة لا تنس التعاونية رسميةً من قبل وزير شركة التعاونية في إندونيسيا.[٤٣]المصادر الرئيسية لتمويل شركة لا

[40]Amimah Oktarina Muhammad Iqbal Fasa, Azidni Rofiqo, "Model Pengembangan Wakaf Produktif Pondok Modern Darussalam Gontor Ponorogo," n.d., 16.
[41]Takbir Lailatul Fitra and Abdul Rasyid, "Peran Kopontren Terhadap Perekonomian Masyarakat Sekitar Pondok Pesantren," *Iqtisaduna*, no. 25 (2016): 3.
[42]Imam Muchtar, *(Ketua Kopontren La-Tansa Pondok Moden Gontor), Dalam Interview Dengan Penulis 2 Maret 2021*.
[43]Shobari, "(Ketua Yayasan Pemeliharaan Dan Perluasan Wakaf Pondok Moden Gontor Di Pesantren Gontor Ponorogo), Dalam Interview Dengan Penulis 20 Pebruari 2021."

تنس التعاونية هو الإعانات المنزلية، والرسوم من أعضاء **التّعاونيّة، ومن شكل رُسوم النّقدية التى** تأتي من شعور الطاعة لمؤسسة المدرسة الداخلية.[٤٤]

٣. تحديد أَرباح الأعمال

من أغراض تأسيس شركة لا تنس التّعاونية الحُصول على الأرباح بطريقة تنمية أصول الوقف. للوصول إليها سعى مسؤول شركة لا تنس التعاونيّة بترتيب الإدارة عند تناول السِّلعة من البائِع، وكلّ النقود أو السلعة فيها أن يكون مكتوبا على دفتر كل منها، وعكس ذلك عند إخراج الشيء من وحدة الأعمال في شركة لاتنس التعاونية أن يكون مكتوبا في الكتاب الذي له بذلك الشيء.[٤٥] كتابة كل شيء في شركة لا تنس التعاونية لحفظ أمانة الناس إلى مسؤول وحدة الأعمال في شركة لاتنس التعاونية، ويحفظ مسؤول وحدة الأعمال عند تعيين الأرباح على الخلو من عنصر الربا، والخلو من عنصر الخداع، والخلو من عنصر الظلم، والخلو عنصر الإنكار.[٤٦]

تزداد وحدة الأعمال في شركة لا تنس التعاونية مند تأسيسها إلى سنة ٢٠١٩ حصلت على ٣٤ وحدة الأعمال. تلخيص مجموعة وحدة الأعمال في شركة لا تنس التعاونية بمعهد دار السلام كونتور في سنة ٢٠١٩، تتكون من ٤ أنواع، وهي التجارة وصلت على ١٤ وحدة الأعمال والإنتاج وصل على ٦ وحدات الأعمال والخدمة التجارية وصلت على ١٢ وحدة الأعمال و الفلاحة وصلت على وحدتين، لكثرة عدد وحدات الأعمال في شركة لاتنس التعاونية، سيأخذ الباحث ثلاث وحدات الأعمال منها، لمعرفة كيفية تنمية أصول الوقف فيها، وذلك في مطحنة الأرز ومصنع مياه دار السلام للشرب و دار السلام للضيافة.

تنمية أصول الوقف في مطحنة الأرز بمعهد دار السلام كونتور

إن تأسيسَ مطحنة الأرز بمعهد دار السلام كونتور في سنة ١٩٧٠،[٤٧] لمساعدة سُكان المعهد في سد حاجة الأرز يوميًّا فيه، وتكون مطحنة الأرز وسيلة لتدريب الطلاب على العملية التجارية، بكثرة عدد

[44]Shobari.
[45]Imam Muchtar, *(Ketua Kopontren La-Tansa Pondok Moden Gontor), Dalam Interview Dengan Penulis 2 Maret 2021*.
[46]Shobari, "(Ketua Yayasan Pemeliharaan Dan Perluasan Wakaf Pondok Moden Gontor Di Pesantren Gontor Ponorogo), Dalam Interview Dengan Penulis 20 Pebruari 2021."
[47]Muchtar, "Wawancara Tentang Kopontren La-Tansa."

الطلاب الذين يتعلمون في المعهد كانت حاجة الأرز كثيرة أو كبيرة. قبل بنائها يأتي الأرز لسد حاجة المطابخ من التاجر. بعد تأسيسها في شركة لا تنس التعاونية يأتي الأرز منها، وتغيير دور حصول الأرز من الفلاح أو التاجر ثم إلى مطحنة الأرز معهد دار السلام ثم إلى المطابخ.[٤٨]

طريقة تأسيس مطحنة الأرز تأتي من رأي مسؤول شركة لا تنس التعاونية بالنظر على كثرة حاجة الأرز للغذاء الأساسي، ويحسب مسؤُول شركة لا تَنسَ التعاونية حاجة الأرز في كل سنة وضعّف على خمسة السّنوات مع صناعة الميزانية لإصلاح بناء مطحنة الأرز ولشراء ما فيها من آلة الإنتاج وحبوب الأرز وآلة النّقل وغير ذلك، كلها مكتوبة على المقعرحة لمعرفة مجموعة رأس المال وزمان عائدتها ثم تسجيلها إلى رئيس المعهد لطالب موافقته، وإذا كان رئيس المعهد موافقًا بالإقتراح الذي قدمها مسؤول شركة لا تنس التعاونية قام قسم التعمير والبناء ببناء المبنى كما يحتاجها مطحنة الأرز التي فيها الأدوات الكاملة لطحن الأرز أو فيها الأشياء التي تحتاجها مطحنة الأرز.[٤٩] استثمار معهد دار السلام كونتور رأس المال لبناء مطحنة الأرز وما فيها وإدارتها إلى المدرس الذي يسكن في مطحنة الأرز مناجتهاد رجال مساعة رعاية الطلبة لإدارة عملية أنشطة مطحنة الأرز.

وأما من ناحية صيغ الاستثمار في مطحنة الأرز على صيغ المضاربة لوجود صاحب المال والمضارب لعملية طحن الأرز من مسؤول وحدة الأعمال فيها، لوجود الشركة بمالٍ من جانبٍ وعمل من جانبٍ.[٥٠] ولصحة هذا العقد أن يوافي أركان المضاربة أربعة وهم رب المال والمضارب والمال والصيغة.[٥١] ورب المال هو معهد دار السلام كونتور، والمضارب هو مسؤول وحدة الأعمال، والمال هو رأس المال لبناء مطحنة الأرز وما فيها، والصيغة موافقة مسؤول مطحنة الأرز بتعيين الغرفة من رعاية الطلبة.

وبناء مطحنة الأرز على نوع صيغ المضاربة من أدوات الاستثمار سبيل طويلة الأجل،[٥٢] معرفة حاصلة المضاربة بعد مراجعة حسابة الأموال في مطحنة الأرز في كل ثلاثة شهور ولو لم يقم مسؤول مطحنة الأرز

[48]Mohammad Shamsiyah, "Ciri-Ciri Keuntungan Menurut Perspektif Islam," *2002* 10, no. 1 (n.d.): 2.
[49]Wardun, *Wardun (Warta Dunia Pondok Modern Darussalam Gontor)*.
[50]Shobari, "(Ketua Yayasan Pemeliharaan Dan Perluasan Wakaf Pondok Moden Gontor Di Pesantren Gontor Ponorogo), Dalam Interview Dengan Penulis 20 Pebruari 2021."
[51]Shobari.
[٥٢]أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي, كنز الدقائق (دار البشائر الإسلامية، دار السراج, ٢٠١١), ص ٥٢٢.

وصاحب المال على تقسيم حاصلتها لكن لقيام على التقويم فيها.[٥٣] مسؤول وحدة الأعمال لا يعرف ترقية أصول الوقف في قسمه إلا بعد مراجعة حسابة الأموال في كل ثلاثة شهور على الأقل من برامج شركة لاتنس التعاونية لمعرفة ترقية أصول الوقف فيها.

مطحنة الأرز تكون مكانًا لشراء حُبوب الأرز من الفلاّح أو من التاجر ويكون مكانا لبيع السلعة المتنوعة مثل لبيع الأرز إلى جميع المطابخ في المعهد، ولبيع الآهات أو نفايات الحبوب بعد الطحن إلى المجتمع، ولبيع إضافة الأرز لأكل الحيوان إلى المجتمع. [٥٤] وصيغة البيع في مطحنة الأرز من نوع أدوات الاستثمار قصيرة الأجل، إذ بعد عقد البيع عرف البائع حاصلة عمله.

طريقة الإنتاج فيها بشراء مسؤول مطحنة الأرز حبوب الأرز من حاصلة زراعة الفلاح حول معهد دار السلام كونتور لمكافأة حاجة الأرز لجميع سكان المعهد، وحاجة مطحنة الأرز عن الأرز في سنة ٢٠١٨ وصلت على ١,١٤٥,٤٠٣ طن وفي سنة ٢٠١٩ وصلت على ١,٣٠٣,١٠٨ طُنّ.[٥٥] تشغيل مسؤول مطحنة الأرز للحصول على الغذاء الأساسي أو الأرز، مند قيامه على شراء حبوب الأرز من الفلاح أو من التاجر حتي أن يكون الأرز جاهزًا على إرساله إلى المطابخ في معهد دار السلام، وهذه الأعمال من عمل الإنتاج في مطحنة الأرز.

ولمسؤول مطحنة الأرز له وظيفة على ترقيتها باستخدام العقل والتقنية لسهولة تحويل المواد الطبيعة المتوفرة لديه على سبيل إنتاج السلعة فيها، وفيها ثلاث أنواع الإنتاج وهي الأرز الذي تكون الغذاء الأساسي للإنسان، وإضافة الأرز التي تكون أكلاً للحيوانات، ونفيات الحبوب.[٥٦] وكل شيء من حاصلة طحن الأرز نافعة لمصلحة الناس ولتوفير حاجة حياته، ولترقية القيمة أصول الوقف في شركة لاتنس التعاونية. ولكل من هذا النوع، عناصر الأرز مثل العمل، الموارد الطبيعية، ورأس المال.[٥٧]

---

[٥٣]مجموعة من المؤلفين, موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع, ٢٠١٢), الجزء ٣ ص ٥٦٢.

[٥٤]مسؤول فى مطحنة الأرز

[٥٥]الزحيلي, المعاملات المالية المعاصرة.

[56]Imam Muchtar, *(Ketua Kopontren La-Tansa Pondok Moden Gontor), Dalam Interview Dengan Penulis 2 Maret 2021*.

[57]Staf Kopontren, *Rekapitulasi Laporan Unit Usaha Koperasi La-Tansa Darusalam*, 2019.

تنمية أصول الوقف في مصنع مياه دار السلام للشرب بشركة لاتنس التعاونية

بعد تناول الشهادة من الحكومة على جواز بيع حاصلة إنتاج مياه دار السلام للشرب إلى المجتمع من جميع المناطق في إندونيسيا، زادت إرادة المجتمع على مساعدة بيع مياه دار السلام للشرب في دائرتهم، حتى كانت حاصلة أنتاج مياه دار السلام للشرب غير كافية لسد حاجة المستهلكين، ويحتاج مصنع مياه دار السلام للشرب على ترقية آلة الإنتاج إلى ما هي أحسن وأكبر كفاءة.[٥٨]

واستثمر هذا المصنع لسُكّان المعهد والمجتمع الذي لا يقدر على بناء مصنع المياه وهو على مكافأة حاجتهم، وإرادة مسؤول مصنع مياه دار السلام للشرب على ترقية إنتاجها، وأخبر مسؤوله إرادته إلى رئيس المعهد مع تفويض الاقتراحة التى فيها مجموعة الميزانية التى تتكون من اِلمِيْزَانِيَّة لبناء المبنى ولشراء آلة الإنتاج، والمخزن، ورأس المال لشراء المواد الخام، وفيها حسابة على عائدة مجموعة رأس المال لترقية الإنتاج في مصنع مياه دار السلام للشرب. كما قال منذر قحف قائم في وقف الأعيان كالمباني، والنقود المحبوسة للاستثمار على طريقة المضاربة أو للاقتراض التبرعي. ورأس المال الذى قدمه مسؤول مصنع دار السلام للشرب لترقية حاصلة الإنتاج يكون استثمارا لتنمية أصول الوقف فيه.

وأما صيغة الاستثمار في بناء مصنع دار السلام للشرب على عقد المضاربة، بوجود صاحب المال وقسم الآخَر لعملية إدارة مصنع مياه دار السلام للشرب. ومراجعة حسابة الأموال في مصنع دار السلام للشرب في كل ثلاثة أشهر على الأقل لمعرفة زيادة ترقية الأموال فيه ولو كان يعرف مسؤول مصنع مياه دار السلام للشرب لا يأخذ حصة حاصلة الإنتاج فيه وكل حاصلة الإنتاج يعود إلى المعهد.

أمّا صورة الاستثمار في مصنع دار السلام للشرب على بناء المبنى لصيانة وتنمية أصول الوقف في شركة لاتنس التعاونية، ويكون الوعاء والأغراض والمصارف واحدة، وكون الواقف متعددا لكثرة الأمور يشترك في قيام وسير مصنع دار السلام للشرب .

وسير عملية الإنتاج في هذا المصنع سار سيرًا جميلاً إذا كانت الموارد الأساسية للإنتاج متوافرة في كلّ وقت عند عملية الإنتاج وهي المياه والكهرباء وإناء المياه حسب حزمها. وأمّا رأس المال في عمليّة إنتاج مياه دار السلام للشّرب من المعهد ومسؤوله لا يخرج الأموال لدفع رأس المال، تعيين رأس المال في كل نهاية السنة الدراسة في كلية المعلمين الإسلامية.

[58]Imam Muchtar, *(Ketua Kopontren La-Tansa Pondok Moden Gontor), Dalam Interview Dengan Penulis 2 Maret 2021*.

الّذى قدّمه إليهم، وبعض الضّيوف يبحث عن الفُندُق في مدينة فونوروكو أو يَستأجر البيت حول معهد دار السلام، ويأخذ ابنه إلى المكان الذي هو فيه، هذا العمل يخالف نظام معهد دار السلام كونتور الذي منع الطلاب على سكون في بيت المجتمع حول المعهد، لسُهولة تربيتهم من غير اختلاط تربية المجتمع، ثم غير مركز التعليم والتدريب إلى دار السلام للضيافة في سنة ١٩٩٩.[٥٩]

تنمية أصول الوقف من دار السلام للضيافة

بداية دار السلام للضيافة من بناء المبنى لأنشطة مركز التعليم والتدريب بمعهد دار السلام كونتور وفيه مجهّز بالحجرات الكثيرة بالأدوات الكاملة مستعدة للمبيت أو للراحة، لكن سير مركز التعليم والتدريب فيه لم يكن سيرًا جميلاً، ثم غيّر استفادته من مركز التعليم والتدريب إلى بيت دار السلام الضيافة، وتغيير استفادته بكثرة الضيوف في معهد دار السلام لزيارة أبنائهم ولا يقدر قسم الضيافة على استيعاب جميع الضيوف لسكون في المكان الّذى قدّمه إليهم، وبعض الضّيوف يبحث عن الفُندُق في مدينة فونوروكو أو يَستأجر البيت حول معهد دار السلام، ويأخذ ابنه إلى المكان الذي هو فيه، هذا العمل يخالف نظام معهد دار السلام كونتور الذي منع الطلاب على سكون في بيت المجتمع حول المعهد، لسُهولة تربيتهم من غير اختلاط تربية المجتمع، ثم غير مركز التعليم والتدريب إلى دار السلام للضيافة في سنة ١٩٩٩.

تغيير استغلال مركز التعليم والتدريب في معهد دار السلام كونتور إلى دار السلام للضيافة فيه حجرات كثيرة تتكون من ١٠ غُرفات على الدّرجة المتوسّطة في كلٍّ منها سريران للنّفرين، و١٢غرفة على الدرجة البسيطة فيها سريران طبقتان لأربعة أنفار وفيه ثلاث قاعات اجتماعية هي قاعة كبيرة وقاعتان صغيرتان، وبناء صغير للمطعم وللمطبخ. وفي سنة ٢٠٠٣ بنا المعهد المبنى فيه ١٤ غرفة على الدرجة المتوسطة زيادة للغرف السابقة. وجود دار السلام للضيافة يساعد كثيرًا على الضيوف الذين لم يسترحوا على اللمبيت في قسم الضيافة طوال زيارتهم في هذا المعهد.

أما صيغة الاستثمار في دار السلام للضيافة على نوع صيغ المضاربة من أدوات الاستثمار على سبيل طويلة الأجل، لوجود صاحب المال الذي يُكافئ جميع رأس المال في دار السلام للضيافة وقسم الآخر الذي يعمل أنشطة إدارة دار السلام للضيافة. مراجعة حسابة الأموال في دار السلام للضيافة في كل ثلاثة شهور

[٥٩] الإسلامية, الموسوعة الفقهية الكويتية.

لمعرفة زيادة ترقية الأموال فيه، ولا يأخذ مسؤول وحدة الأعمال حاصلة عملية تنمية أصول الوقف، وتغيير مسؤول وحدة الأعمال إلى أمكنة الأخري قد كان جاريا مند السنوات الطويلة من غير أن يعطي حاصلة عمله فيه، وصورة الاستثمار فيه على الصورة وعاء واحد وواقفون متعددون وأغراض وقفية متعددة.

وأما الإنتاج في دار السلام للضيافة هو استئجار الغُرَف المبيتة للضيوف الذين يأتون إلى هذا المعهد لزيارة أبنائهم، ولم يسمحوا المبيت في مكان قسم الضيافة باختلاط مع غيرهم أو بسبب الأمور التي لا يعطي بها الاطمئْنان. استئجار الغرف للمبيت في معهد دار السلام كونتور لحفظ نظام الطلاب وولي أمر الطلاب.

عناصر الإنتاج في دار السلام للضيافة: أولا: العمل، والعمل في دار السلام للضيافة ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي قسم المالية قسم المخزن وقسم الموظف، وعمل الإنتاج في دار السلام للضيافة هو المحافظة على نَظافة الغُرف والحمّام ومَا يتعلق بأمور المبيت، ومسؤولها قسم الموظف ومساعده ٧ أنفار من العُمّال لتنظيف ٥٩ غرفة تتكون من ٢٤غرفة من الدّرجة المتوسّطة و١٢غرفة في الدّرجة البَسيطة و٢٣ في الدرجة العلّي، والسَّاحَة والحَمَّام والقاعة، كل أقسام منها لها معاير تشغيلية لتكون أساسًا في قيام العمل فيه وقسم المخزن له وظيفة على نظافة أدوات الغُرف للمَبيت ووجودها الماء للشرب أو للاغتسال. محافظة النظافة من جميع الغرف والحمّام والسّاحة والقاعة في دار السلام للضِّيافة تكون مفتاح النّجاح في إنتاج الخِدمة لِحُصول على ترقية الأموال فيه.

ثانيًا: رأس المال فيه، يسلّم مَسؤُول دار السلام للضيافة تَقريرًا إلى رئيس المعهد في كل آخِر السّنة لمعرفة حاصِلة الاستئجار الغُرَفي في دار السلام للضيافة ولتعيين مجموعة رأس المال للسنة التالية. تسليم مسؤول دار السلام للضيافة التقرير إلى رئيس المعهد لطلب رأس المال لتمويل التكليفات الواجبة كالكهرباء وأجرة العُمال والأدوات لمحافظة النظافة وكل شيء الذي يتعلق سير أنشطة دار السلام للضيافة.

تَحليل تنمية أصول الوقف في شركة لا تيس التعاونية

إنّ طريقة تنمية أصول الوقف في شركة لا تنس التعاونيّة بالاستثمار والإنتاج وبيانه مما يلي:

تنمية أصول الوقف في مياه دار السلام للشرب

بنى المعهد المبنى لسد حاجة شركة لا تنس التعاونية في عمالية وحدات الأعمال الموجودة فيها، ومن أحد البناء استفادته لمصنع مياه دار السلام للشرب الذي قام تأسيسه في ٢٠٠٤، وطلب مسؤوله الإجازة من

الحكومة لبيع مياه دار السلام للشرب إلى جميع أماكن في إندونيسيا، ومع ذلك أتمّ مسؤُوله الأماكن لسهولة عملية الإنتاج فيه مثل مكان الإنتاج للكب والقرورة، وكالون، والمكتب ليكون مركزا لتنظيم الأنشطة في ذلك المصنع، وغرفة المختبرة لمحافظة قيمة الإنتاج، والمخزن لحفظ سلعة الخام ولحفظ الإنتاج الجاهزة بإرسالها إلى الموزع والبائع والمستهلكين.

وبالإضافة إلى بناء الكافية، وآلات الشاملة للإنتاج فيه، هيّأ المعهد رأس المال الإضافي لشِراء مواد الخام المطلوب لإنتاج مياه دار السلام للشرب، مثل الكوب، وكرتون، والقارورة وغير ذالك. استثمار معهد دار السلام كونتور في مصنع مياه دار السلام استثمارا شاملا من بدية بناء المبنى حتى رأس المال الإضافي لسير أنشطة مصنع مياه دار السلام للشرب.

صيغ استثمار في مصنع مياه دار السلام للشرب على صيغة المضاربة لوجود صاحب المال الذي يستثمر أمواله لمكافأة جميع حاجته ومسؤول وحدة الأعمال الذي يدير أنشطة وحدة الأعمال فيها من غير إخراج أمواله لدفع رأس المال ولو كان قليلاً، لكن له وظيفة على سير تلك وحدة الأعمال لحصول على ترقية الأموال فيها، وكانت موافقتهما بإتفاق على تعين الأمكنة من قرار مساعد رعاية الطلبة، وتقسيم حاصلة الإنتاج بين صاحب المال والمضارب أو مسؤول وحدة الأموال من غير تعيين صريح لكن تعيين بينهما على مقدار صاحب المال ١٠٠ % والمضارب لا يأخذ حقه من جميع حاصلته وهذا الأمر قد كان معروفا على جميع مسؤول وحدة الأعمال في شركة لاتنس التعاونية .

وأدوات الاستثمار على نوع طويل الأجل لكون صيغ العقد شبيه بصيغة المضاربة لطول الزمان على معرفة حاصلة الإنتاجو لاستمرار أنشطةالعملية الإنتاجية فيه، و مراجعة حسابة أموال الوقف على الأقل ثلاثة شهور ثم تسليم تقريرها إلى صاحب الأموال أو مسؤول وحدة الأعمال، ويبدأ المضارب على استمرار الأعمال في مصنع مياه دار السلام للشرب برأس المار الجديد حتى ثلاثة شهور ثم مراجعة حسابة الأموال لمعرفة تنمية الأموال فيه، وهذا دور الأعمال المضاربة في مصنع مياه دار السلام للشرب.

إذا كان إنتاج مَصنع مياه دار السلام للشرب تتكون من ستة أنواع وهذا تُظهِر أنّ ترقية الإنتاج في مصنع مياه دار السلام للشرب ترقية كبيرة في كل نوع من أنواع الإنتاج فيه، ترقية كالون حتى وصلت ١,١ %، وكوب على حزم ٢٢٠ ميل لتر حصلت ترقيته على ١٩,٢ %، وقارورة ٦٠٠ ميل لتر وصلت على ١٧,٤٧ %، وأكبرها ترقية قارورة ١٥٠٠ ميل لتر حتى وصلت على ٢٧,٦٣ %. وترقية الإنتاج من سنة ٢٠١٨ إلى ٢٠١٩ وصلت على ٥٧,٥٤٢ كرتون وكالون أو ٢٧,٣٢ %. وبجانب ترقية الإنتاج الموجود فيه

ظهر حضور الإنتاج الجديد من نوع الكوب على حزم ١٢٠ ميل لتر وقارورة ٣٣٠ ميل لتر. وهذا يدل على قوة إرادة الناس على شرب حاصلة الإنتاج من مصنع مياه دار السلام للشرب، ويجب على مسؤول مصنع مياه دار السلام للشرب على محافظة طعم وقيمة الإنتاج لتزداد إرادة المستهلكين على شربها.

إنّ أعمال الإنتاج في مصنع دار السّلام للشّرب ينقسم إلى أربعة أقسام وهي وقسم المالية قسم الإنتاج وقسم المخزن وقسم التسويق، وكل أعمال الإنتاج تحت مسؤولية قسم الإنتاج و قسم المخزن ولا يقدران على القيام بعملية الإنتاج إلا بمساعد العُمال، وعدد العمال حصل على ٢٨ رجلا[٦٠] وتقسيم العمال إلى عشرة أقسام ومن تبعضها قسم المكتب الذي يكتب حاجة الإنتاج من جميع زُملاء العمل أو من الموزع والتاجر في كل شهر حتى يقدر على تعيين زمان العمل الإضافي للإنتاج وهو من العامل الذي له كفاءة شاملة لجميع الأعمال الموجودة فيه.

ويسير سير أنشطة الإنتاج سيرا جميلا لكن مسؤول مصنع مياه دار السلام للشرب يعتمد إليه ولا يستعيب أعمال الإنتاج استيعابا حسنا. بجانب أعمال الإنتاج فيه الأعمال الإدارية التي قام بها المدرس و وصل عددُه إلى ٨ أنفار، لكون جميع الأعمال الموجودة في مصنع مياه دار السلام قد قام بها مساعد المكتب ولا العمل لمسؤول مصنع مياه دار السلام للشرب إلا مراقبة عن سير أنشطة الإنتاج وشراء السلعة الأساسية للإنتاج وكتابة تصريفة النقود و دخلها.

والموارد الطبيعة لمصنع مياه دار السلام للشرب هي المياه، لحصول عليها من غير إخراج النقود الكثيرة إلا النقود لشراء الكهرباء لتشغيل الماكينة لرفع المياه من البئر، ولو كان حصولها سهلاً لنيل شهادة على جواز استفادة مياه البئر ليكون شربًا عامًّا للمجتمع يستغرق وقتًا طويلاً وصبرًا عظيمًا لأن ليست للبئر في معهد دار السلام كونتور رسالة رسمية من الحكومة على جواز صناعة البئر بعمق ١٠٠ متر وأكثر، و لاسيما لأجل عملية التّجارية أن تكون للبئر وثيقة كاملة من جميع أقسام الذي لها علقة بها، كمالة الوثيقة في كل الأمور لازمة لأنها من نوع رأس العمل.

[60]Amidas, *Daftar Karyawan Pabrik Air Minum Amidas Pondok Modern Gontor*.

ورأس المال المشتغل لمصنع مياه دار السلام للشرب لشراء المواد الأساسية من الكوب والقرورة وكارتون وكل شيء من الوسائل لحصول على صناعة مياه دار السلام للشرب في سنة ٢٠١٨ و ٢٠١٩ كما يلى:[٦١]

قائمة ٣١١

الرقم	وحدة الأعمال	٢٠١٨	٢٠١٩
١	مصنع مياه دار السلام للشرب	530,102,448	520,807,131

[61]Kopontren, *Rekapitulasi Laporan Unit Usaha Koperasi La-Tansa Darusalam*.

ورأس المال في هذه البيانات من مجموعة قيمة الأموال في مصنع مياه دار السلام للشرب ولم يدخل فيه ثمن الأرض والبناء والأدوات اللازمة لأنشطة مصنع مياه دار السلام للشرب، مجموعة رأس المال لسنة ٢٠١٨ أكثر من رأس المال لسنة ٢٠١٩ لأن عدم موازنة بين حصول الرّبح في سنة ٢٠١٨ مع الواجبة التى يجب مسؤول وحدة الأعمال على إخراجها حتى يأخذ بعض رأس المال وهو الذي يسبب على انخفاض رأس المال في سنة ٢٠١٩. انخفاض رأس المال في سنة ٢٠١٩ لا يدل على خسارة مصنع مياه دار السلام للشرب لكن بسبب كثرة التكليفة والمخزون وقطع النقود النقدية من قسم الإدارة.

قام مسؤول مياه دار السلام للشرب عند تعيين ثمن المبيع أو السلعة من حاصلة الإنتاج فيه، لا يستعمل مقياس عشرة بالمئة أو خمسة بالمئة، لكن يستعمل الطريقة المعاونة المتبادلة بين حاصلة الإنتاج في مصنع مياه دار السلام للشرب، ووضع مسؤول ثمن السلعة المحبوبة عند المستَهلكين رخيصا ووضع ثمن السلعة المتكاملة ثَمينا. ووضع ثمن الموزع أرخص من ثمن البائع لوجود التعاون بين الموزع ومسؤول مصنع مياه دار السلام للشرب.[٦٢]

مسؤول مصنع مياه دار السلام يعطي ثمن الإنتاج للموزع أرخص من ثمن التاجر على مقدار ١,٧٥ % إلى ١٢,١٢ %، هذا من نوع محافظة التعامل بينهما وهذا الثمن من الإنتاج المذكور في مصنع مياه دار السلام للشرب ولم يدخل ثمن لإرسال السلعة إلى الأمكنة المرجوة عند المشتري إما من الموزع أو من التاجر، وأكثر المشتري يأخذ السلعة بنفسه إرسال الحوالة إلى المعهد لأعضاء منطقته، وهذا يساعد كثيرا على أنشطة مصنع مياه دار السلام للشرب لكن يقع فيه الزحام لتسوية اليوم والوقت حتى في وقت الراحة. تنظيم زمان العمل وزمان الإغلاق لازم على كل وحدة الأعمال لسهولة الخدمة على من له حاجة بهذه وحدة الأعمال.

ترقية الدخل من حاصلة بيع السلعة فيه من سنة ٢٠١٨ إلى سنة ٢٠١٩ وصلت على **86.85**%، ويتبع الربح على ترقيته حتى وصلت على ١٧٤,١ %، ويدل على تنمية أصول الوقف في مصنع مياه دار السلام للشرب ترقية عظيمة، وسبب ترقية الدخل والربح بكثرة الموزع و التاجر لتسويق حاصلة الإنتاج من مصنع مياه دار السلام للشرب، ولاسيما لو يفتح مصنع مياه دار السلام للشرب المصنع الفروع في كل المعاهد الفروعي في معهد دار السلام ستنمو حاصلة إنتاجه نُمُوّا كبيرا وتقطع تنفيذية الإنتاج خصوصا من التمويل لإرسال السلعة إلى المناطق المرجوة.

[62]Amidas, *DAFTAR HARGA DISTRIBUTOR DAN AGEN AMIDAS MULAI 01 JANUARI 2020*.

ترقية الدخل من حاصلة بيع السلعة فيه من سنة ٢٠١٨ إلى سنة ٢٠١٩ وصلت على **86.85**%، ويتبع الربح على ترقيته حتى وصلت على ١٧٤،١ %، ويدل على تنمية أصول الوقف في مصنع مياه دار السلام للشرب ترقية عظيمة، وسبب ترقية الدخل والربح بكثرة الموزع و التاجر لتسويق حاصلة الإنتاج من مصنع مياه دار السلام للشرب، ولاسيما لو يفتح مصنع مياه دار السلام للشرب المصنع الفروع في كل المعاهد الفروعي في معهد دار السلام ستنمو حاصلة إنتاجه نُمُوًّا كبيرا وتقطع تنفيذية الإنتاج خصوصا من التمويل لإرسال السلعة إلى المناطق المرجوة.

لايأخذ مسؤول مصنع مياه دار السلام للشرب أجرة عمله كما لا يأخذ مسؤول وحدة الأعمال الأخرى إذا أخذ حقه كما يلي:[٦٣] وعدد مسؤول وحدة الأعمال في مصنع مياه دار السلام للشرب ٨ أنفار والأجرة الجارية في منطقة فونوروكو ١،٥ مليون في كل شهر، وضعف على ٨ أنفار ثم ضعف على ١٢ شهرا تعادلها ١٤٤ مليون، يجب مسؤول شركة لاتنس التعاونية على إخراجها وهذا المجموع يكون زيادة الربح وزيادة أصول الوقف في مصنع دار السلام للشرب، وإذا كل عمل من مسؤول مصنع مياه دار السلام للشرب بالأجرة مثل عمل الإضاف وستنمو التنفيذية في مصنع دار السلام للشرب. ومن هنا عرف الباحث تنمية أصول الوقف في مصنع مياه دار السلام للشرب ليست من حاصلة بيع إنتاج مياه دار السلام للشرب فحسب لكن من وجود الوقف الجديد من حق مسؤول وحدة الأعمال وحق ناظر الوقف.

تنمية أصول الوقف في مطحنة الأرز

مطحنة الأرز هي أول وحدة الأعمال الموجودة في شركة لا تنس التعاونية[٦٤] وهي من بعض وحدة الأعمال الكبيرة فيها، وعمليتها تسد حاجة الأرز لجميع سكان معهد دار السلام المركز والمعاهد الفروع في فونوروكو وعاوي وكيديري. بنى المعهد مطحنة الأرز بالبناء الكبير الذي يَشمل فيه المكان لعملية إنتاج الأرز، والمسكن لمسؤول مطحنة الأرز، والمخزن لحفظ حُبوب الأرز، والمجفف وأكمل المعهد جميع الوسائل لسهولة سير عملية طحن الأرز مثل الآلة المنتصفة الآلية لسرعة عملية الإنتاج فيها والسيارة لنقل الأرز إلى المطابخ وأكمل المعهد جميع الوسائل لسهولة أنشطتها حتى رأس المال المشتغل. استثمار المعهد لتأسيس مطحنة الأرز تدريجيا حسب حاجتها لسد الغذاء الأساسي لسكان المعهد ويتبع ترقية استثمار على ترقية مجوعة سكان المعهد.

[63]Hafid, *Wawancara Tentang Pengembangan Harta Wakaf Di Air Minum Darussalam Gontor*.
[64]Imam Muchtar, *(Ketua Kopontren La-Tansa Pondok Moden Gontor), Dalam Interview Dengan Penulis 2 Maret 2021*.

وصيغ استثمار في مطحنة الأرز سببه على صيغة المضاربة لوجود قسمين من صاحب المال الذي يقوم على مكافأة جميع حاجة مطحنة الأرز من البناء و الأدوات اللازمة الكاملة لأنشطة مطحنة الأرزو مسؤول وحدة الأعمال الذي يدير إدارة مطحنة الأرز من غير إخراج أموال لدفع رأس المال لكن له وظيفة على تنمية أصول الوقف فيها. كانت الموافقة بين صاحب المال ومسؤول مطحنة الأرز بالإتفاق على تعين المكان من قرار مساعد الرعاية الطلبة ولو كان مسؤول مطحنة الأرز ليس له كفاءة عن علوم مطحنة الأرز لكن بالإرادة القوية التى تأتي من الروح العميق تفتح أبواب السماء على قوة تدبيرها، وتعيين تقسيم الأرباح بيهما على تقدير ١٠٠ % لمطحنة الأرز أو المعهد و ٠٪ للمضارب أو مسؤول وحدة الأعمال بمعنى لا يأخذ المضارب حقه ويعود حقه إلىمطحنة الأرز أو إلى المعهد، لأن المعهد مشهور بمعهد الوقف وعودة الأموال إليه تكون وقفا له.

أدوات الاستثمار على شكل صيغة المضاربة من نوع أدوات استثمار طويل الأجل[٦٥] لطول الزمان على معرفة الحاصلة الإنتاجية واستمرار عملية الإنتاج فيها إلى المسؤول الآخر عند وجود تغيير أمكنة الغرف من رجال الرعاية الطلبة، وأقل الزمان لمراجعة حسابة أصول الوقف ثلاثة شهور على الأقل ثم تسليم تقريرها إلى صاحب الأموال أو رئيس المعهد، ويبدأ المضارب على استمرار الأعمال في مطحنة الأرز برأس المال الجديد، وبعد ثلاثة شهور قام مسؤول مطحنة الأرز على مراجعة حسابة أصول الوقف فيها كما جارت دورة الأعمال في وحدات الأعمال الأخرى، حتى يعرف مسؤول وحدة الأعمال حاصلة عمله بعد ثلاثة شهور.

فالأَعمال في مطحنة الأرز تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي قسم المالية وقسم المخزن وقسم الموارد البشرية،[٦٦] وكل الأعمال من عملية الإنتاج تحت مسؤولية قسم الموارد البشرية بمساعدة على ٥ عمال، لكن في الممارسة العملية اليومية تحت إشراف حارس مطحنة الأرز في ذلك اليوم، ويعمل مسؤول مطحنة الأرز أعمالاً كثيرةً من شراء حبوب الأرز و رفع الكيس من الأرز، وإرسال الأرز إلى المطابخ وكل الأعمال الموجودة في هذا اليوم إلا تشغيل الماكينة للإنتاج حتى حصول الأرز، ويستوعب مسؤول مطحنة الأرز جميع أنشطة فيه. استيعاب مسؤول مطحنة الأرز على جميع أنشطتها يكون مفتاحًا على شجاعة تعيين سياسة أعمالها الكثيرة لتقدمها.

والموارد الأساسية لمطحنة الأرز هي حبوب الأرز وحصول عليها بإخراج النقود الكثيرة بشرائها من الفلاح أو التاجر، والزمان لسهولة شرائها في يوم الحصاد ثم بعد كل أربعة شهور. حصول الموارد الطبيعية

[٦٥] وهبة الزحيلي، المعاملات المالية المعاصرة (دمشق: دارالفكر، ٢٠٠٢)، ص ٤٢١.

[66] M. Zam Zam Hazmi Perlindungan, *Wamancara Tentang Penggilingan Padi Di Pondok Modern Gontor*.

الحسنة متوقف على قدرة الموارد البشرية أو مسؤول مطحنة الأرز لأن هو الذي يعين كل الأنشطة الموجودة فيها مند شراء حبوب الأرز حتى قيامه على عملية الإنتاج ويَتولّد منها ثمن الأرز إلى المطابخ أن يكون رخيصًا أو غاليًا، لأنّ كفاءة مسؤول مطحنة الأرز مفتاح النجاح على جميع الأعمال فيها.

من البينات يُعرف بأن حاجة الأرز في مطحنة الأرز لسد المطابخ في سنة ٢٠١٨ وصلت على١,١٤٥,٤٠٣ طن وفي سنة ٢٠١٩ وصلت على1,203,108 طن، وظهرت ترقية حاجة الأرز ترقية عظيمة حتى وصلت ترقيتها على 57,705 طن أو ٥ % من مجموع حاجة الأرز في سنة ٢٠١٨، وهذه المجموع تحتاج حبوب الأرز من الفلاح حتى وصلت على 1,877,710 طن، وفي سنة ٢٠١٩ حاجة مطحنة الأرز عن حبوب الأرز وصلت على 1,972,308 طن، وأما من حاصلة إضافة الأرز في سنة ٢٠١٨ حصلت على 137,448طن، وفي سنة ٢٠١٩ حصلت على144,373 طن، ومن هنا عرف الباحث ترقية إنتاج الأرز في مطحنة الأرز ترقية كبيرة، لاسيما بزيادة توسيع السوق إلى المجتمع تكون حاجة الأرز أكثر وأكبر.

بجانب رأس المال لبناء المبنى ولشراء الآلة اللازمة لعملية أنشطة مطحنة الأرز لها حاجة على رأس المال لشراء حبوب الأرز لإملاء المخزن ولعملية الإنتاج كل يوم، وحبوب الأرز في مخزن مطحنة الأرز يكون إعدادا لليوم الذي صعب على بحث حبوب الأرز حتى لا تقف عملية أنشطة مطحنة الأرز ولو كان اليوم ليس من يوم الحصاد. وحاجة رأس المال في مطحنة الأرز كما يلى:[٦٧]

قائمة ٣١٥

الرق م	وحدة الأعمال	٢٠١٨	٢٠١٩
١	مطحنة الأرز	٨٢٤,٥٣٧,٥٤ ٤	٧٦٥,٨٧٧,١٩ ٤

رأس المال في هذه البيانات من مجموعة قيمة الأموال التى تتكون من قيمة البضائع والنقود النقدية والبضاعة المقترضة ولم يشمل ثمن البناء وثمن الأرض وثمن الآلة الإنتاج وثمن الأدوات اللازمة لسهولة سير أنشطة الإنتاج، وأما رأس المال لبناء المبنى ولشراء الآلة اللازمة فيها أكثر وأكبر من رأس المال المشتغل.

[67]Kopontren, *Rekapitulasi Laporan Unit Usaha Koperasi La-Tansa Darusalam*.

وطريقة تعيين الثمن في مطحنة الأرز بالنظر على مقدار الثمن المنتشر في المجتمع، وينقسم الثمن في المجتمع إلى ثلاثة أقسام وهي ثمن السلعة المنخفضة وثمن السلعة المتوسطة وثمن السلعة العالية، ولم يَضَعُ مسؤول مطحنة الأرز ثمنَ السلعة العالية إلا للإفطار الجَماعِي ولسد حاجة الأقسام المخصوصة.

وترقية الدخل من سنة ٢٠١٨ إلى سنة ٢٠١٩ وصلت إلى ٤،٤٩٠ مليون أو ٥,٠٤ % من الدخل في سنة ٢٠١٨. وتتبع بعد ذلك ترقية تكلفة الإنتاج والتنفيذية والربح، وأكثر ترقية من هذه الأمور وهي ترقية الربح حتى حصلت على ٨,٥٦ %، وهذه الترقية بسبب الأمور الكثيرة ومن بعضها من مواد الخام وهو حبوب الأرز الجيد خالي من الوَسائِخ تحصل حصيلة الأرز كثيرة وسلامة الماكينة للأنتاج من الفساد حتى لا يخرج مسؤول مطحنة الأرز التكليفة لإصلاحها، وحضور العمال في الميعاد حسب الجدول أو بسبب ثمن حبوب الأرز رخيصو ثمن المبيع من الأرز ثمين، أو بسبب تنظيم الأنشطة فيها تنظيما حسنا.

مسؤول مطحنة الأرز لا يأخذ أجرة عمله كما عينتها حكومة أندونيسيا، إذا أخذ حقه كما يلي: وعدد مسؤول وحدة الأعمال في مطحنة الأرز ٥ أنفار والأجرة الجارية في منطقة فونوروكو ١,٥ مليون، وضعف على ٥ أنفارثم ضعف على ١٢ شهرا تساوي ٩٠ مليون في كل سنة، ويجب مسؤول شركة لاتنس التعاونية على إخراجها، بتنقيص عدد الربح في مطحنة الأرز لدفع أجرة مسؤول وحدة الأعمال، ولأنّ مسؤول مطحنة الأرز لا يأخذ حقه يكون حقه زيادا لأرباح مطحنة الأرز.

تنمية أصول الوقف في دار السلام للضيافة

المبنى في دار السلام للضيافة من البناء لأنشطة مركز التعليم و التدريب في معهد دار السلام كونتور وتغيير استفادته في سنة ١٩٩٩،[٦٨] فيه حجرات كثيرة تتكون من ٢٤ غرفة **على الدرجة المتوسطة و ١٢ غرفة على الدرجة البسيطة، أكمل مسؤول دار السلام للضيافة كل الغرفة بالأدوات اللازمة للمبيت بزيادة مكيف الهواء والمكتب والخزانة. بجانب مجموعة الغرف الكثيرة فيه ثلاث القاعة الاجتماعية** وهي قاعة كبيرة وقاعتان صغيرتان، وبناء للمطعم وللمطبخ، كان استثمار المعهد في دار السلام للضيافة استثمارا شاملا من جميع وسائله لسير أنشطته.

[68]Shobari, "(Ketua Yayasan Pemeliharaan Dan Perluasan Wakaf Pondok Moden Gontor Di Pesantren Gontor Ponorogo), Dalam Interview Dengan Penulis 20 Pebruari 2021."

صيغ استثمار في دار السلام للضيافة هي صيغة المضاربة كما جرت في وحدات الأعمال في شركة لاتنس التعاونية لوجود صاحب المال و المضارِب، وصاحب المال الذي بنى المبنى وما فيها من الأدوات الكاملة لسير أنشطة دار السلام للضيافة والمضارب أو مسؤول وحدة الأعمال الذي يدير أنشطة دار السلام للضيافة ولا يخرج منه الأموال لدفع رأس المال ولو كان قليلاً، ولكن له وظيفة على سير أنشطة دار السلام للضيافة لحصول على الأرياح، وموافقتهما بتعين المكان المبيب من قرار مساعد الرعاية الطلبة، وتعيين تقسيم الأرباح بينهما على مقدار التالية، كل حاصلة دار السلام للضيافة يعود إلى صاحل المال والمضارب لا يأخذ مسؤول دار السلام للضيافة حاصلته.

أدوات الاستثمار في دار السلام للضيافة على سبيل طويل الأَجَل،[٦٩] وصِيغ استثمار طويل الأجل على صيغة المضاربة، ولا يعرف مسؤول وحدة الأعمال حاصلة ترقية الأموال فيها إلا في وقت معين أو بعد ثلاثة شهور على الأقل بمراجعة حسابة الأموال ولو كان عرف مسؤوله حاصلة تنمية أصول الوقف يوميًّا، قام مسؤوله على تفويض تقرير حاصلة إجارة الغُرَف بدار السلام للضيافة في كل ثلاثة أَشْهُر إلى مؤسسة دار السلام كونتور و رئيس المعهد.

فإنّ الإنتاج في دار السلام للضيافة هو استئجار الغرف المبيتة والقاعة الاجتماعية، و الغرف المبيتة تتكون على ثلاث درجات، الأول الغرف على الدرجة العالية مجموعة غرفها ١٥ غرفة واستفادتها لمجلس الأعلى بمعهد دار السلام كونتور عند مشاورة في كل أول دراسة فيه، و ٨ غرف استفادتها ضيوف معهد دار السلام كونتور، الثاني الغرف المبيتة على الدرجة المتوسطة وعددها ٢٤ غرفة، استفادتها أولياء الأمور من الطلاب معهد دار السلام كونتور والمجتمع الذين يأتون إلى هذا المعهد لزيارة أبناءهم ولم يسمحوا المبيت في مكان قسم الضيافة باختلاط مع غيرهم، وجود دار السلام للضيافة ضروري لحفظ نظام الطلاب لأن لا يخرجوا من هذا المعهد مع أولياء أمورهم إلى الفندق الخارجي، والقاعة الاجتماعية التي **استفادها المجتمع** والمعهد لكن أكثر مستفيديها سكان المعهد. وعلى مسؤول دار السلام للضيافة أن يرقي خدمة الوقت لحفظ المكتب حتى لا يبحث الضيوف حارس المكتب عند تسجيلهم للمبيت فيه وأن يرقي طريقة التسجيل بالآلة الحديثة لسهولة الضيوف على تسجيل الغرفة.

ترقية الدخل من حاصلة إنتاج الخدمة في دار السلام للضيافة من سنة ٢٠١٨ إلى سنة ٢٠١٩ حتى وصلت على ٤,٨٦ % هذا دليل على كثرة الضيوف الذين يأتون إلى هذا المعهد لزيارة أبنائهم ولو في سنة

[٦٩] وهبة الزحيلي، المعاملات المالية المعاصرة (جمشق: دارالفكر، ٢٠٠٢)، ص ٤٢١.

٢٠١٩ بداية البلاء العامة في العالم، وترقية الدّخل بمتاعة ترقية الربح وترقيته حصلت ٤،٠٨ %، من هذه البيانة عرف الباحث على تنمية أصول الوقف في دار السّلام للضيافة ترقية عظيمة، لاسيما لو بزيادة الغرف المبيتة الكثيرة ويرتفع الدخل ارتفاعًا كبيرًا وسريعًا بالنظر إلى كثرة عدد الطلاب في معهد دار السلام كونتور ويكثر الضيوف إلى معهد دار السلام كونتور لزيارة أبناءهم.

الخاتمة

إن تنمية أصول الوقف في شِرْكَةِ لا تَنْسَ التَّعَاوُنِيّة معهد دار السلام كونتور على سبيل الاستثمار بسد جميع الأمور والوسائل المحتاجة لسير أنشطة وحدة الأعمال الموجودة فيها، وهي ببناء المباني التي فيها الأدوات الكاملة الشاملة من بداية تأسيس وحدة الأعمال حتى نهايتها. ومجموعة الاستثمار في وحدة الأعمال في شركة لا تنس التعاونية حتى بلغت ٣٤ وحدة الأعمال، تتكون من ٤ أنواع، وهي التجارة بلغت ١٤ وحدة الأعمال والإنتاج بلغت ٦ وحدات الأعمال والخدمة التجارية بلغت ١٢ وحدة الأعمال والفلاحة بلغت وحدتين، كل واحد منها يستخدم استثمار معهد دار السلام من المباني وما فيها لأنشطة الأعمال الإنتاجية عن أصول الوقف، وصِيغ الاستثمار فيها على صيغة المضاربة لحصول الأرباح المرجوة وتقسيم الأرباح في هذه الصيغة مخالفة على عرف عقد المضاربة الجارية في المجتمع أن المستثمر عليه لا يأخذ حقه بعد مراجة حسابة أصول الوقف في كل ثلاثة أَشْهُر ويكون حقه وقفًا لوحدة الأعمال وهذا العمل قد جرى مند بداية تأسيس وحدة الأعمال في معهد دار السلام، ونظرًا من ثلاث وحدات الأعمال وهي مطحنة الأرز ومصنع مياه دار السلام للشرب ودار السلام للضيافة أن تنمية أصول الوقف تنمية عظيمة في سنة ٢٠١٨ بلغت ٧٠،١٢٪ وفي سنة ٢٠١٩ بلغت ٩٤،١٨٪، بوجود التنظيم من جميع الأنشطة الموجودة فيها من تنظيم سُكّان المعهد على شراء جميع احتياجاتهم في وحدة الأعمال الموجودة في شركة لاتنس التعاونية، وتنظيم الأعمال الإنتاجية في كل وحدة الأعمال بالمراقبة الجيدة من مسؤول شركة لاتنس التعاونية، وتنظيم الأعمال الإدارية.

المصادر والمراجع

Alung, "Sekretaris Produksi Dan Pemasaran Amidas Gontor. Wawancara 20 April 2021," 2021.

Amidas, *Daftar Harga Distributor Dan Agen Amidas Mulai 01 Januari 2020*.

Amimah Oktarina Muhammad Iqbal Fasa, Azidni Rofiqo, "Model Pengembangan Wakaf Produktif Pondok Modern Darussalam Gontor Ponorogo," n.d., 16.

Burhanuddin, "Evaluasi Program Pendidikan Dan Latihan Pada Koperasi Pondok Pesantren," *Pengkajian Koperasi Dan UKM*, no. 2 (2006): 1.

Cahyo and Muqorobin, "Strategi Pengembangan Wakaf Berkelanjutan Sektor Pertanian Pada Yayasan Pemeliharaan Dan Perluasan Wakaf Pondok Modern (YPPWPM) Gontor Ponorogo."

Departemen Koperasi, *Akte Pendirian Koperasi Pesantren La-Tansa Pondok Modern Gontor* (Jawa Timur: Kantor Wilayah Propinsi Jawa Timur, 1996).

Hafid, Hanif *Wawancara Tentang Pengembangan Harta Wakaf Di Air Minum Darussalam Gontor*, 2021.

Imam Muchtar, *(Ketua Kopontren La-Tansa Pondok Moden Gontor), Dalam Interview Dengan Penulis 2 Maret 2021*, n.d.

Imam Zarkasyi Ahmad Sahal ،Zainudin Fanani ،"Piagam Wakaf Pondok Modern Gontor Ponorogo" (Ponorogo ،1958).

Koperasi, *Akte Pendirian Koperasi Pesantren La-Tansa Pondok Modern Gontor*.

M. Zam Zam Hazmi Perlindungan, *Wamancara Tentang Penggilingan Padi Di Pondok Modern Gontor*.

Mohammad Shamsiyah, "Ciri-Ciri Keuntungan Menurut Perspektif Islam," *2002* 10, no. 1 (n.d.): 2.

Muchtar, "Wawancara Tentang Kopontren La-Tansa."

Sabar, *Wawancara Tentang Pengelolaan Wisma Darussalam Gontor*, ٢٠٢١.

Sekretariat Badan Wakaf Pondok Modern ،*Peraturan Dasar Lembaga-Lembaga Dalam Balai Pendidikan Pondok Modern Gontor Ponorogo* (Ponorogo ،1995) ،pasal 3 ، 37.

Shobari, "(Ketua Yayasan Pemeliharaan Dan Perluasan Wakaf Pondok Moden Gontor Di Pesantren Gontor Ponorogo), Dalam Interview Dengan Penulis 20 Pebruari 2021."

Staf Kopontren, *Rekapitulasi Laporan Unit Usaha Koperasi La-Tansa Darusalam*, 2019.

Staf Yayasan ،"Data Tanah Wakaf Seluruh Indonesia," n.d.

Syamsuri ،"Model Pengembangan Ekonomi Berdikari Di Pesantren Gontor Berbasis Pengelolaan Kopontren" 4 ،No. 1 (2018): 2.

Takbir Lailatul Fitra and Abdul Rasyid, "Peran Kopontren Terhadap Perekonomian Masyarakat Sekitar Pondok Pesantren," *Iqtisaduna*, no. 25 (2016): 3.

Tim Redaksi Wardun ، *Wardun (Warta Dunia Pondok Modern Darussalam Gontor)* (Ponorogo: Darussalam Press ،2019).

Umar, Nasrudin. *Strategi Pengembangan Wakaf Tunai Di Indonesia* ،vol. 53 (Jakarta: Kementrian Agama ،2013) ،61.

Wardun, *Wardun (Warta Dunia Pondok Modern Darussalam Gontor).*

Gültekin, D. D., & Mohamed, H. E. D. I. (2021). التجربة الماليزية في التنمية المستدامة: المجال التعليمي أنموذجا. BALAGH-Journal of Islamic and Humanities Studies, 1(2), 184-202.

"المعجم: الغني," n.d.

أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي, كنز الدقائق (دار البشائر الإسلامية، دار السراج, ٢٠١١), ص ٥٢٢.

أحمد محمد عبد العظيم الجمل، دور نظام الوقف الإسلامي في التنميته الاقتصادية المعاصرة (القاهرة: دارالسلام، ٢٠٠٧)، ١٥٠.

جاسم سلطان, مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة حطوتك الأولى نحو فهم الاقتصاد (مكة المكرمة: مؤسسةأمالقرى, ٢٠١٠), ١٦.

حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، يسألونك عن المعاملات المالية المعاصرة) فلسطين: المكتبة العلمية و دار الطيب للطباعة و النشر، ٢٠٠٩)، ٩٧.

خالد بن علي بن خجمد المشيقح، الجامع للأحكام الوقف والهبات والوصايا (دولة قطر: إدارة الشؤون الإسلامية، ٢٠١٣)، الجزء ٣،ص ١٣١.

شوقي أحمد دنيا، علماء المسلمين وعلم الاقتصادابن خلدون مؤسس علم الاقتصاد) مكة المكرمة: جامعة أم القري، ١٩٩٣)، ص ٣٣.

عبد الحميد براهيمي، المدالة الاجتماعية والتنمية في الإقتصاد الإسلامي) بيروت: مركز دراسات الوحداة المربية، ١٩٩٨)، ص ١٧٩.

عبد الله بن عبد المحسن الطريق، الإقتصاد الإسلامي أسس ومباديء وأهداف) سعود: جامعة الملكسعود، ٢٠٠٩)، ص ١٥٦.

عَبد الله بن محمد الطيّار الفِقهُ الميَسَّر(الرياض: المملكة العربية السعودية، ٢٠١٢)، الجزء ٩، ص ٩١.

عكرمة سعيد صبري، الوقف الإسلامي بين النظرية ة التطبيق) الأزدن: دار النفائس لليسر و تلتوزيع، ٢٠١١)، ٨٩.

مجموعة من المؤلفين, موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع, ٢٠١٢), الجزء ٣ ص ٥٦٢.

محمد الطاهر الميساوي، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور (الأردن: محمد الطاهر الميساوي, ٢٠١٠), الجزء ٢ ص ٩٣١.

محمد مختار منتدى قضايا الوقف الفقهية الأول) الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠٠٣)، ص ١٧١ ١٧٢.

وهبة الزحيلي، المعاملات المالية المعاصرة (جمشق: دارالفكر، ٢٠٠٢)، ص ٤٢١.

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 09.10.2023 | Accepted: 04.12.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10362262
0009-0000-3600-0414

تعليم العربية بالصلوات الجهرية

منهج مقترح لتفعيل دور المسجد في تعليم العربية (سلطنة بروناي أنموذجا)

Teaching Arabic Through Loud Prayers
A Proposed Curriculum To Activate The Role Of The Mosque in Teaching Arabic (The Sultanate Of Brunei As A Model)

محمد السيد محمد*

Mohamed Elsayed Mohamed

ملخص

ليس على من تأخر عن دراسة العربية حرج إذا ما أراد أن يتعلمها في الكبر، وما كان لمسلم محب للعربية من الناطقين بغيرها إذا أراد تعلمها أن يجد حائلا يمنعه. بل حقيق على المختصين بها والمعتنين أن يقربوها إليه أينما تولى، فثم باب لتعلمها مفتوح أمامه. فإن فاتته فرصة في صغره هيئت له فرص في كبره؛ فما سعيه إليها إلا حرصا على الإسلام، وما تقربه إليها إلا حبًّا في القرآن. فإذا كان تعليم العربية – في الغالب – لغرض ديني، فملاك الأمر فيه دمج دراستها بالقرآن الكريم؛ فإما أن نذهب بالقرآن إلى مدارسنا لنعلمه في كتب العربية، وإما أن نذهب بكتب العربية إلى القرآن في مساجدنا؛ لنعلمه هناك بمنهج مخصص فريد لا يشعر فيه الدارس بثقل في الدراسة ورتابة في الأداء. فما هذا المنهج؟ وما آلية تحقيقه وإنجاحه؟ إن إيجاد منهج لتعليم مرتادي المساجد بطريقة ميسرة غير تقليدية من خلال حضور الصلوات الجهرية هو الهدف من هذه الدراسة، وللإبقاء على فتح باب تعلم العربية والتقرب إلى القرآن الكريم مدى حياة المسلم تكمن قيمة البحث وأهميته، ولمعرفة مفردات المنهج المقترح وتحديد الخطوات التعليمية وضبط آلياتها يسير البحث في ركاب المنهج الوصفي

* Dr. Sultan Sharif Ali Islamic University. Brunei. ORCID: 0009-0000-3600-0414 E-Mail: mohamadelsayed16@gmail.com

التحليلي؛ ليفصح عن نتائج قيمة وملهمة منها الثراء اللغوي الكبير لآخر ست سور في القرآن والذي يكفل بإعطاء خلفية واضحة عن اللغة العربية بل هو بداية جادة لمن أراد تعلمها؛ وذلك لما لها من خصوصيات تدعو إلى تكرارها وحفظها وتأملها. إنها السور المكررة في معظم الصلوات الجهرية بسلطنة بروناي دار السلام والتي رأى الباحث ضرورة تأمل هذه الظاهرة، والسعي للاستفادة منها فكان هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: تعليم العربية – تفعيل – دور المسجد – الصلوات الجهرية – منهج مقترح.

Abstract: There is no blame on anyone who is late in studying Arabic if he wants to learn it in his old age, and if a Muslim who loves Arabic and is a non-native speaker, if he wants to learn it, there will be no obstacle to prevent him. Rather, it is necessary for those who specialize in it and those who care about it to bring it closer to him wherever he takes office, as the door to learning it is open to him. If he missed an opportunity when he was young, opportunities were created for him when he was older. His pursuit of it was only out of concern for Islam, and his approach to it was only out of love for the Qur'an. If the teaching of Arabic is - in most cases - for a religious purpose, then the matter is to integrate its study with the Holy Qur'an. Either we take the Qur'an to our schools to teach it in Arabic books, or we take Arabic books to the Qur'an in our mosques. Let us teach him there with a unique customized curriculum in which the student does not feel burdened by studying and monotonous in performance. What is this approach? What is the mechanism for achieving and making it successful? Finding a curriculum to teach mosque-goers in an easy, non-traditional way through attending aloud prayers is the goal of this study, and to keep the door to learning Arabic and getting closer to the Holy Qur'an throughout a Muslim's life open, lies the value and importance of the research. To know the vocabulary of the proposed curriculum, determine the educational steps, and control its mechanisms, the research is easy. In the context of the descriptive analytical approach; To reveal valuable and inspiring results, including the great linguistic richness of the last six surahs in the Qur'an, which provides a clear background on the Arabic language, and is even a serious beginning for those who want to learn it. This is because of its characteristics that call for its repetition, memorization, and contemplation. They are the repeated surahs in most of the loud prayers in the Sultanate of Brunei Darussalam, and the researcher saw the need to contemplate this phenomenon and strive to benefit from it, so this research was conducted.
Keywords: Teaching Arabic - activation - the role of the mosque - loud prayers - a suggested curriculum.

مقدمة

اهتمام كبير، وبناء مدارس، وابتعاثات طلابية، واستجلاب معلمين؛ كل ذلك أمور محمودة تقوم بها حكومات بلاد الملايو لتعليم اللغة العربية ونشرها – كما لمس الباحث خلال إقامته بإحدى دولها –سلطنة بروناي–؛

ومع ذلك نرى مخرجات لا تعادل جهودا، ونتائج لا تكافئ نفقات مبذولة. وبقيت اللغة العربية أسيرة بين جدران مدارسها، ودفتي كتبها!

إنها معادلة مكررة رتيبة توجب علينا إطلاق العنان لأحلامنا نستلهم أفكارا وطرقا جديدة نحقق من خلالها ما لم نستطع تحقيقه بالطرق الاعتيادية. إن ضعف المردود وتواضع الناتج بالنسبة لما يبذل أمر يستدعي وقفة متأملة لمعرفة الأسباب؛ وللتفكير في تجديد تعليم العربية بتقويم الطرق الحالية، أو باستخدام طرق مستحدثة.

ويرى البحث أن تجديد الدرس التعليمي، واستغلال الفرص المتاحة التي لا تحتاج إلى مزيد من الجهود والنفقات منحة إلهية عظيمة، ويدُ عونٍ من الله تهدينا لتعليم مميز مرتبط بشعائر الإسلام وكتاب الله.

وبتوفيق من الله وجد الباحث سبيلا إلى إحدى هذه الطرق؛ إنه القرآن والمسجد، الكتاب والمدرسة، الاتصال والممارسة؛ إنه تعليم للعربية من خلال الصلوات الجهرية.

وقد دفع الباحث إلى اختيار وتبني هذه الفكرة ما لمسه من حرص بعض المصلين بالمسجد على السؤال عن أحكام تجويد، وأحيانا التطرق إلى السؤال عن اللغة العربية؛ نظرا لكون الباحث عربيا.

أما عن اختيار الصلوات الجهرية؛ فذلك لأن ما يُقرأ فيها سيكون أساسا للمحتوى الدراسي المقترح؛ فبسماع السور التي تقرأ فيها تنشط الذاكرة، وتسترجع ما حفظته. وعن اختيار قصار السور (آخر ست سور) فذلك لقصر آياتها، وكثرة موضوعاتها وتعددها، ومكانتها لسهولتها، وانتشار مفرداتها، وحفظ المسلمين الناطقين بغير العربية لبعض سورها، وفهم بعض مفرداتها الدارجة في لغتهم؛ فكان ذلك ترشيحا لها لتكون أساسا للمحتوى التعليمي المقترح.

وفي الختام؛ هي فكرة لا يدعي الباحث كمالها؛ لكنها محاولة ستظل بين يدي التقويم. وهي تجربة يتجاذبها الفشل والنجاح؛ وإن كان يغلب على الظن نجاحها بإذن الله.

والأفكار الجديدة معينها لا ينضب ما نبضت الحياة على وجه الأرض.

مشكلة البحث

تعطش المسلمين من غير العرب لدراسة اللغة العربية نابع من شوقهم لفهم القرآن وحبهم للإسلام، وهناك زُمر من هؤلاء لم تقبل على دراستها نظاميا، أو نسيت ما درسته، ولكن أعينهم لا تزال شاخطة إلى مدارستها وتعلمها.

وبما أن تعلم العربية يكون لغرض ديني –على الأغلب– فإن ساحات المساجد وما يُتلى فيها من قرآن كريم هي المنبت الخصيب لتعليم أولئك.

ومن هنا تتجلى فكرة البحث في تقديم منهج قرآني تعليمي للغة العربية من خلال الصلوات الجهرية بالمسجد؛ لسد هذه الثغرة، وتحقيق ما يصبو إليه الراغبون في تعلم العربية من الناطقين بغيرها.

إذن؛ هذه الدراسة هي استعانة بالقرآن لتعليم العربية، ثم فهم القرآن. فهي تعليم للقرآن بالقرآن.

أسئلة البحث

ما المحتوى اللغوي والثقافي الذي يمكن استنباطه، واستخلاصه من آخر ست سور من القرآن لتعليم العربية للناطقين بغيرها؟

ما طريقة المتن القرآني. وطريقة موضع اللَّبِنات. وما آلية الشرح بهما؟

ما التصميم النموذجي لوحدة تعليمية على المنهج المقترح؟

أهداف البحث

١- استنباط، واستخلاص محتوى لغوي، وثقافي من آخر ست سور من القرآن لتعليم العربية للناطقين بغيرها.

٢- التعريف بطريقة المتن القرآني، وطريقة موضع اللَّبِنات، وآلية الشرح بهما.

٣- تصميم وحدة تعليمية نموذجية على المنهج المقترح.

أهمية البحث

استثمار الصلوات الجهرية بالمساجد في تقريب، ونشر العربية بين الشعوب الإسلامية الناطقة بغيرها. فتح مجال تعليمي جديد لتدريس اللغة العربية خارج عن النمط التقليدي.

منهج البحث

يتبع البحث المنهج الوصفي؛ فهو يصف الطريقة المطروحة ابتداء بالمحتوى التعليمي، وانتهاء بآلية تطبيقه.

حدود البحث

المحتوى التعليمي: من سورة (الكافرون) إلى سورة (النَّاس). بالإضافة إلى سورة الفاتحة.

هيكل البحث

المقدمة وأساسيات البحث

تمهيد عن أهمية العلم، وفضله في القرآن الكريم

المبحث الأول: المحتوى التعليمي؛ تعريفه، ومكانته، والمحتوى اللغوي والثقافي في آخر ست سور

المطلب الأول: المحتوى التعليمي، تعريفه، ومكانته

المطلب الثاني: المحتوى التعليمي (اللغوي، والثقافي) في آخر ست سور من القرآن

المبحث الثاني: طريقة المتن القرآني، وموضع اللَّبِنات، وآلية شرح المنهج المقترح من خلالهما.

المبحث الثالث: تصميم وحدة تعليمية على المنهج المقترح

تمهيد: أهمية العلم، وفضله في القرآن الكريم

يستلزم الحديث عن التعليم في القرآن الكريم التعرف على نظرة القرآن للعلم، فبين العلم والتعليم علاقة أهمية، واهتمام، وهي علاقة طردية، فكلما زادت أهمية العلم زاد معها الاهتمام بالتعليم.

فإذا ما نظرنا بين دفتي المصحف الشريف؛ وقلبنا صفحاته نجد أنه من أوله إلى آخره يحتوي على تعليم بأساليب مختلفة؛ فالمعوذات وهي من أوائل السور التي يبدأ النشء بقراءتها وحفظها —في الغالب– تبدأ بـ (قل) وما فيها من تصريح بعملية التعليم، فهي أمر دل على تلقين من معلم (الله) إلى متعلم (رسوله) بمعارف (محتوى علمي) ليتعلمها، ويُعلمها، فيرسخ في ذهن المتلقي أن القرآن من عند الله أنزله على رسوله –صلى الله عليه وسلم– بتعاليم لينفذها، ويأمر بها النَّاس. فما أعظمه من تعليم يتلقاه الصغار عند أول مُماسَّة لهم بالكتاب العظيم.

لكن الوضع يختلف كمًا وكيفًا للأسوب التعليمي عند قراءة القرآن من أوله. فهو أول ما يبدأ به الكبار من المسلمين وغيرهم على سبيل التعرف على ما جاء في القرآن الكريم. فعند قراءة القرآن من أول سورة البقرة نجد أنها تبدأ بحروف لم يستطع أحد تأويلها،– على كثرة الاجتهادات فيها–؛ وهذا يوحي بقلة علم الإنسان وحاجته الدائمة إليه، ليتم الحديث بعدها عن الكتاب؛ ﴿ الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ [1] وقيمة الكتاب معلومة، ومعلوم أنه مصدر مهم من مصادر التعلم، ثم يصرح القرآن بعد ذلك بقيمة العلم وتعلمه في قصة خلق آدم – عليه السلام– ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا ﴿30﴾ ج[2] وأذن للملائكة في الحوار فكانت إجابتهم – حسب علمهم– ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ج[3] وكان الجواب ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [4] إنه علم الله، ولا علم إلا منه، إنه العلم قيمة ورفعة، يحدث التطور العظيم لهذا المخلوق الجديد؛ أعطى الله آدم من علمه ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ج[5] فعظم القدر وبان الفضل، وتأكد أن عظمة هذا المخلوق الجديد إنما تكمن في علمه، فوجبت عندئذ تحيته ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿30﴾[6]. استجابة لأمر الله، وإذعانا لحكمته، واعترافا بسعة علمه؛ قالوا سبحانك.. وفي ذلك إشارة إلى أن الجهل هو سبب الإفساد في الأرض، وأن العلم هو سبب الخشية، فبه يرتقي المؤمن لينال المنزلة السامية، والقربة العالية، فلا زلفى إلا بخشية، ولا خشية إلا بعلم ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٣٠﴾.[7]

وصار العلماء يغترفون من علومه؛ كلما برعوا في فن وجدوا أن القرآن قد سبق إليه تصريحا أو إشارة فعدوا ذلك إعجازا، وأضحى الإعجاز إعجازات في الطب والفلك والحساب و... بعدما كان مقصورا على البلاغة واللغة فقط.

وها هو كتاب الله ونوره المبين يفجر لنا من ينابيع علومه ما نتزود به ونزود به إخوتنا في الإسلام من الراغبين في تعلم العربية من الناطقين بغيرها.

وبتوفيق من الله رأى الباحث – من خلال تجربته الشخصية، وخبرته التي تجاوزت ثلاثين عامًا في تدريس القرآن الكريم، واللغة العربية أن ثمة علاقات مؤتلفة بإتقان، وخيوطًا منسوجة بإحكام في أواخر سور القرآن (كلمات وآيات وسور)، تمهد الطريق لتعلم اللغة العربية، من البداية إلى الوصول لمستوى متقدم، وتأخذ بأيدي الدارسين إلى تعلمها بطريقة منظمة حكيمة.

---

[1] سورة البقرة: الآية ١ – ٢
[2] سورة البقرة: الآية ٣٠
[3] سورة البقرة: الآية ٣٠
[4] سورة البقرة: الآية ٣٠
[5] سورة البقرة: الآية ٣١
[6] سورة الحجر: الآية ٣٠
[7] سورة فاطر: الآية ٢٨

وبحساب دقيق وفهم عميق؛ يمكن أن تُستخلص مبادئ اللغة العربية الأساسية؛ ويُستنبط منها منهج لتعليم الناطقين بغيرها بطريقة سهلة ميسرة. فهؤلاء هم أحوج الدارسين إلى تيسير تعلّم القرآن، واللغة العربية؛ فهم السواد الأعظم للمسلمين في كل العصور من بعد الفتوحات المباركة، وحتى الآن.

إنها سلسلة تبدأ بهذه الحلقة ثم تسلم العملية التعليمية إلى حلقة أخرى – مجموعة سور أخرى مجاورة –وهكذا دواليك إلى أن تكتمل، وتتحقق الأهداف التعليمية المخطط لها من قبل.

فليس بمستغرب على كتاب الله أن يحشد تلك الحشود من المهارات، والقواعد اللغوية في صفحتين اثنتين فقط؛ وأن يكون من أسرارها تعليم اللغة العربية لأهل الإسلام في كل زمان ومكان؛ بطريقة غير مشعرة للدارسين بالرهبة من دراسة اللغة العربية لصعوبتها، وثقلها؛ حيث تكونت هذه الصورة بين البروناويين، وربما شعب الملايو كله منذ زمن، وأكد عليها صعوبة المناهج التي تُدرِّسها لا صعوبة اللغة نفسها، فالعربية من الصعوبة براء، وقد آن أوان تغيير هذه الصورة، ووضع العربية في مكانها اللائق بها من الرفعة، والسهولة بإذن الله.

المبحث الأول: المحتوى التعليمي، تعريفه، ومكانته، والمحتوى (اللغوي والثقافي) في آخر ست سور

المطلب الأول: المحتوى التعليمي، تعريفه، ومكانته

المحتوى التعليمي هو ثالث ضلع أساسي في مثلث التعليم بعد المعلم والمتعلم، "ويشمل محتوى المنهج كافة الخبرات والمعارف والمعلومات والمهارات والاتجاهات التى يسعى المنهج لإكسابها للمتعلم. كما يشير محتوى المنهج أيضا إلى المعلومات المكتوبة، والمصطلحات، والمفاهيم، والمبادئ، والقوانين، والنظريات، والرسوم التوضيحية، والأنشطة، والتمرينات والأسئلة والاختبارات ... الخ ، المنصوص عليها فى وثيقة المنهج التى تكون غالبا الكتاب الدراسى.

وقد يخلط البعض بين مصطلحى المنهج والمحتوى؛ ويعرف محتوى المنهج بأنه: كل ما يضعه القائم بتخطيط المنهج من خبرات تفصيلية للموضوعات المقررة، سواء كانت خبرات معرفية، أم مهارية، أم وجدانية، بهدف تحقيق النمو الشامل والمتكامل للمتعلم أي أن المحتوى هو المضمون التفصيلي للمنهج والذي يجيب عن التساؤل: ماذا ندرس ؟"[٨]

[٨] النجار، فاطمة كمال. **مناهج وطرق تدريس.** https://faculty.psau.edu.sa/f.elnaggae/page/5570

أما مكانته في العملية التعليمية فلا يمكن إغفالها "فالمحتوى التعليمي عامة، والمحتوى اللغوي لكل مقرر تعليمي خاصة يمثل القلب النابض للمنهاج؛ ولذلك لا يكون اختياره عشوائيا، وإنما تجتهد كل منظومة تعليمية في اختيار محتواها اللغوي وتنظيمه، وتبدأ هذه العملية باختيار النمط اللغوي بما في ذلك نوع الأسلوب وشكل الأداء، ثم اختيار مواده أو ميادينه اللغوية ومفرداتها في المستوى الصوتي والصرفي والنحوى والمعجمي، ويعقب مباشرة عملية الاختيار عملية أخرى لا تقل عنها أهمية وهي عملية التنظيم والتدرج حيث تتم هذه العمليات وفق معايير وأسس علمية، مع مراعات الجوانب النفسية، والاجتماعية، وبتحديد الغايات البيداغوجية، والمستوى اللغوي المطلوب للفئة المحددة والمعارف السابقة التي تبنى عليها، والوقت المخصص لهذه العملية، وغير ذلك مما يجعل تعليم اللغة يحقق أهدافه مع كل فئة من الفئات."[٩]

إذن المحتوى التعليمي (اللغوي) هو معلومات ومعارف تحقق أهدافا تعليمية؛ تُقدَّم للطلاب في أشكال متعددة؛ ويكون باختيار نمط لغوي على المستويات الأربعة، وبطريقة منظمة متدرجة، تحدد فيها الغايات،

وتراعى فيها عدة جوانب حسب مستوى الطالب، والوقت المخصص له. لأن "من أبرز سمات منهج تعليم اللغة الأجنبية وأهم مواصفاته أنه يحتوي على المحتوى اللغوي، مما يعني أنه يتكون من المقررات اللغوية المراد تقديمها للمتعلمين وتزويدهم بها، والأمر نفسه مما يجب أن يتّسم به منهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إذ إن هدفه الأساسي هو تزويد المتعلمين الأجانب بما يساعدهم على إجادة اللغة العربية بشكل متكامل في كل جوانبها، هذا يعني أنّ منهج تعليم اللغة العربية يجب أن يحتوي على كل جوانب هذه اللغة من مهاراتها وفروعها وفنونها"[١٠].

وهذا ما يمكن أن نصف به ما جاء من مادة لغوية في السور الست الأخيرة. فما جاء فيها من مهارات اللغة العربية تأخذ بأيدي المبتدئين شيئا فشيئا بنظام دقيق حتى يصلوا إلى مقام لغوي محمود يجعلنا نردد ونؤكد على أن هناك حكمة إلهية تقف وراء ذلك النسق العظيم؛ لأن "عملية تصميم المحتوى اللغوي للمنهج ليست عملية عشوائية يوجهها ذوق فردي، إنّما هي عملية هادفة دقيقة تستند إلى أسس لغوية

---

[٩] السعيد، خلايفة . **اختيار المحتوى اللغوي للمقرر التعليمي في ظل معايير التنظيم الأسس والمقاييس.** https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/130/10/1/45533 آخر تحديث بتاريخ ٣٠-٠٥-٢٠٢٣م

[١٠] أمبوسعيدي، مصطفى بن حمد بن سعود. **الأسس اللغوية لبناء منهج تعليم اللغة العربية–للناطقين بغيرها–** كلية السلطان قابوس لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها https://alwatan.com/details/179047 .

واضحة. "[١١]. وقد حدد (أبو لبن) الأسس التي يستند إليها بناء منهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها فيما يلي: "١- الخبرة اللغوية:

يقصد بالخبرة اللغوية الموقف اللغوي التعليمي الذي يهيأ، ويعد لكي يعايشه الطالب، ويمارس من خلاله استعمال اللغة، ويحتك بمحتواه وينفعل به ليخرج منه، وقد اكتسب مجموعة من المعلومات والمعارف عن اللغة واستخداماتها، ومجموعة من مهارات الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة، وقدرة على التفكير باللغة والتعبير عما يريد، مع تقدير لثقافتها وثقافة لغته.

أنواع الخبرة اللغوية: ونعني بها أن يتعلم الدارس اللغة، ويكتسب مهارات استعمالها من خلال نوعين من المواقف؛

أولهما: مواقف طبيعية حقيقية يمارس فيها الطالب تعلم اللغة في موطنها وبين أبنائها والمتحدثين بها، وهذه

تسمى الخبرة المباشرة في تعلم اللغة واكتساب مهاراتها.

ثانيهما : مواقف تعليمية غير مباشرة يتعلم فيها الطالب اللغة عن طريق مواد تعليمية مختارة، ومنظمة في مؤسسة تعليمية متخصصة خارج وطنها وبعيداعن متحدثيها، وفي هذه الحالة تدعم هذه الخبرة غير المباشرة باستعمال الكتب والتدريبات .....، وقد يستعان في هذه الحالة بمعلمين من أبنائها."[١٢]

وللخبرة اللغوية مقومات تستند إليها، وإلا أصبحت العملية التعليمية عشوائية تفتقد نظاما،وتفقد فائدة.

مقومات الخبرة اللغوية، وشروطها:

الاستمرار: ونعني به أن تصاغ المواقف اللغوية وتقدم بشكل متدرج، ومستمر بحيث نبدأ بتقديم خبرة لغوية بسيطة وضيقة، ثم مع تقدم الطالب في مستويات تعلم اللغة تزداد الخبرة اتساعاً وعمقاً. مثال ذلك في القواعد: لو فرض وأردنا أن نقدم الفاعل، فلا ينبغي أن نقدمه دفعة واحدة، وإنما قد نقدم الفاعل المفرد المرفوع بالضمة، ثم بعد ذلك الفاعل المثنى ...، وهكذا في مراحل متتالية.

---

[١١] المصدر السابق

[١٢] انظر: أبو لبن، وجيه المرسي. (٢٠١٢م). **أسس بناء مناهج تعليم اللغة الناطقين بغيرها** https://kenanaonline.com/users/maiwagieh/posts/407137 . بتصرف.

التكامل : ونعني به أن تتكامل جوانب الخبرة اللغوية وتترابط، بحيث يتكامل ويرتبط تدريس الاستماع بتدريس الكلام بتدريس القراءة بتدريس الكتابة، ويرتبط المحتوى اللغوي بالمحتوى الثقافي.

التتابع : ويقصد به البدء بتعلم الجوانب السهلة والبسيطة والانتقال منها إلى الصعب والمعقد بحيث يبنى اللاحق على السابق، وتمهد الخبرات اللغوية السابقة للخبرات اللاحقة.

الاتزان : ويعني ألا يطغى جانب في الموقف اللغوي التعليمي على جانب آخر، حيث لا ينبغي أن نهتم بمهارة لغوية على حساب مهارة أخرى." [١٣]

وهل يوجد خلاف على أن كل شيء في القرآن إعجاز؛ بما في ذلك ترتيب كلماته، ومواضعها، ومواضيعها وترابطها، وتكاملها...

إن أهل القرآن يقرؤونه، ويسمعونه، ويتلونه. إنها معايشة للعربية –وإن كانت محدودة– لكن لها من الفوائد ما لها، وهذا أحد أنواع الخبرة اللغوية.

وبمقارنة مقومات وشروط الخبرة اللغوية التي حدها (أبو لبن) نجد أنها شبه متطابقة مع المنهج التعليمي المقترح في هذا البحث؛ فالاستمرار، والتكامل، والتتابع، والتوازن هي صاري البحث وشراعه؛ أقيم عليها ويُوجّه من خلالها؛ فالمنهج المقترح مستمر يبدأ بالخبرات اللغوية البسيطة، وهو متكامل يربط بين تدريس فروع اللغة بالتوازي، متتابع يبني اللاحق على السابق، متوازن لا يهتم فيه بمهارة على حساب أخرى.

ولكي تكون الصورة أكثر وضوحا لا بد لنا من الحديث بشكل أدق، وأوسع عن المحتوى التعليمي ومكوناته، ومعاييره، ومقابلة ذلك بمحتويات آخر ست سور من القرآن اللغوية والثقافية. فالكفاية اللغوية هي أساس تعلم اللغة؛ فهي تزود الطالب بالمهارات الأربع (القراءة، والكتابة، والاستماع، والتحدث) فإذا ما وضعت في قالب ثقافي يمد الطالب بمعلومات ومفاهيم للثقافة الإسلامية والعربية تحققت الكفاية الثقافية، وهذا ما يفترضه البحث؛ أن وجود هاتين الكفايتين في أواخر سور القرآن وافٍ متكامل. وبتحقق تعلم الطالب لهاتين الكفايتين يسهل عليه تحقيق الكفاية الثالثة؛ وهي الكفاية الاتصالية التي تعد قابسًا يقتبس من الرافدين الأساسيين (علوم اللغة – الثقافة). فإلى أي مدى يمكن أن يقال إن أواخر سور القرآن تحتوي على الكفايتين اللغوية والثقافية؟ وللإجابة عن هذا السؤال نُتيح للبحث الحديث عن المحتوى التعليمي.

إن البداية الصحيحة لتعليم الطالب الناطق بغير العربية هو تدريبه على حسن الاستماع والتركيز في نطق الحروف والكلمات بطريقة صحيحة؛ "وهذا يعني أول ما يعني الدور الكبير لتدريس القرآن الكريم في تنمية المهارات الأساسية لدى التلاميذ، بل إنه إذا كان يشارك المواد الأخرى في هذا الهدف بعد معرفة

[١٣] المصدر السابق بتصرف.

الطالب القراءة والكتابة، فإنه ينفرد ببناء القاعدة الصلبة للتلميذ قبل ذلك بتعويد أذنه على سماع الكلمات التي لم يتعلمها من قبل في مجتمع البيت، والشارع، وتعويد لسانه على النطق بها، وتعويد ذهنه وذاكرته على التعامل معها، ومحاولة فهمها، وإدخالها في الذاكرة لأول مرة"[١٤]. فكثرة الاستماع إلى أي لغة يكسب الطالب إحساسا بها، ومِن بَعدُ يتهيأ جهازه النطقي بالترديد المتواصل لكلماتها بطريقة صحيحة.

ويؤكد (طعيمة) على هذا المعنى فيقول: "إن تعلم اللغة يتم على مستويين: أولهما استقبال هذه اللغة. وثانيهما توظيف هذه اللغة؛ وعلى سبيل التفصيل يمكننا القول: إن المتعلم الجيد للعربية هو الذي يصل بعد جهد يبذله في تعلم هذه اللغة إلى المستوى الذي يمكنه من:

١- إلف الأصوات العربية والتمييز بينها وفهم دلالاتها والاحتفاظ بها حية في ذاكرته. ويتطلب الوصول إلى هذا المستوى أن يكون الدارس ذا قدرة على التمييز الصوتي كما يسميها كارول (القدرة على الرموز الصوتية).

٢- فهم العناصر المختلفة لبنية اللغة العربية وتراكيبها: والعلاقات التي تحكم الاستخدامات المختلفة لقواعد اللغة؛ ويتطلب الوصول إلى هذا المستوى أن يكون الدارس قادرا على فهم الوظائف المختلفة للتراكيب اللغوية وإدراك العلاقة بينها كما يسميها كارول بـ (الحساسية النحوية)

٣- استقراء القواعد العامة التي تحكم التعبير اللغوي، والتمييز بين الدلالات المختلفة للكلمة الواحدة والمعنى المتقارب للكلمات المختلفة. ..... ويتطلب الوصول إلى هذا المستوى أن يكون الدارس متمتعا بالقدرة على (التعليل الاستقرائي) كما يعبر عنه كارول."[١٥]

وبمضاهاة هذه المعايير بما جاء من علوم ومعارف في السور الست الأخيرة نجد أن هذا يحدث بالفعل للطالب عندما يكون احتكاكه الأول باللغة العربية عن طريق القرآن الكريم؛ فهو المنبع الصافي الوافي لتعلم العربية في أحسن صورها؛ وذلك لأن نطق الحروف وتجويدها هو المدخل الأجدر لإتقان لغة القرآن؛ ولأن التركيز على المدخلات الصحيحة القويمة حري بأن ينتج المخرجات سليمة دقيقة. هذا بالنسبة للبند الأول فيما ذُكر.

---

[١٤] القرعاوي، سليمان بن صالح. **حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية**. https://ketabonline.com/ar/books/17092 . ص٥.

[١٥] طعيمة، رشدي. مناع، محمد السيد. (١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م). **تدريس العربية في التعليم العام (نظريات وتجارب)**. دار الفكر. القاهرة. ص ٤٨

أما بالنسبة للبند الثاني؛ فهذا ما يؤسس له المحتوى المقترح الذي بين أيدينا؛ بتزويد الدارس بالمهارات، والقواعد اللازمة لفهم العربية عند الاستماع، والقراءة، وعند التحدث، والتعبير.

أما البند الثالث؛ فيكتمل بدراسة المراحل التالية من قصار السور مع الدراسة المتخصصة للغة العربية في مراحل تعليمية عُليا.

المطلب الثاني: المحتوى اللغوي، والثقافي في آخر ست سور من القرآن الكريم

أولا: المحتوى التعليمي اللغوي

إن اتسام مصممي المحتويات الدراسية بالمرانة والمرونة يضفي على مؤلفهم جاذبية وقبولا، وإلا حال الأمر عزوفا ونفورا، وضاعت الفرصة، وأتى مكانها لهف، وحسرة. ولنضع في الحسبان أن هذا مدخل لتعليم المهارات؛ فلا بد أن يكون سهلا لينا مشوقا، وأن تكون دراسته فاتحة للشهية سهلة الهضم.

ففي الوقت متسع، وفي المكان متسع، وفي النفس متسع.

المرحلة الأولى: يتعلم فيها الطالب [١٦]

أ. الحروف: يشمل المحتوى اللغوي في (السور الست) أغلب الحروف؛ وبعض هذه الحروف مذكورة بأشكالها وسكونها كاملة مثل: (السين، النون) ، وبعضها لم يذكر في جميع حالاته؛ فيحال الشرح ساعتئذ إلى طريقة موضع اللَّبِنات؛ كما سيتبين فيما بعد.

إن معرفة القراءة من المصحف الشريف سيوفر كثيرا من الوقت والجهد؛ وهذا حال مرتادي المساجد الذين يجلسون لقراءة القرآن بعد الصلوات. أما من يحتاج إلى مراجعتها أو تعلمها فالفرصة لا تزال سانحة.

كما يُراعى عند تدريس الحروف بأشكالها أن يتعلم الدارس نطق الحرف عند الوقف، وعند الوصل.

ب. المهارات: يشتمل المحتوى أيضا على كلمات بها مهارات لغوية لتكون أساسا للمتون القرآنية التعليمية؛ وهي:

١) الشدة.

يوجد العديد من الكلمات التي تحتوي على الأنواع الثلاثة للشدة مع الفتح، مع الكسر، مع الضم في كلمات مثل: (النَّاس – شرِّ – أيُّها)

٢) المدود

[١٦] هذه رؤية الباحث، وفي الأمر آراء كثيرة وسعة، وهي على الإجمال لا التفصيل مقترحات تمثل خلاصة خبرة الباحث.

تكثر المدود بأنواعها (الألف – الواو – الياء) في هذه السور ومنها (النَّاس، الوسواس، النفاثات، حاسد، يدا، ما – أعوذ، صدور، الكافرون، تعبدون، عابدون– دينكم، أبي، في، جيدها)

٣) ال الشمسية والقمرية

تتعدد المواطن التي بها كلمات تبدأ باللام الشمسية والقمرية ومنها ما يوجد في سورة واحدة: (النَّاس – الوسواس، الخناس، الجنة) ومنها ما هو موزع على سور متعددة (الفلق، الحطب، الفتح، الكافرون – النفاثات، الصمد)

٤) همزة القطع وألف الوصل

في سورة النَّاس نجد أنها جمعت بين كلمات بها همزة قطع، وكلمات بها ألف وصل (أعوذ– إله–النَّاس، الوسواس، الجنة)؛ وباقي السور (إذا، أحد،أبي.. – الفلق، النفاثات، الصمد، امرأته..)

٥) التنوين: تحوي الصفحات كلمات بها تنوين (بالكسر، والفتح، والضم)؛ (غاسقٍ، حاسدٍ، لهبٍ، مسدٍ – كفوًا، أفواجًا، توابا– أحدٌ، حبلٌ)، يمكن الاستعانة بها عند شرح المهارة، ويمكن تأجيل الشرح إلى المرحلة المقبلة – حسب رؤية المعلم–.

٦) الغنة والقلقلة

ومن الغنة؛ النَّاس، الخناس، الجِنة، إنّه، حمّالة، مِن مَّسد.

ومن القلقة؛ الفلق، خلق، وقب، العقد، حسد.

أما الدعائم المؤسسة لقواعد اللغة العربية فكان لها حظ وافر من الذكر في هذه السور، ومنها:

٧) أقسام الكلمة : معنى كلمة (حرف) (حروف المعاني)، تشتمل السور أيضا على حروف مختلفة مثل: (من ، في، و، لا، لم) ويحسن الاكتفاء بهذه الحروف، ويكون طرحها لشرح معنى كلمة حرف فقط، ولا داعي للدخول في التفاصيل.

٨) معنى كلمة (اسم). مع الأمثلة (الله، النَّاس، الوسواس (الشيطان)، لهب، الحطب، نصر، الفتح...) مع شرح المعاني الميسرة إن أمكن.

٩) معنى المركّبات، وشرح الأسماء المركبة؛ المركب الإضافي، والمركب العطفي.

إن تدريس المركبات من الأهمية بمكان، وبالرغم من ذلك لا تنتبه إليه كتب كثيرة، فهو يسهل شرح دروس كثيرة فيما بعد؛ ومن هذه المركبات في السور الست المركب الإضافي؛ (رب

النَّاس. ملك النَّاس. إله النَّاس. شر حاسدٍ. أبي لهبٍ...). والمركب العطفي (الجنة والنَّاس، ماله وما كسب، نصر الله والفتح ..)

١٠) معنى كلمة (فعل). وأمثلة عليها مع تعريف مبسط لأنواع الفعل، ومما ذكر من الأفعال (أعوذ، يوسوس، خلق، حسد، فسبح، واستغفره). ويكتفى بتعريف معنى كلمة (فعل) فقط.

١١) التذكير والتأنيث.

المذكر مثل: (رب، إله، ملِك، وأبولهب)، والمؤنث مثل: (نارا، حبل، امرأته)

١٢) المفرد والمثنى والجمع.

المفرد: (رب – إله – ملك) والمثنى: (يدا) والجمع: (النَّاس – الكافرون)

١٣) الضمائر. أنا – أنتم – هو

تجدر الإشارة إلى التعريف بالضمائر تعريفا مبسطا، وأمثلته: (ولا أنا– ولا أنتم – هو الله)

١٤) حروف الجر (من، في، الباء)

ويقصر شرح المعلم فيها على أنها حروف تأتي قبل الأسماء فتلزمها كسرة في آخر حرف.

(بربِّ – من شرِّ – في صدورِ). على ألا يسرف في الشرح؛ فالمقام تمهيدي، ولا يتسع للإسهاب.

١٥) معنى الجملة الفعلية، وشرح مكوناتها الأساسية مع الأمثلة.

يحسن بعد التعرض للفعل إعطاء نبذة عن الجملة الفعلية ومكوناتها الأساسية (الفعل – الفاعل) (أعوذ برب النَّاس. تبت يدا أبي لهب. جاء نصر الله).

١٦) أقسام الفعل (الماضي، المضارع ، الأمر) وكلها موجودة في سورة النصر. (جاء–يدخلون–فسبح).

١٧) أنواع الفاعل (الاسم الصريح، الضمير البارز، الضمير المستتر) وكلها مذكورة في سورة النصر أيضا. (نصر الله – تاء الفاعل في رأيتَ – الضمير المستتر أنت في (فسبح)).

١٨) حروف النفي: (لم – لا)، وهي مكررة في سورتي (الإخلاص – الكافرون).

وهكذا نرى أن هذه السور قد حشدت قدرا هائلا من المهارات، والقواعد ما يؤسس لتعلم العربية، وتبقى الطريقة المقترحة لشرحها في الفصل القادم بإذن الله.

ثانيا: المحتوى الثقافي المعرفي في السور الست الأخيرة

يتنوع الخطاب القرآني من الحديث عن العقيدة إلى الحديث عن القصص والعبادات والأحكام و...

فالعقيدة هي ما يتعلق بأصول الإيمان، والأخبار: هي ما جرى بين الأنبياء، وأممهم، ونحو ذلك، والأحكام هي ما يتعلق بالحلال والحرام، والعبادات .....وغيرها، ولكن من الملاحظ أن السور الست، بالإضافة إلى الفاتحة قد ركزت على الجانب العقدي، وأولته اهتماما كبيرًا نظرًا لأهميته فهو جوهر الإسلام وأساسه. ولذا وجب البدء به:

١- عقيدة وإيمان

من المعلوم أن أولى السور بالحفظ هي سورة الفاتحة، إذ لا تصح الصلاة إلا بقراءتها، وهي أعظم سور

القرآن كما ورد في الحديث الشريف{لأعلمنك أعظم سورة في القرآن}[١٧]. ويحرص المسلمون على تعليم صغارهم المعوذات مع سورة الفاتحة؛ لتكون لديهم المكونات الأساسية للصلاة.

ومن الفاتحة يتعلم أن الله هو المستحق للعبادة لا أحد سواه (أياك نعبد)، هو المستعان (وإياك نستعين)، وهو مالك يوم الدين، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، ....

ثم تليها المعوذتان ومنهما يتعلم الاستعاذة بالله من الشرور المتعددة(الوسواس، والسحر، والحسد، وعامة شرور خلق الله؛ فأول كلمة يتلقاها الأطفال المسلمون في المعوذات هي (قل) وهي تعليم لهم أن القرآن كلام الله رب النَّاس، ملك النَّاس، إله النَّاس، وأن رسوله – صلى الله عليه وسلم- هو المبلغ عنه سبحانه؛ وبذلك تتحقق في نفس المتعلم معاني (الاستعاذة، والاستعانة)، ويتحقق أول أركان الإيمان (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في آيات يسيرات سهلة الفهم والحفظ، وفي نفس الوقت عميقة المعنى، والأثر في نفوس الدارسين.

٢- أخبار، وقصص

كما راعت ذكر طرف من القصص ضمن الثقافة الإسلامية المستهدفة (من السيرة النبوية)؛ كما في سورة المسد؛ فالسورة تسترعي انتباه الدارسين وتشجع فيهم الرغبة لمعرفة قصة أبي لهب بالتفصيل.

٣- سلوك ومعاملات

أما عن المعاملات فقد أعطت مثالا عليًا، وهو مبدأ عام لآداب التعامل مع غير المسلمين؛ بينت فيه أن التعامل بين البشر لا بد أن يقوم على العدل والاحترام؛ كما جاء في سورة (الكافرون)؛ فهي تعليم

[١٧] البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م). صحيح البخاري. المحقق: مصطفى ديب البغا. دمشق. دار ابن كثير، دار اليمامة. ط ٥. ج٤. ص ٩١٣

للحوار الراقي بين المسلم والكافرين؛ وكيف أن المسلم لا سبيل لمساومته على دينه؛ وكيف كان الرد البليغ الحكيم (لكم دينكم ولي دين) والذي يعبر عن الأدب الجم للمسلم عند الحوار.

ويبقى الحديث عن التشريع والأحكام، والعبادات فقد تأجل ذكرها؛ وما ذلك إلا لحكمة إلهية؛ لعلها عدم إشغال المقبل الجديد على القرآن بتشريعات تحتاج إلى سعة وقت، وقدح ذهن، وليس مقامها الآن؛ فالحديث سيتسع لها فيما بعد، وهو قريب.

المبحث الثاني. طريقة المتن القرآني، وموضع اللَّبِنات، وآلية تعليم المحتوى الدراسي من خلالهما

أولا: طريقة المتن القرآني، وآلية تعليم المحتوى الدراسي من خلالها

يرى البحث أن نزول هذه السور الست وما يسبقها من سور بهذه الصورة إنما ذلك لحكمة ربانية، ومقصود إلهي؛ الغرض منه تقريب وتحبيب اللغة العربية (لغة القرآن) إلى المسلمين كافة؛ ليكون بداية انطلاق لهم في فهم العربية ومنها إلى فهم الدين الإسلامي باللغة التي نزل بها كتاب الله.

فهذه السور حينما تكون مرجعية علمية لمستويات اللغة: صوتا وصرفا، نحوا ودلالة ؛ فهي تعد بذلك متنا قرآنيا تعليما غاية في العطاء والإحكام.

ومقصود البحث بالمتن القرآني؛ هو الكلمة، أو التركيب، أو الجملة أو السورة القصيرة التي تتجلى بها ظواهر المهارة، أو القاعدة المراد تدريسها.

إن طريقة التعليم بالمتون ليست طريقة محدثة، بل ابتكرها العلماء القدامى في مجالات متعددة على امتداد فترات زمنية طويلة، فاستحسنها خلق كثير من المعلمين والمتعلمين لما أظهرت من أثر نافع.

ومن أشهرها متن (تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن) ومنه:

لِلاَمِ أَلْ حَالاَنِ قَبْلَ الأَحْرُفِ ... أُولاَهُمَا إِظْهَارُهَا فَلْتَعْرِفِ

قَبْلَ ارْبَعٍ مَعْ عَشْرَةٍ خُذْ عِلْمَهُ ... مِن (ابْغِ حَجَّكَ وَخَفْ عَقِيمَهُ)

ثَانِيهِمَا إِدْغَامُهَا فِي أَرْبَعِ ... وَعَشْرَةٍ أَيْضا وَرَمْزَهَا فَعِ

طِبْ ثُمَّ صِلْ رُحْمًا تَفُزْ ضِفْ ذَا نِعَمْ ... دَعْ سُوءَ ظَنٍّ زُرْ شَرِيفًا لِلْكَرَمْ

وَاللاَّمُ الأُولَى سَمِّهَا قَمَرِيَّهْ ... وَاللاَّمَ الأُخْرَى سَمِّهَا شَمْسِيَّهْ[١٨]

و أشهر المتون اللغوية في النحو (ألفية ابن مالك)، ومنه:

---

[١٨] الجمزوري، سليمان بن محمد. **تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن**. علق عليه: علي الضباع. كتاب إلكتروني، المكتبة الشاملة، ص٥ . https://shamela.ws/book/9632

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ... واسم وفعل ثمّ حرف الكلم[١٩]

وهما مثالان على متن تجويدي، وآخر نحوي يظهران الأسس التي تقوم عليها هذه المتون؛ وهي ذكر القاعدة مع التفصيل والتمثيل في قالب شعري يلتزم وزنًا واحدا.

إن طريقة المتن القرآني أسهل بكثير من هذه المتون؛ فلو نظرنا لمتن (تحفة الأطفال) سنجد أنه يعلم نطق اللام الشمسية، واللام القمرية عن طريق ذكر القاعدة مع الأمثلة في خمسة أبيات، وبها كلمات صعبة الحفظ، والفهم، سهلة التفلت مستقبليا، لا تتناسب أبدًا مع الناشئة المقبلة على تعلم العربية، ولا مع دارسي العربية من الناطقين بغيرها.

أما القرآن عندما يكون متنًا علميًا فإنه يختلف كثيرًا عن تلك المتون؛ حيث إنه لا يذكر قاعدة، ولا يلزم وزنًا واحدًا؛ لأن للقرآن أوزانًا خاصة متعددة تتناسب فيها مع الحال والمقال؛ وهو يعلّم القاعدة لا بسردها مع التمثيل؛ إنما تعليم اللغة فيه تعليم غير مباشر.

إنه تعليم عن طريق ترسيخ المهارات والتطبيق العملي لها وليس باستظهارها؛ فكم من نحوي يحفظ قواعد النحو كلها؛ ولا يستقيم لسانه عند نطق جملة؛ وكم من قرآني أوشك أن ينطلق لسانه باللغة فلا يخطئ فيها؛ وإنما ذلك لكثرة محفوظاته القرآنية ومتابعة ترديده لها.

وفي نقاط محددة يبين الجدول التالي الفرق بين المتون التعليمية التي من وضع البشر، والمتن القرآني.

المتن الوضعي	المتن القرآني
١- المتن الوضعي مصنوع متكلف.	المتن القرآني -معاذ الله-أن يكون كذلك فهو أبلغ النصوص؛ تنزيل من حكيم عليم.
٢- المتن الوضعي غامض يحتاج إلى شرح لفهم القاعدة، وقد تتعدد شروحه وتتباين.	المتن القرآني هو تطبيق عملي على القاعدة في نص بليغ.
٣- المتن الوضعي ينسى إذا لم يتعهد بالمراجعة.	المتن القرآني متجدد بالقراءة لا سيما إن كان من السور التي تتكرر قراءتها.

[١٩] ابن مالك، محمد بن عبد الله، **ألفية ابن مالك** (د.ت). القاهرة. دار التعاون. ص٩

٤- المتن الوضعي سرعان ما ينفض كثير من حفاظه أيديهم منه بمجرد الانتهاء من دراسته والامتحان فيه.	المتن القرآني يحرص حفاظه على عدم نسيانه وعلى تكراره لما فيه من أجر أخروي.
٥- المتن الوضعي يحتوي على ذكر القاعدة . والتفصيل والتمثيل. مما يمثل عبئًا على الدارس.	تتضح القاعدة في المتن القرآني بمجرد القراءة ولفت النظر إليها.
٦- يصعب التذكر الدائم للقاعدة والاسترجاع إلا في الذواكر ذوات المران الشديد.	يسهل في المتن القرآني استرجاع القاعدة، ويصعب نسيانها، وانطماسها من صدور الحافظين؛ مع تكرارهم المستمر لقراءتها.
٧- المتن الوضعي هو حفظ ضيق محدود لا يفيد إلا فيما أقيم له.	حفظ المتن القرآني ثروة؛ فهو حفظ من القرآن الذي ينهل من شتى علومه الناهلون (بلاغة وحكم وقصص وعلوم شتى)

إن المتن القرآني إذا ما تم التركيز على القاعدة المستهدفة فيه مع شرحها وتكرارها، ولفت نظر الدارس إليها من حين لآخر، ووضعها في لوحة تعليمية أنى يكون للطالب بعدُ نسيانها؛ إنه نقش راسخ لا انمحاء له.

أما آلية استعمال المتن القرآني فسوف نقدم هذا السؤال قبل تناول شرحها ليكون مدخلًا لها:

قل أعوذ بربِّ النَّاس

استخرج من الآية السابقة

١. كلمة بها حرف السين؛ الإجابة: النَّاس
٢. كلمة بها مد بالألف؛ النَّاس
٣. كلمة بها لام شمسية؛ النَّاس
٤. كلمة بها ألف وصل؛ النَّاس
٥. كلمة بها حرف غنة (تجويد)؛ النَّاس
٦. كلمة بها حرف مشدد؛ النَّاس – برب

من الملاحظ أن مفتاح الإجابة عن جميع الأسئلة السابقة كلمة (النَّاس)؛ وهذا يعني أن هذه الكلمة قد تم التعويل عليها كثيرًا في تدريس جميع المهارات السابقة؛ ولذا أصبحت متنًا تعليميًا قرآنيًا من كلمة واحد؛ إذا تم تفكيكها إلى حروف، وشُرح ما فيها يمكن الاستفادة منها أيما استفادة!

فإذا ما أردنا التوسع أضفنا الأسئلة التالية:

- استخرج فعل أمر، وفعلا مضارعا؛ (قل – أعوذ)
- استخرج حرف جر، وبين تشكيل آخر حرف في الاسم بعده. بربِ
- استخرج مركبًا إضافيا. رب النَّاس

فكيف تدرس هذه المهارات بطريقة المتن القرآني؟

الإجابة: تدرس بعكس ما جاء في السؤال الماضي.

فعند تدريس سورة النَّاس يركز المعلم على أول آية؛ توضع هذه الآية في لوحة تعليمية، أو في صفحة كتاب؛ ومن ثم يبدأ المعلم بشرح ما بها من مهارات يتعرض لها حسب ترتيب المحتوى الدراسي خطوة خطوة. وفي المبحث القادم تفصيل أكثر عن كيفية التدريس بطريقة المتن القرآني.

ثانيا: طريقة موضع اللَّبِنات، وآلية استعمالها

تنقسم القاعدة اللغوية – في الغالب- إلى عدة أجزاء، أو عدة حالات؛ مع صعوبة أن تدرس جملة واحدة مراعاة للقدرات الاستيعابية للدارس؛ فيحسن وقتئذ تجزئتها، وتدريسها على مراحل متتالية؛ فالقاعدة مثل الجدار الذي يتم بناء هيكله العام، ثم توضع لبناته شيئًا فشيئا، ومن هنا تمت تسمية الطريقة بهذا الاسم.

وعلى ذلك يكون المقصود بموضع اللَّبِنات هو: التدريس الجزئي للقاعدة؛ بحيث لا تدرس دفعة واحدة، بل على مراحل حسب مقدرة الطالب، ورؤية المنهج المخطط لها مسبقا. وليست هذه الطريقة مبتكرة؛ لكنها تُستخدم في الكتب دون اسم، أو تحت أسماء أخرى، وهذا البحث يسلط الضوء عليها، ويعطيها قدرها، وأهميتها في التعليم، وتكاملها مع طريقة المتن القرآني.

أما آلية استعمال موضع اللبنات فمثالها في تعليم الحروف الهجائية كالآتي:

يستطيع المعلم بسهولة عند تدريس سورة النَّاس أن يتطرق إلى حرف السين، ومن ثم يشرحه بأشكاله المختلفة نطقًا وكتابة، لكن حالة السين المفتوحة ليس لها مثال في السورة فيؤجل شرحها بعد الإشارة إلى غياب ذكرها إلى موضع آخر من السور التالية، وأقربها هي كلمة (حسَد) من سورة الفلق؛ فيكمل بها الجدول الخاص بحرف السين؛ وهكذا في باقي القواعد.

بسْم	سَـ	يوسْوسُ	النَّاسِ– الوسواسِ– الخنَّاسِ
سْ	.....	سْ سُ	سِ
	سَـ حسَد		

ومثال آخر: عند بداية تعليم (ال الشمسية)، و(ال) القمرية:

ينشئ المعلم جدولا، ثم يضع فيه متنًا قرآنيًّا على قاعدة نطق لام (ال) في أول الاسم، ويبين للطلاب الفرق في النطق بين لام كلمة (الصِّراط)، ولام كلمة (الْمُستقيم)، ثم يشرح القاعدة ويستشهد بما قرؤوا وحفظوا من قبل، ثم يضعه في الجدول، وهكذا إلى أن تكتمل حروف المجموعتين.

	الصِّراط	الْـمُسْتقيم	
	الحروف الشمسية	الحروف القمرية	
الرّحمن– الدّين الصّراط– الذّين الضّالين– النّفاثات	ن – ص – ر ل –د–ذ	خ — و– ف ح– ك– م ج	الْمستقيم الْوسواس الْخناس– الْفلق– الْحطب الْجِنَّة–الْكافرون

ولا ننسى أن الهدف في نهاية المطاف هو قدرة الدراس على النطق الصحيح للأسماء المبدوءة ب(ال)، وهذا يتحقق بكثرة القراءة، والترديد. ولا حرج إذا أراد المعلم أن يخفف على الدارس فيقوم بتدريس حروف (ال) القمرية، بعد تعريفه بحكم نطقها، ثم إخباره بأن الحروف الباقية هي حروف (ال) الشمسية لا تظهر اللام في النطق إذا جاءت قبل هذه الحروف؛ وعندئذٍ نكون قد طرحنا عنه عبء حفظ حروف المجموعتين.

بقي بعد ذلك أن يقترح البحث إرشادات لتنفيذ المنهج في خطوات عملية منظمة:

- التركيز على قراءة السور الست في كل صلاة جهرية ما أمكن لمدة يحددها المعلم.

- الجلوس بعد الصلاة مع الدارسين لإقرائهم، والاستماع منهم، وتحفيظهم.
- البدء بتعليم الحروف بالحركات والسكون، وذلك بعد إتقان قراءة السور الست، وحفظها أو حفظ بعضها؛ يبدأ بحرف السين مثلا من سورة النَّاس، ثم يتخير ما شاء من حروف.

تعليم الحرف المشدد. النَّاس.

تعليم المد بالألف. النَّاس

تعليم المد بالواو. الكافرون

تعليم المد بالياء. من كل سور المجموعة. في. أبي. جيدها. دين

وهكذا إلى أن ينتهي المعلم من تدريس كامل محتوى المرحلة.

المبحث الثالث. تصميم وحدة تعليمية على المنهج المقترح

بعدما استقام للطالب لسانه، واستد بنانه، واغترف غرفة من المهارات القرآئية والكتابية –فهو الآن يجيدها– يتوجه الدرس اللغوي بعد ذلك إلى تعليم قواعد اللغة.

واختار الباحث سورة النصر لتكون نقطة الانطلاق؛ لما تحويه من قواعد مناسبة لتلك المرحلة.

ومن الاستعاذة يبدأ شرح القواعد:

الدرس الأول: أقسام الكلمة

إجراءات الدرس:

يطلب المعلم من الدراسين قراءة الاستعاذة، ثم يناقشهم في معناها .

أَعُوذُ بِـ اللهِ

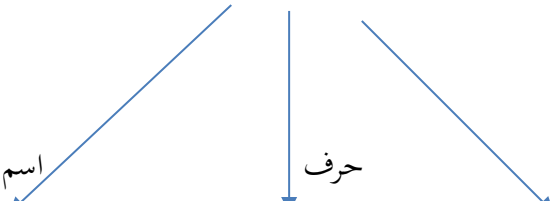

بعد المناقشة الإجمالية في المعنى يبين لهم مدلول كل كلمة مكتوبة ومقارنتها بلغته قدر الإمكان.

يشرح المعلم أقسام الكلمة في اللغة العربية مع ضرب أمثلة سهلة معدة من السور الست.

الدرس الثاني: الأسماء المركبة (المركبات)

في هذا الدرس يشرح المعلم تقسيم الاسم إلى مفرد (كلمة واحدة)، وإلى مركب (كلمتين).

من المركبات (المركب الإضافي، والمركب العطفي).

مع جدول كالتالي به أمثلة على المركبات، وتمهيد لمركبات أخرى أقربها المركب الوصفي:

المركب الإضافي	المركب العطفي	المركب الوصفي	.....
نصر الله، دين الله	نصر الله والفتح	.....	

يوضع هذا الجدول والرسم قبله في لوحة تعليمية وفي صفحة من الكتاب الدراسي لتعتاد عين الطالب على مراجعة هذه القاعدة من وقت لآخر، وكذلك تتم مراجعة القاعدة من حين لآخر أثناء قراءة السورة.

الدرس الثالث: أقسام الفعل

يناقش المعلم معاني هذه الكلمات مع طلابه:جاء، رأيت، يدخلون، فسبح، واستغفره

ثم يبين لهم معنى كلمة فعل (حدث + زمن) وعلى هذا الأساس يكون التقسيم المبدئي للأفعال: الماضي المضارع الأمر

أقسام الفعل

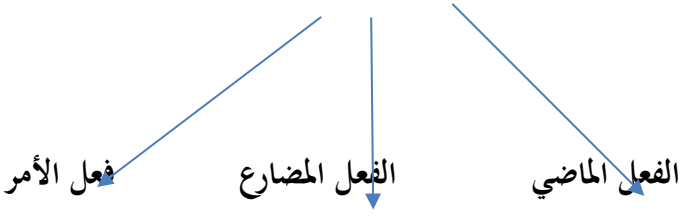

الدرس الرابع: الفاعل، وأنواعه

يوضح المعلم معنى كلمة فاعل، وعلاقته بالفعل، وأنه يأتي بعد الفعل، ثم يبين أنواع الفاعل الثلاثة:

اسم ظاهر: نصر الله، ضمير بارز (ظاهر): رأيـ تَ. يدخلـ ون (تاء المخاطب – واو الجماعة)، ضمير مستتر: أعوذ (أنا)، فسبحْ (أنت) واستغفره (أنت).

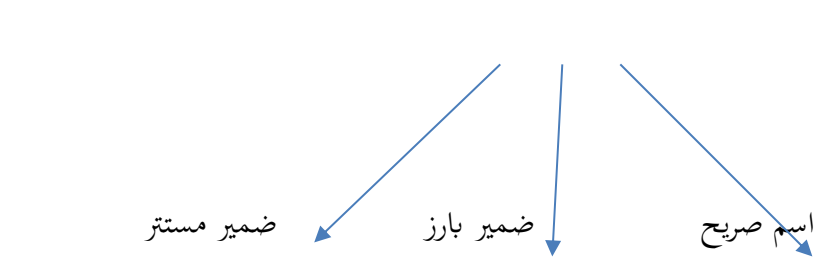

وبنهاية هذا الدرس تكون محصلة ما درسه الطالب في هذه المرحلة، والأهداف المحققة إجمالا هي:

- فهم معاني آيات قرآنية، القدرة على القراءة، والكتابة.
- إتقان بعض مهارات التجويد.
- التعرف على ما جاء من ثقافة إسلامية بهذه السور وأهمها العقيدة.
- استفتاح دراسة العربية، ومعرفة بدايات القواعد.

وتفصيليا بعد دراسة سورة النصر تكون القدرة على الإعراب الأَوَّلي قد تكونت لديه:

جاء: فعل ماض. نصر الله: اسم مركب، وهو فاعل.

والفتح: مركب عطفي مع ما قبله؛ اسمان متتاليان بينهما حرف عطف.

رأيت: فعل ماض والفاعل ضمير بارز (تَ) أنتَ.

يدخلون: فعل مضارع والفاعل ضمير بارز (و) هم.

في دين: حرف جر، واسم مجرور (الكسرة).

فسبح: فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر (أنت).

بحمد: حرف جر، واسم مجرور (الكسرة).

واستغفره: فعل أمر، وفاعل مستتر (أنت).

وعندئذٍ يشعر الدارس بالرضا إذ بذل جهدًا، ووقتًا في دراسة هذا المنهج؛ لأن المخرجات ستكون مرضية راجحة على ما أَنفق فيها.

تدريبات

(غزوة بدر)

نَصَر الله رسوله محمدًا في غزوة بدر؛ ففرح المسلمون، وحزن الكافرون. المسلم يعبد الله مِلك النَّاس إله النَّاس. والكافر لا يعبد الله ربه العظيم. المسلمون سيدخلون الجنة برحمة الله، والكافرون سيصلون نارا بسبب ظلمهم.

- اقرأ النص السابق، واشرح ما فهمته

وإن كان مثل هذا النص مصنوع متكلف إلا أن الغرض الرئيس منه كسر حاجز الرهبة من تعلم العربية، وإشعار الدارس بسهولتها —قراءة، واستيعابا– فليس المقام مقام إثراء الطالب بالمفردات والقواعد؛ إنما هو تمهيد وتذليل.

- اقرأ ثم أجب

قُلْ أَعُوذ بربِّ النَّاس.

لا الشَّمس يَنبغي لها أنْ تدركَ القمرَ.

والشَّمسَ، والقَمرَ، والنُّجومَ مُسخّراتٍ بأمرِه.

جاء الحقُّ، وزَهَقَ البَاطلُ.

إلى نَعِيم الجَنَّةِ، أو إلى لهَبِ النَّارِ.

استخرج مما سبق:

كلمات بها حرف سين: كلمات بها مد بالألف:

كلمات بها حرف مشدد: كلمات بها لام شمسية، ولام قمرية:

كلمات بها ألف وصل: كلمات بها حرف مُغَنٌّ، واذكر الحرف:

حروف جر، وأسماءها المجرورة: أفعالا، وبين نوعها:

- استخدام ألفاظ وتعبيرات تواصلية

إن استخدام بعض الألفاظ والعبارات الخفيفة فيما بين الدارسين خلال هذه المرحلة يشعرهم بالرضا والتطلع أكثر لتعلم العربية.

قل (سبحان الله– ما شاء الله– إن شاء الله)

أعوذ بالله (من الشيطان الرجيم– من الحسد– من الكفر– من النار ...)

لا أعبد الشيطان– أنا أعبد الله.....

الخاتمة

ما كان لبشر أن يكون كلامه له وزن وثقل ككلام الله. وما كان لحديث أحد تأثير كتأثير كتاب الله.

إن هذا البحث المتواضع لا يدعي الباحث كماله، بل هو في حاجة إلى المزيد من التنقيح والتلقيح؛ فهو فكرة جديدة؛ وما كان لفكرة جديدة أن تستوفي الكمال والرضا من أول طرح لها. ولكن من شفعائه الجِدَّة والابتكار؛ فموضوعه وطرق تعليمه لم تطرق من قبل – على حد علم الباحث –.

وقد حاول الباحث أن يميط اللثام عن وجه إعجازي خفي للقرآن الكريم في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ مستثمرا وجود مكان (المسجد)، ودارسين (رواد المسجد)، ومعلمين (الأئمة)، ومحتوى تعليمي (قصار السور)، وذلك باتِّباع طريقة جديدة في الشرح (المتن القرآني)؛ فهي فكرة مبتكرة غير مسبوقة تستحق الاهتمام والرعاية، والتنفيذ والتجربة؛ وتنفيذها ليس مكلفا؛ وهو يسيرٌ إذا دُفع بالإرادة، وأُحيط بالعناية، والله الموفق.

كما يدعو الباحث إلى التؤدة والتمهل في تدريس هذا المنهج؛ لأنها الأساس لنجاحه، وليحذر الذين يتعجلون جني الثمرات من الضغط على الدارس والإضرار بنفسيته وإقباله على التعليم.

إنها رشفات قليلة يسقيها المعلم لطلابه على دفعات، ويشترط في أولها أن يكون خفيفا لطيفا دعاية للمادة وتأسيسا، وليس حملا ثقيلا منفرا.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم. والحمد لله أولا، وآخرا.

النتائج

كتاب الله ليس كمثله كتاب فهو معجز في كل شيء، وليس في اللغة فقط، وعلى المستكشفين، والمتدبرين أن يتأملوا فيه دائما عسى أن يبوح لهم بسر من أسراره. وقد أسفر البحث عن النتائج الآتية:

- وجود حشد هائل من المهارات، والقواعد اللغوية في آخر ست سور من القرآن الكريم.
- إمكانية استثمار هذا الحشد في صناعة محتوى دراسي لتعليم العربية للناطقين بغيرها.
- الكشف عن طريقة مبتكرة لشرح ذلك المحتوى، أطلق عليها (طريقة المتن القرآني).
- مناسبة، وفاعلية طريقة الشرح بالمتن القرآني، وموضع اللبنات لتصميم وحدات تعليمية على المحتوى الدراسي المقترح.

التوصيات

يوصي الباحث الهيئات، والمؤسسات، والحكومات المهتمة والمعنية بتعليم ونشر اللغة العربية في ربوع الدول الإسلامية الناطقة بغير العربية بتكوين لجان مختصة لخوض التجربة –ولو جزئيا– وإطلاق شارة بدء تدريس المنهج المقترح من خلال المساجد.

كما يدعو الباحثين والمسؤولين عن تأليف مناهج دراسية إلى النظر في المنهج المقترح، وتقويمه، وتعديله ما أمكن. فإذا بالفكرة قد كبرت وازينت وآتت أحمالا من الثمرات؛ لتصير في أجمل صورة تهدى إلى الدارسين فتفتح قلوبهم لتعلم اللغة العربية ويقبلوا عليها مستمتعين بدراستها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م). صحيح البخاري. المحقق: مصطفى ديب البغا. دمشق. دار ابن كثير، دار اليمامةا. ط ٥.
- تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن
- الجمزوري، سليمان بن محمد.**تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن**. علق عليه: علي الضباع.كتاب إلكتروني، المكتبة الشاملة. https://shamela.ws/book/9632
- السعيد، خلايفة. اختيار المحتوى اللغوي للمقرر التعليمي في ظل معايير التنظيم الأسس والمقاييس. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/45533
- طعيمة، رشدي. مناع، محمد السيد. (١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م). تدريس العربية في التعليم العام (نظريات وتجارب). دار الفكر. القاهرة.
- القرعاوي، سليمان بن صالح. حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية. http://arabicmegalibrary.com/pages-9372-12-15.html
- أبو لبن، وجيه المرسي. (٢٠١٢م). أسس بناء مناهج تعليم اللغة الناطقين بغيرها https://kenanaonline.com/users/maiwagieh/posts/407137
- ابن مالك، محمد بن عبد الله، **ألفية ابن مالك** (د.ت). القاهرة. دار التعاون.
- النجار، فاطمة كمال. مناهج وطرق تدريس. https://faculty.psau.edu.sa/f.elnaggae/page/5570

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Jun 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 10.10.2023 | Accepted: 01.12.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10369321 0009-0007-5354-2646

الأزمة الخليجية بين قطر والإمارات والبحرين والسعودية ومصر ٢٠١٧ والموقف السياسي العماني تجاه الأزمة

The Gulf Crisis Between Qatar, The Emirates, Bahrain, Saudi Arabia And Egypt 2017 And The Omani Political Position Towards The Crisis

سالم بن أحمد بن بخيت صفرار * & الفاتح عبدالله عبد السلام **

Salim Ahmed Bakhit Safrar & El Fatih Abdullahi Abdelsalam

ملخص

أحدثت ازمة الخليج الأخيرة بين قطر من جهة والسعودية والامارات والبحرين ومصر من جهة أخرى والتي أقدمت هذه الدول على مقاطعة قطر وإغلاق الحدود البرية والجوية والبحرية وقطع العلاقات الدبلوماسية سابقة خطيرة ، إذا تعد أزمة المقاطعة صدمة عربياً ودولياً كون الثلاث الدول الأولى هي من دول مجلس التعاون الخليجي ، وهذا يوضح أن هناك خلافات كانت مستترة خلف جدران المجلس والامر الذي يعد ذو أهمية وهو ظهور شرخٍ هام في بنية هذا المنتظم الخليجي الذي قد يهدد تماسكه، ويشكل وجود مصر في المقاطعة وهي من خارج منظومة مجلس التعاون الخليجي أهمية كبرى كدولة في ثقل وحجم مصر في العالم العربي وهي الكيان الكبير عربيا ، فإن ذلك يشكل وضعاً صعباً في العلاقات العربية علما أن قطر لديها علاقات طيبة مع مصر ، ولكن حدث ما حدث تحت مسببات وترسبات خلافية سابقة راكمتها السنون أدت في النهاية إلى تفجر الازمة بهذا المستوى .

الكلمات المفتاحية: مقاطعة قطر، الازمة، المفاوضات، الخليج العربي، قطع العلاقات.

* PhD Candidate. International Islamic University Malaysia. Department of Political Sciences. ORCID: 0009-0007-5354-2646 E-Mail: salim.safrar@gmail.com

** Prof. Dr. International Islamic University Malaysia. Department of Political Sciences. E-Mail: elfatih@iium.edu.my

Abstract: The recent Gulf crisis between Qatar, on the one hand, and Saudi Arabia, the Emirates, Bahrain, and Egypt, on the other hand, led to these countries boycotting Qatar, closing land, air and sea borders, and cutting diplomatic relations, a dangerous precedent. The boycott crisis is considered an Arab and international shock, given that the first three countries are from the Gulf Cooperation Council countries. This shows that there were disagreements hidden behind the walls of the Council, and what is considered important is the emergence of an important rift in the structure of this Gulf organization that may threaten its cohesion. The presence of Egypt in the boycott, which is outside the Gulf Cooperation Council system, constitutes great importance as a country of Egypt's weight and size in the region. The Arab world, which is the largest Arab entity, constitutes a difficult situation in Arab relations, knowing that Qatar has good relations with Egypt, but what happened occurred under previous causes and sediments of controversy accumulated over the years that ultimately led to the outbreak of the crisis at this level.

Keywords: Boycott Of Qatar, Crisis, Negotiations, Arabian Gulf, Severing Relations.

مشكلة البحث:

تركز مشكلة البحث على أزمة مقاطعة قطر من والسعودية والامارات والبحرين ومصر وإغلاق الحدود الجوية وقطع العلاقات الدبلوماسية وأثر ذلك على كيان مجلس التعاون الخليجي والتي شكلت هذه الازمة تهديد لوجود هذا المنتظم والامر الاخر وهو إنكاس هذه الازمة على العلاقات بين تلك الدول عربيا ودوليا وعلى والدور الذ قامت به دول الممانعة الكويت وسلطنة عمان في هذه الازمة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث حول تسليط الضوء على الملابسات والانعكاسات التي أحدثتها هذه الازمة في العلاقات بين دول مجاس التعاون الخليجي ومصر وحول مدى تأثير هذه الازمة على مستقبل مجلس للتعاون وآليات الصمود في وجه هذه الازمة وكيفية الخروج منها

فرضية البحث:

تنطلق فرضية البحث من خلال تراكم رصيد الخلافات وعدم السعي لإيجاد حلول متكاملة وكيف تؤدي ترسبات الخلافات الطويلة الى حد الانفجار، وتضيق الافق أمام البصيرة والحكمة نحو الخيار السلمي لتفادي حدوث الازمات والتقدير الدقيق للعواقب الوخيمة التي تخلفها التمسك والتشنج بالآراء وسوء نتيجتها.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث في هذا المقال المنهج الاستقرائي التحليلي حيث أعتمد الباحث على الكتب والابحاث العلمية التي تناولت هذه الازمة ، ولقد واجهت الباحث مصاعب في الحصول على المراجع التي تناولت كون الازمة حديثة بهذا الحجم والمستوى ولا تتوافر مراجع كافية تناولت الموضوع بدقة وتعمق

ما يميز هذا البحث :

ما نسعى إليه في هذا البحث والذي يميزه عن بقية الابحاث التي تناولت هذه الازمة هو السعي لتتبع المسارات التحليلية التي تناولت هذا الموضوع مع مراعات البعد عن التحُيز والكتابات التي تحتوي على العدوانية او الميول تجاه جانب من جهات الازمة ، لقد اطلع الباحث على أبحاث وكتابات تناولت هذه الازمة ، كما تناول الباحث بعض الكتابات الحديثة في هذا الموضوع وتناول وأجرى مقابلات شخصية مع بعض الشخصيات الاكاديمية .

الدراسات السابقة :

اطلع الباحث على العديد من الكتابات التي تناولت هذه الازمة ومنها دراسة أحمد عبد الامير الانباري وهي بعنوان مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ظل التحديات الراهنة ، والتي تناولت هذه الازمة وأبعادها وتأثيرها على مجلس التعاون الخليجي والامن القومي ، كما قدم وافي التميمي وآخرون دراسة بعنوان ملف الأزمة الخليجية وتناولت هذه الازمة وما أحدثتها من صدمة داخليا لدى دول المجلس وتأثرها في العلاقات الخليجية العربية وعلى المستوى العالمي ، وقدما سمير سحقي و ليندا طرودي دراستهما بعنوان الأزمة الخليجية الراهنة التداعيات والأسباب وتناولت هذه الدراسة مسببات الازمة وتداعياتها وما وصلت اليه حاليا ، ومن المنظور القانوني قدم الباحث منصور السعدي دراسته بعوان حصار دولة قطر من منظور القانون الدولي ودور الوساطة في حلها في ضوء المواقف العربية والاقليمية والدولية ، كما أطلع الباحث على دراسة عبد الله محمد الغيلاني والتي هي بعنوان الممانعة الإيجابية دور المحور الكويتي العماني في صلابة قطر ، وهذه الدراسة سلطت الضوء على الدور الكبير للكويت وسلطنة عمان والسعي الحثيث للخروج من الازمة عبر الحوار .

سوف نتناول هذه الازمة في هذه الدراسة من خلال التحليل حول ومسبباتها ونتائجها وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الاول سنتناول فيه جذور وترسبات الازمة والتي أدت في النهاية إلى الوصول الى مستوى المقاطعة وغلق الأجواء وقطع كافة العلاقات الدبلوماسية وهذه الازمة بلا شك كانت انعكاساتها كارثية على الاسرة بالدرجة الاولى التي تحملت منها الثمن الاكبر ، أما المبحث الثاني فسوف يتناول آثار وتداعيات الأزمة على قطر حيث أحدثت هذه الازمة صدمة وذعرا كاد أن يكون وباله كارثيا لولا دول الممانعة الإيجابية سلطنة عمان ودولة الكويت ، التي فتحت أراضيها وأجواءها وبذلك خففت من وطئه تداعيات الازمة ونتائجها . كما لعبت تركيا وايران دورا هاما في ذلك كونها وقفت مع قطر وفتحت أجوائها وسعت تركيا لإيجاد حل والخروج من هذه الازمة ، وفي المبحث الثالث سوف نتناول فيه بجانب تحليلي انعكاس الأزمة على دول الخليج العربي ونتائجها فقد أحدثت هذه الازمة تكهنات وفتحت الأبواب على الشعور بالقلق حول مستقبل مجلس التعاون هذا المنتظم الذي بات يتهدد وجودة في هذه الازمة وهل سيصمد أم سينهار، وفي المبحث الرابع سوف نتناول دور الكويت في الوساطة لإنهاء الأزمة والجهود التي بذلها أمير الكويت الراحل ثم خلفه أمير الكويت في إنها الازمة والدور العماني المساند لجهود الكويت أما المبحث الخامس سوف يتناول الموقف السياسي العماني تجاه أزمة قطر والدور الذي قامت به سلطنة عمان سياسيا وإنسانيا في هذه الازمة

ما يميز البحث :

ما نسعى إليه في هذا البحث وما يميزه عن بقية الابحاث التي تناولت تلك الازمة هو تتبع المسارات التحليلية التي تناولت هذا الموضوع والبعد عن التحيز ولكن حاولنا تقفي الكتابات المحايدة في الموضوع والتعمق في دراسة تحليلاتها . أعتمد الباحث في هذا المقال المنهج الاستقرائي التحليلي حيث أعتمد الباحث على الكتب والابحاث التي تناولت هذه الازمة ، ولقد واجهت الباحب مصاعب في الحصول على المراجع كون الازمة حديثة بهذا الحجم فقد إطلع الباحث على اللعديد من المصادر التي تناولت الازمة ولكن يتبين في بعضها تحيز وهي من الصعوبات التي واجهها الباحث في الحصول على الكتابات المحايدة ومن الصعوبات الاخرى دقة تلك الكتابات في تناول الاسباب وعمق .

مقدمة

أفاقت دول مجلس التعاون الخليجي والأمة العربية والمجتمع الدولي على خبر صادم شكل وقعهُ صدمة كبيرة لم تكن في الحسبان، حيث قررت ثلاث دول خليجية وهي المملكة العربية السعودية والبحرين والإمارات العربية المتحدة ومصر من خارج منظومة دول مجلس التعاون الخليجي قطع العلاقات الدبلوماسية وإغلاق كافة المنافذ البرية والجوية والبحرية مع قطر. كانت هذه الخطوة صادمة خليجياً بشكل خاص وعربياً بشكل عام قبل أن تكون صادمة لقطر، فقد بيّنت هذه الأزمة إمكانية تصدع الجدار الخليجي، وقد تفتح باب القلق من المستقبل والمجهول في البيت الخليجي المتمثل بدول مجلس التعاون الخليجي، وهنا يأتي الاختبار الصعب لإمكانية الصمود لهذ المجلس أمام هذه الهزّة العنيفة التي تعرض لها. شكلت أزمة مقاطعة قطر من السعودية والامارات والبحرين ومصر والتي تمثلت بإغلاق كافة الحدود البرية والبحرية والجوية وقطع العلاقات الدبلوماسية سابقة خطيرة في العلاقات العربية وعلى وجه الخصوص دول الخليج العربي التي هي مركز الازمة ، إذ تعد هذه الأزمة حدث خطير عربيا وانعكاسها أحدثت مفاجئة صادمة لخارج الاطار العربي ، لقد شكلت هذه الازمة لدى الغرب حرجا كبيرا وذلك مخافة أن تتأثر علاقتها ومصالحها فالكل لديهم علاقات مع قطر والدول الأخرى وليست مستعدة لأن تقدم على ما من شأنه أن تخسر علاقتها ومصالحها ، لقد كان موقف الولايات المتحدة في البداية مائلا تجاه دول المقاطعة ولكن فيما بعد لم يعد بذاك الاتجاه وأصبح في الواقع يشكل حرجا كبير لدى سياسة الولايات المتحدة فهي لديها علاقات متميزة مع قطر ولديها علاقات قوية ومصالح مع السعودية والامارات والبحرين أما مصر فهي بثقلها ومكانتها كدولة عربية كبرى ولديها علاقاتها ومصالحها مع الغرب والولايات المتحدة وتشكل مكانتها أهمية عربيا فقد شكل ذلك وضعا ومعادلة صعبة إذا كان إقدام للدخول في هذه الازمة مع الدول الأخرى ضد قطر إشكالية كبرى كدولة كبرى في حجم مصر ومكانتها

مسببات الأزمة القطرية الخليجية:

عندما يتم تتبع وتحليل أي ازمة لا شك أن لها ترسبات وتراكمات قد تكون منها قديمة ولا يتوقع أن تستفحل في أمرها ، أدت خلافات سياسية متراكمة بين قطر وجيرانها المملكة العربية السعودية ومملكة البحرين تعود إلى سبعينيات القرن الماضي منشؤها الخلافات الحدودية [١]. كانت هذه الخلافات تصل أحياناً لدرجة الصدام إلى أن خرجت للعلن في العام ٢٠١٤ حينما سحبت الدول الثلاث السعودية والبحرين والإمارات سفراءها من الدوحة متهمين قطر بالتدخل في شؤنهم الداخلية ودعم الإخوان المسلمين وإيواء أفراد متهمين بالإرهاب.

[١] سمير سحقي، ليندا طرودي، الأزمة الخليجية الراهنة التداعيات والأسباب، ص٥٢.

حاولت دول مجلس التعاون الخليجي متمثلة بجهود أمير الكويت لملمة الأزمة وتقريب وجهات النظر حتى تمكنت بعد سبعة أشهر من التوصل إلى اتفاق في الرياض في شهر نوفمبر من العام ٢٠١٤ وذلك بعد تدخل الراحل الأمير عبد الله بن عبد العزيز لحل الأزمة الخليجية وعادت الأمور إلى وضعها الطبيعي[٢].

في الواقع كانت الإشكاليات الحدودية بين قطر وجيرانها من ضمن المسببات الخلافية، فقد وصلت بينها وبين السعودية إلى مواجهة محدودة في العام ١٩٩٢ قتل خلالها ضابط سعودي وجنديان قطريان. أدت المواجهة لسيطرة السعودية على منطقة الخفوس، وفي عام ١٩٩٥ تولى الأمير حمد بن خليفة السلطة في قطر إثر انقلاب سلمي على والده، الأمر الذي لم تؤيده السعودية، وفي العام ١٩٩٦ كانت هناك محاولة انقلاب من الامير الوالد خليفة على ابنه حمد بدعم من السعودية والإمارات والبحرين كما ادّعت قطر. في العام ٢٠٠٢ وقعت قطر اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية لإنشاء قاعدة العديد العسكرية في قطر، وهي الأكبر في منطقة الشرق الأوسط، وهذا لم يرض السعودية واعتبرتها مناكفة لها، هذا إلى جانب التقارب بين قطر وإيران بتوقيع اتفاقيات اقتصادية وأمنية وعدم تصويت قطر في مجلس الأمن لفرض عقوبات على إيران[٣].

من باب آخر شكل إنشاء قناة الجزيرة الفضائية والتي تناولت القضايا العربية بعمق وجرأة لم تكن تتوافر في بلد عربي؛ خصوصاً الحضور القوي للجزيرة في تغطية أحداث الربيع العربي والتي لها بعض التباينات لدى الدول العربية [٤]. ومنذ تولي الأمير حمد بن خليفة ١٩٩٦ الحكم بات لقطر دور حيوي في السياسة الانفتاحية نحو المؤتمرات الحوارية الدولية التي غدت جزءًا من القوة الناعمة في السياسة القطرية، ومن جانب آخر يمكن القول أنه صراع على النفوذ والتأثير بين قطر والسعودية والإمارات وإيران وتركيا للتأثير في القضايا العربية، ولعب دور خصوصاً فيما يعرف بالربيع العربي. ومن الناحية الاقتصادية لدى قطر قدرات اقتصادية هائلة جعلتها من أغنى الدول في إنتاج الغاز الطبيعي، وهو ما مكّن قطر من تحقيق الاستثمارات الهائلة في الخارج في مجالات المال والزراعة والصناعة، وقد حققت عائدات اقتصادية كبيرة لخزينة الدولة وإنشاء علاقات تجارية مع الكثير من دول العالم [٥].

---

[٢] أحمد محمد أبو زيد، عام على الأزمة القطرية الخليجية التداعيات على مستقبل مجلس التعاون الخليجي، معهد الأصفري للمجتمع المدني والمواطنة، (بيروت: الجامعة الأمريكية بيروت ٢٠١٨)، ص٩.

[٣] مؤيد خالد شلاش المجالي، السياسة الخارجية الأردنية تجاه الأزمة الخليجية القطرية، (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط١، ٢٠١٩)، ص٤٩.

[٤] المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أزمة العلاقات الخليجية في أسباب الحملة على قطر ودوافعها، (الدوحة: وحدة تحليل السياسات في المركز العربي، مايو، ٢٠١٧)، ص١.

[٥] المجالي، المرجع نفسه، ص٤٩.

آثار وتداعيات الأزمة على قطر:

كاد تأثير الأزمة على قطر أن يكون كارثياً لولا دخول دول أخرى مساندة لقطر خليجياً ودولياً، ففي الداخل الخليجي كان الدور العماني والكويتي كبيراً؛ إذ باتت المنفذ الوحيد لقطر عبر القنوات الجوية والبحرية حينما أغلقت المنافذ البرية والبحرية والجوية من قبل الدول المقاطعة، وكاد ذلك أن يشكل ذعراً في البلاد إثر نقص بعض المواد الغذائية وارتفاع سعرها لفترة من الوقت، ثم عادت الأمور إلى وضعها الطبيعي حيث كانت مكامن انكشاف الاقتصاد القطري في أمرين، الأول قلة التنوع الاقتصادي، والثاني ضعف التنويع في قطاعي التجارة والاستيراد، وسارعت الدولة القطرية لتغطية هذا الانكشاف عبر توفير السلع بنفس السعر والجودة، وكان لميناء حمد الدور الهام [٦]، الذي ساهم في تسهيل التصدير والاستيراد والحفاظ على نمو المشاريع المتعلقة باستضافة قطر لكأس العالم ٢٠٢٢ ، بالإضافة إلى الاستمرار بتصدير الغاز القطري الذي يشكل عصب الحياة الاقتصادية لقطر كأحد أغنى دول العالم [٧].

تعد هذه الازمة عميقة في وقعها وليست عابرة كما يرى الدكتور نايف بن نهار والتي سوف يكون لها انعكاسها على طريقة تعاطي المجتمع مع العديد من المسلمات ما قبل الحصار والتي سوف يتم التركيز على إعادة صياغة التعامل مع المحيط الخارجي[٨] من ناحية المساندة الدولية لقطر لعبت تركيا دورا هاما في الازمة حيث دفعت تلك الاحداث تركيا لإرسال قوات على وجه السرعة الى قاعدتها في قطر وذلك بناء على تفعيل الاتفاقية التي أبرمت في ٢٠١٥ بين قطر وتركيا إذ دفعت مجريات الاحداث في هذه الازمة الى الاسراع بنقل قوات تركية الى قطر وهذا الاجراء أحد أهم الاسباب التي ساهمت في إجهاض اي نية لتدخل عسكري ضد قطر[٩] ومن زاوية أخرى كان التوجه التركي في الازمة على مستوى الخطاب منسجم نحو مقاربة هدفها لحل

---

[٦] إيهاب محاربة وآخرون، **"ندوة أزمة الخليج وحصار قطر من منظور الاقتصاد والقانون والسياسة"**، مجلة سياسات عربية، العدد ٢٨، ٢٠١٧، ص١٦٠، https://2u.pw/8WgpY

[٧] الشرق الأوسط، **كيف حولت قطر الأزمة الخليجية إلى فرصة؟**، عربي بوست، تاريخ النشر ٣٠، ٠٦، ٢٠١٩، تاريخ الدخول، ٣٠، ١١، ٢٠١٩، https://arabicpost.net

[٨] – منصور السعدي ، **حصار دولة قطر من منظور القانون الدولي ودور الوساطة في حلها في ضوء المواقف العربية والإقليمية والدولية** ، المجلة الدولية للقانون، المجلد العاشر ، العدد الاول، ،كلية القانون، جامعة قطر ، ٢٠٢١ ، ص ١٠٩

[٩] – أحمد عبد الامير الانباري ، **مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ظل التحديات الراهنة** ، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول لمركز الدراسات الاستراتيجية ،كربلاء العراق، ط ١ ، ٢٠١٩ ، ص ٢٢

الازمة دبلوماسيا على الرغم من الوقوف التركي مع قطر ودعمها ففي الوقت ذاته الحفاظ على علاقاتها بمستوى جيد مع السعودية [١٠]

كان لإيران دوراً كبيراً في الأزمة بفتح مجالها الجوي وازدياد التبادل التجاري والوقوف مع قطر سياسيا ، وتمكنت قطر من تعويض النقص واستقرار الوضع في البلاد. ومن الاهمية بمكان الإشارة إلى أن دول الخليج تعاني أزمة اقتصادية نتيجة انهيار أسعار النفط منذ نهاية العام ٢٠١٤ وظهرت إرهاصاتها بعجز في الموازنات لدى بعض دول الخليج [١١]. تعد الأسرة هي أكثر المتضررين لما أحدثته من انعكاسات ونتائج على الأسرة، الزوج والزوجة والأبناء، وإشكاليات مادية حيث لم تعد التحويلات المادية سهلة كما كان في السابق والسفر أصبح أكثر صعوبة بين الأسر التي يتواجد أحد الابوين في دولة من دول المقاطعة؛ ناهيك عن الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، وعن التشتت الأسري والخوف من التواصل فيما بين الأسر نتيجة الخوف من مغبة عواقب التعاطف مع قطر[١٢].

انعكاس الأزمة على دول الخليج العربي ونتائجها:

شكلت الأزمة تحدياً كبيراً على دول المانعة الإيجابية؛ سلطنة عمان ودولة الكويت إذ باتت هذه الدول أمام اختبار صعب من حيث التوجه، والعامل الأصعب البارز هو الحفاظ على بنية مجلس التعاون في ظل هذا التصدع الكبير الذي يهدد كيانه ووجوده بقوة، فحين برزت الأزمة بدأت الكويت بدور كبير في الوساطة لاحتواء الأزمة خليجياً ولمها في البيت الخليجي، وكذلك فعلت سلطنة عمان الأمر نفسه في السعي لتقريب وجهة النظر، وظهر موقف الدولتين متعاطفاً مع قطر وضد المقاطعة. اتسم التعامل القطري مع هذه الأزمة بالهدوء والاتزان في الموقف السياسي، ومن الناحية الإعلامية تعد قطر أقل حدة في التعاطي مع الأزمة من دول الحصار، حصلت قطر على التعاطف الدولي ولم تطلب قطر من المقيمين على أراضيها من مواطني دول الحصار المغادرة وخيرتهم بين البقاء والمغادرة حسب رغبتهم، ومن الممكن تفسير ذلك أن الدوائر السياسية

---

[١٠] – محمود الرنتيسي ، **السياسة التركية تجاه ازمة قطر وجيرانها جمع القوة المتوسطة بين ادوات القوة والصلابة** ، دراسات الشرق الاوسط ، ص ٢٨٦ – https://2u.pw/yABxneL

[١١] عبد الحافظ الصاوي، حصار قطر الخسائر الاقتصادية لأطراف الأزمة، (إسطنبول: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، تقديرات اقتصادية، ٢٠١٧)، ص١.

[١٢] عزة عبد المنعم وآخرون، تأثير الحصار على الأسر في قطر، (الدوحة: معهد الدوحة الدولي للأسرة، ط١، ٢٠١٨)، ص٣٠.

القطرية تعاملت مع الأزمة بانتفاء عنصر المفاجأة، ويعزى ذلك حسب رؤية بعض المحللين إلى توقع قطر انفجار أزمة في الإقليم لوعي دولة قطر في الجغرافيا الطبيعية التي وضعتها تحت خيارات سياسية قوية وأن تتعامل مع مجريات المتغيرات السياسية في المنطقة بتوازن في التنافس بين القوتين الأكبر في المنطقة على النفوذ، وهي السعودية وإيران [١٣].

ساهم الأداء النشط للدبلوماسية القطرية بغية كسب مواقف مساندة إقليمياً ودولياً، وتمكنت من تغيير موقف الولايات المتحدة تجاهها الذي كان في بداية الأزمة مائلاً نحو دول المقاطعة وبقيت عضوية قطر في مجلس التعاون نتيجة لدعم الممانعة الكويتية العمانية لعدم إخراج قطر أو تجميد عضويتها في مجلس التعاون الخليجي [١٤]. ويرى بعض المحللين ان الموقف الامريكي ظهرت عليه التضارب فيما بين الموسسة الرئاسية والمؤسسات الاخرى ويعزا ذلك الى حسب رؤية المحللين نتيجة صراع اللوبيات الخليجية في جسد الادارة الامريكية وقد راينا ان الولايات المتحدة عقدت صفقة ببيع قطر مقاتلات من طراز إف،١٥- رغم ما ابداه الرئيس الامريكي ترامب في البداية من انتقاد لقطر واتهامها بدعم الارهاب [١٥]

شكلت الأزمة تحدياً قوياً وقلقاً كبيراً حول تماسك مجلس التعاون الخليجي إزاء هذا التصدع والشعور بضبابية الرؤية حول مستقبل المجلس، وحسب رؤية بعض المحللين أن مجلس التعاون يواجه اليوم أكبر أزماته منذ تاريخه. برزت بعض الآراء حول إمكانية زوال المجلس[١٦] فقد وجّهت هذه الأزمة ضربة كبيرة نحو الدفاع الخليجي المشترك الأمر الذي يدفع للقلق من أن تكون دول الخليج متحالفة [١٧]. من خلال السياسات التي قد تؤول لسياسات الهيمنة على دول المجلس، فمن منظور بعض المحللين تمثل السعودية سياسة تسعى للانفراد لما لديها من إمكانيات مالية هائلة ومكانتها الاستراتيجية واحتضانها للعمق الإسلامي كأرض الحرمين وقبلة

---

[١٣] وافي التميمي وآخرون، **ملف الأزمة الخليجية**، (سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٧)، ص٨.

[١٤] محمد الغيلاني، عبد الله محمد الغيلاني، **الممانعة الإيجابية دور المحور الكويتي العماني في صلابة قطر**، مركز الجزيرة للدراسات، (مايو ٢٠١٨)، ص٦.

[١٥] – سقراط العلو ، **ثنائية الخرق والراقع الأزمة الخليجية وتداعياتها على المنطقة** ، مؤسسة مبادرة الإصلاح العربي ، ٢٠١٩ ، ص ٢

[١٦] أحمد عبد الأمير الأنباري، **مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الأمن القومي العربي في ظل التحديات الراهنة**، (مركز دراسات الاستراتيجية الدولية، جامعة بغداد، ط١، ٢٠١٨)، ص٢٩ https://2u.pw/6O0Kg

[١٧] ناصر التميمي، **الأزمة الخليجية وتداعياتها على مستقبل مجلس التعاون**، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٧، ص٢، https://2u.pw/R2q0U

العالم الإسلامي، وبالنسبة للبحرين فإنها منسجمة سياسياً مع التوجه السعودي وذلك للدور السعودي في الأزمة البحرينية في العام ٢٠١٦، والتي تتهم المنامة إيران بالتدخل في شأنها الداخلي حيث كان لقوات درع الجزيرة بقيادة السعودية دور في إعادة الاستقرار. أما الإمارات فهي منسجمة مع سياسة السعودية في هذه الأزمة من حيث الخلاف مع سياسة قطر في المنطقة، خصوصاً فيما يتعلق بالوقوف ضد الإسلام السياسي الذي تؤيده قطر. وبرزت الإمارات مؤيدة للسعودية في موقفها من سياسات إيران في المنطقة.

دور الكويت في الوساطة لإنهاء الأزمة:

اضطلعت دولة الكويت بدور كبير في الوساطة في هذه الأزمة أملاً في الوصول لحل "وكان الموقف العماني من هذه الأزمة متسماً بالهدوء، وكان من المتوقع لعمان أن تقوم بدور الوساطة في هذه الأزمة وذلك لرصيدها في الوساطات لرأب الصدع وتقريب وجهات النظر، ولكن اضطلعت الكويت بهذا الدور لما لها من علاقات متميزة مع كل الأطراف "[١٨] فقد قام الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية العمانية يوسف بن علوي بزيارة للكويت في السابع من يونيو ٢٠١٧ للتباحث في هذه الأزمة، وقد حظيت هذه الوساطة بدعم أمريكي وتركي وألماني وفرنسي على وجه العموم ، وكان ذلك من زاوية أخرى للحيلولة دون تفاقم الأزمة إلى تدخل عسكري وهذا ما أوضحه امير الكويت فيما بعد حينما زار الولايات المتحدة الأمريكية [١٩]. إذ ترى الكويت بأن المظلة الأمنية الموجودة بمجلس التعاون الخليجي والولايات المتحدة استمرارها أساسي وضروري لكل أعضاء المجلس، وفي الوقت نفسة كانت التحركات الكويتية حذرة، فلابد من التوازن في النهج السياسي الكويتي تجاه التعاطي مع الأزمة والحفاظ على التحالف مع السعودية [٢٠]. واجهت الوساطة الكويتية عقبات كثيرة إذ لم تتقبل دول المقاطعة أي حل من دون أن تقوم قطر بتنفيذ الشروط الثلاث عشر التي يعد بعض منها من الصعب أن تتقبلها قطر، وفي القمة الخليجية التي عقدت في الكويت ٢٠١٧ والتي رأى فيها أمير الكويت الراحل فرصة لحلحلة الأزمة، ولكن كان الأمر المفاجئ الذي يبين أن هوة الأزمة لاتزال كبيرة من

---

[١٨] مقابلة أجراها الباحث مع الأكاديمي الدكتور محمد عوض المشيخي أستاذ الإعلام جامعة السلطان قابوس، ٠٢، مارس، ٢٠٢٣.

[١٩] أمجد أحمد جبريل، **أزمة قطع العلاقات مع قطر إلى أين ؟**، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، يونيو ٢٠١٧، ص٣.

[٢٠] لوري بلوتكين بوغارت، **كيف تواجه الكويت رياح الأزمة الخليجية**، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، تاريخ النشر، ٢٧، ٠٧، ٢٠١٧، تاريخ الدخول، ١٥، ١٠، ٢٠٢٢، https://2u.pw/jo4gW

خلال عدم حضور قادة دول الحصار للقمة وخفض المستوى الدبلوماسي فيها برغم توجيه الدعوة لقادتها وحضور أمير قطر لها [٢١].

تكمن صعوبة الوساطة الكويتية في حساسية الموقف الأمريكي نتيجة علاقاته مع طرفي الأزمة، فلا يمكن لأمريكا الضغط على قطر لتلبية مطالب دول الحصار، ولا تستطيع إجبار دول الحصار عن التنازل عن شروطها، كما أن الدول الأوربية شجعت على الحوار مخافة أن تنحاز لأي طرف ويؤدي ذلك لخسارة مصالحها لدى أي من الطرفين [٢٢]. ومن جانب آخر يبدو أن الاتحاد الأوروبي غير قادر على معالجة الأزمة نتيجة حساسية العلاقة مع أطراف الأزمة، فلا يريد تعريض مصالحه للخطر، واتجه لاستمالة دول المجلس لإقناعهم بالحل السلمي عبر المفاوضات، مشيراً إلى مفاوضات اتفاقية التجارة الحرة منذ عام ٢٠٠٨، بغية إقناع قادة دول مجلس التعاون الخليجي بأن الخيارات ستكون أفضل في حالة توحدهم بدلاً من أن يكونوا منفصلين، فوجود هذه الأزمة ينعكس سلباً على الاتحاد الأوروبي، فالجانبان لديهما استثمارات كبيرة في الاتحاد الأوروبي، وكان مأمولاً من الاتحاد الأوروبي تقديم جهد أكبر في مساندة قطر بغية تحويل المسار عن الاعتماد بشكل مفرط على إيران [٢٣].

بعد وفاة أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الصباح دأبت الكويت على جهود المصالحة لرأب الصدع الخليجي وكثّف أمير الكويت الجديد الشيخ نواف الأحمد الصباح الجهود بتقديم صيغة مقترحات حديثة تستجيب معها كل الأطراف لإنهاء الأزمة، وباتت آمال انفراج الأزمة تلوح في الافق في ديسمبر من العام ٢٠٢٠ حينما بدأت الأزمة تشهد زخماً كبيراً من التركيز الأمريكي والمطالبة بحل الأزمة، ففي الرابع من ديسمبر من العام ٢٠٢٠ صرح وزير الخارجية الكويتي عن إجراء مباحثات ذات نتائج إيجابية خلال الفترة الماضية في المضي نحو المصالحة الخليجية، وقد أبدت كل الأطراف ذات الحوار الحرص والتمسك على الاستقرار الخليجي [٢٤]. وفي الرابع من يناير من العام ٢٠٢١ أعلن وزير الخارجية الكويتي عن اتفاق فتح الأجواء والحدود

---

[٢١] خالد الخالدي، **الوساطة الكويتية في الأزمة الخليجية جهود كبيرة تصطدم بعراقيل دول الحصار**، موقع صحيفة العربي الجديد، تاريخ النشر، ٠٥، ٠٦، ٢٠٢٠، تاريخ الدخول ١٦، ١٠، ٢٠٢٢، https://2u.pw/eZ3mk

[٢٢] سهيلة فهد المالك الصباح، "**دور الوساطة الكويتية في الأزمة القطرية المنطلقات والتحديات والحلول** ٢٠١٧ – ٢٠٢٠"، مجلة البحوث المالية والتجارية، المجلد ٢٢، العدد ٤، (٢٠٢١)، ص٤٠-٤١.

[23] Máté Szalai, *The Crisis of the and the role of European Union*, (Middle East and North Africa Regional Architecture, Menara Future Notes, 4, September 2018), p 7

[٢٤] محمد أبو رزق، أبرز الجهود الدبلوماسية لحل أزمة الخليج، الخليج أونلاين، تاريخ النشر، ٠٥، ٠١، ٢٠٢١، تاريخ الدخول، ١٦، ١٠، ٢٠٢٢، http://khaleej.online/mqzNpD

البرية والبحرية بين السعودية وقطر، وأشار إلى إجراء أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح اتصالين مع أمير دولة قطر وولي العهد السعودي حول توقيع بيان القمة الخليجية بمحافظة العُلا ومعالجة المواضيع كافة ذات الصلة.[٢٥] وبذلك انتهت أزمة الخليج بعد أربع سنوات. صحيح الأزمة انتهت سياسياً، ولكن تأثيرها في نفوس شعوب الدول لن يكون من السهل التخلص منه.

الموقف السياسي العماني تجاه أزمة قطر :

اتسمت السياسة العمانية تجاه الأزمة القطرية بعدم الانجرار أو الاصطفاف مع أي طرف من الأطراف، وسعت عمان للعب دور الوساطة للحفاظ على الوضع الراهن والحفاظ على الجغرافيا السياسية للمنطقة بعيدة عن الاضطرابات والتوتر [٢٦]. إن الخلاف ليس قطري فحسب، ولكن وقعه أصاب البيت الخليجي، والسياسة العمانية تتعامل مع البلدان وليس الأفراد، ونهج هذه السياسة لا يتغير بتغيير الأفراد، فهي سياسة تتعاطى مع البلدان وليس الأفراد [٢٧].

حينما حدثت الأزمة في الخامس من شهر يونيو ٢٠١٧ التزمت سلطنة عمان الحياد الإيجابي لتفادي النزاع بشكل منفرد، وبعد يومين من بدء الحصار على دولة قطر التقى وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي أمير الكويت معرباً عن جهوده في تقريب وجهات النظر ومساندة الكويت في مساعيها للوصول بهذه الأزمة إلى حل بين أطرافها. واستقبل وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي نظيره السعودي عادل الجبير في مسقط للتباحث خلال الأيام الأولى للأزمة، ولم يكن هناك تعليق حول لعب عمان أي دور في الوساطة كون دولة الكويت أخذت الريادة في مساعيها للوساطة بحكم العلاقات المتميزة مع كل من أطراف الازمة [٢٨]. بادرت عمان بالدور الإنساني في بداية الأزمة بإرسال طائراتها لنقل المواطنين القطريين العالقين في داخل

---

[٢٥] وساطة أميركية كويتية تقترب من حل أزمة قطر، موقع ميدل أيست أونلاين، تاريخ النشر، ١٢، ١٢، ٢٠٢٠، تاريخ الدخول ١٦، ١٠، ٢٠٢٢، https://2u.pw/8vcbW

[26] Megan Otoole, **what is Oman's stance on the Qatar Gulf crisis?** Al Jazeera net, Published On 1 Dec 2017, visit date 15,10,2022, https://2u.pw/dUI4b

[٢٧] يوسف بن علوي الأزمة الخليجية خلاف الأسرة الواحدة، موقع الخليج أونلاين، تاريخ النشر ٠٧، ٠٣، ٢٠٢٠، تاريخ الدخول ١٦، ١٠، ٢٠٢٢، http://khaleej.online/ZYEWqp

[٢٨] هاني البسوس، السياسة الخارجية العُمانية التوازن الصعب، صحيفة عربي ٢١ الإلكترونية، تاريخ النشر ٢٥ فبراير ٢٠١٩، تاريخ الدخول، ٣٠، ١١، ٢٠١٩.

أراضي الدول التي فرضت الحصار[٢٩]. كان اتجاه الرأي العام الكويتي والعماني يظهر تعاطف الدولتين مع قطر والعمل على تخفيف معاناة الحصار، وفتحت الموانئ العمانية للتجارة القطرية قبل أن تفتح الأخيرة ميناء حمد الدولي [٣٠].

وقد كشفت صحيفة واشنطن بوست الأميركية على موقع قناة العالم الإخبارية عن أن سلطنة عمان هي القادرة على إيجاد حل للأزمة الراهنة بين قطر ودول الحصار إذ ترى أن عمان لديها القدرة على القيام بما قد تعجز عنه الأمم المتحدة في هذه الأزمة [٣١]. وتؤمن عمان أنه من البديهي حدوث تباينات بين الأشقاء واختلاف في وجهات النظر ولكن في النهاية نظل إخوة ويجمعنا البيت الخليجي الواحد، وقطر هي دولة شقيقة وجزء لا يتجزأ من منظومة دول مجلس التعاون الخليجي، وتجاوز هذه الأزمة وهذه الخلافات أصبح أمراً لا مفر منه [٣٢]. وعمان تقوم بأدوار في الملفات الإقليمية دون استجلاء الأضواء في سياستها على ما تضطلع به من أدوار[٣٣]. وكلما طال عمر الجمود الذي يحيط بهذه الأزمة لن يكون هناك فرصة قوية للحل وسوف تصل الجهود إلى الإخفاق الذي يهدد بتقويض تماسك أعضاء المجلس وتفكيك بنيته [٣٤] . ونتيجة تمسك كل طرف برأيه في هذه الأزمة وعدم القبول بتقديم تنازلات كانت التوقعات أن تستمر الأزمة لسنوات طوال كما أشار ذات مرة الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية يوسف بن علوي في ندوة أقيمت في مسقط عن العلاقات الخارجية العمانية أنه "في ظل الظروف الراهنة للأزمة الخليجية مع قطر ليس هناك في الوقت الراهن أفق للوصول إلى حل لهذه الأزمة، وإن هذا الخلاف غير مؤهل للانتهاء حالياً مؤكداً أن سلطنة عمان

---

[٢٩] فارع المسلمي، سيدة سياسة الوسط، مركز مالكوم كري كارنيغي للشرق الأوسط، تاريخ النشر ١٧، ٢٠٢٢، ١٠، ١٢ الدخول تاريخ، ٢٠١٧، ٠٨، https://2u.pw/FlYuy

[٣٠] مركز الجزيرة للدراسات، تأثيرات أزمة الخليج على التوازنات الإقليمية، ١٩، ٠٩، ٢٠١٧، ص٣

[٣١] واشنطن بوست السلطنة الأقدر على حل الأزمة، موقع قناة العالم الأخبارية، تاريخ النشر ٢٤ يوليو ٢٠١٧، تاريخ الدخول ٠٢، ١٢، ٢٠١٩، https://www.alalamtv.net/news/1999251

[٣٢] حمود بن علي الطوقي، "الدبلوماسية العمانية وحل الأزمة الخليجية"، مجلة الرؤية العمانية، تاريخ النشر ١٤، ٠١، ٢٠١٩، تاريخ الدخول، ٠٤، ١٢، ٢٠١٩، https://alroya.om/post/230334

[٣٣] أحمد يوسف، خبير عماني يحذر قد تجد الكويت ومسقط نفسيهما في المربع القطري، موقع وكالة الأناضول الأخبارية، تاريخ النشر ٢٥، ٠٥، ٢٠١٨، تاريخ الدخول ١٧، ١٠، ٢٠٢٢، https://2u.pw/zOrr6

[٣٤] إحسان الفقيه، ثوابت السياسة العمانية هل تفلح في احتواء أزمة الخليج؟، موقع وكالة الأناضول الأخبارية، تاريخ النشر ١٣، ١١، ٢٠١٧، تاريخ الدخول ١٧، ١٠، ٢٠١٧، https://2u.pw/jvWc3

تراقب وتعمل للحفاظ على الحد الأدنى في نشاط مجلس التعاون الخليجي فيما يتعلق بالناحية الفنية والالتزامات "[٣٥].

انعكاس أزمة المقاطعة على مواطني دول المجلس التعاون الخليج ونتائجها على قطر

في الحقيقة لم تحقق المقاطعة على قطر أهدافها المنشودة ولم ترضخ لها قطر بل كانت هذه الأزمة ذات فائدة من حيث التوجه للاعتماد على نفسها اقتصادياً، والعمل على إنشاء مشاريع مختلفة تهدف إلى الاكتفاء الذاتي، ومن جانب آخر أصبحت منظومة مجلس التعاون الخليجي أمام تحدٍّ صعب من أجل البقاء في مواجهة التصدع "فهذه الأزمة من أكبر التحديات التي واجهها مجلس التعاون الخليجي، ولكن لا يوجد هناك ما يهدد هذا الكيان حالياً كما يرى المحللون، وقد عاد أقوى من السابق بعد أن تبددت غيوم تلك الأزمة وعادت العلاقات بين كل أطراف الأزمة كما كانت"،[٣٦] "فقد تمكّن مجلس التعاون الخليجي من الصمود في أزمة مقاطعة قطر بالرغم من خطورة الأزمة وتهديدها لكيان المجلس، ومن الأمور

[٣٥] موقع الخليج أونلاين، تاريخ النشر ١٨-٠٣-٢٠١٩، تاريخ الدخول ٠١، ١٢، ٢٠١٩، http://khaleej.online/6JZjPn

[٣٦] مقابلة أجراها الباحث مع الأكاديمي الدكتور محمد عوض المشيخي استاذ الإعلام جامعة السلطان قابوس، 01/03/2023.

الخاتمة

أحدثت هذه الازمة هزة كبيرة في بنية العلاقات الخليجية بالدرجة الأولى وشكلت تحدي عربيا ودوليا فقد ظهرت في هذه الازمة سابقة خطيرة وهي المقاطعة وإغلاق الحدود البرية والجوية والبحرية وقطع العلاقات الدبلوماسية ، وهذا بنظر العديد من الخبراء والمحللين تصدع كبير يهدد صرح مجلس التعاون الخليجي ويوضح أن هناك خلافات بدأت ترشح على السطح كانت مستترة سابقا خلف جدران المجلس ، الامر الذي يهدد ويشكل خطرا على هذا المنتظم الخليجي ويهدد تماسكه، ويشكل وجود مصر في المقاطعة وهي خارج منظومة مجلس التعاون الخليجي أهمية كبرى كدولة في ثقل وحجم مصر في العالم العربي وهي الكيان الكبير عربيا وهذا منعطف هام وخطير في مسار العلاقات العربية حيث أن هذه الازمة شكلت تحدي كبير في الحفاظ على التوازن في العلاقات ، في الواقع استطاعت قطر أن تحول تلك الازمة إلى مكسب ونجحت دبلوماسيا بالحصول على التأييد والتعاطف الدولي وتمكنت فيما بعد من ضم الولايات المتحدة في صفها ، ومن الناحية الاقتصادية تكلفت قطر أعباء مالية كبرى وخسائر ولكنها نالت الكثير من الفوائد على المستوى الداخلي إذ ساهمت هذه الازمة بان تعتمد قطر على نفسها ، وأنشأت العديد من المشاريع وبالأخص في الثروة الحيوانية والزراعة وساهم افتتاح ميناء حمد بتغيير كبير في مسار الازمة اقتصاديا ، كما ساهمت تركيا وايران من خلال فتح منافذها والاستفادة تجاريا مع قطر من قلب الامور للأفضل ، وكان لدول الممانعة سلطنة عمان والكويت دور من خلال فتح الاجواء والمنافذ والعمل سياسيا نحو ايجاد حل دبلوماسي ، بعد أكثر من ثلاث سنوات انتهت الازمة بجهود كبيرة من أمير الكويت الراحل والامير الحالي وطويت صفحة الخلاف بين الاشقاء وعادت الامور الى وضعها الطبيعي ولكن ستبقى ما خلفته هذه الازمة على الشعوب فترة والشعور بالقلق احيانا.

والمصادر المراجع

- مؤيد خالد شلاش المجالي، السياسة الخارجية الأردنية تجاه الأزمة الخليجية القطرية، (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط١، ٢٠١٩)،.
- أحمد عبد الامير الانباري ، **مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الامن القومي العربي في ظل التحديات الراهنة** ، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول لمركز الدراسات الاستراتيجية ،كربلاء العراق، ط ١ ، ٢٠١٩ ، ص ٢٢

الابحاث العلمية :

- إيهاب محاربة وآخرون، **"ندوة أزمة الخليج وحصار قطر من منظور الاقتصاد والقانون والسياسة"**، مجلة سياسات عربية، العدد ٢٨، ٢٠١٧، https://2u.pw/8WgpY
- منصور السعدي ، **حصار دولة قطر من منظور القانون الدولي ودور الوساطة في حلها في ضوء المواقف العربية واإلقليمية والدولية** ، المجلة الدولية للقانون، المجلد العاشر ، العدد الاول، ،كلية القانون، جامعة قطر ، ٢٠٢١ ،
- وافي التميمي وآخرون، **ملف الأزمة الخليجية**، (سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٧)،.
- سمير سحقي، ليندا طرودي، الأزمة الخليجية الراهنة التداعيات والأسباب،.
- أحمد محمد أبو زيد، عام على الأزمة القطرية الخليجية التداعيات على مستقبل مجلس التعاون الخليجي، معهد الأصفري للمجتمع المدني والمواطنة، (بيروت: الجامعة الأمريكية بيروت ٢٠١٨)،
- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أزمة العلاقات الخليجية في أسباب الحملة على قطر ودوافعها، (الدوحة: وحدة تحليل السياسات في المركز العربي، مايو، ٢٠١٧)، ص١.
- عبد الله محمد الغيلاني، **الممانعة الإيجابية دور المحور الكويتي العماني في صلابة قطر**، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٨ .
- سقراط العلو ، **ثنائية الخرق والراقع الأزمة الخليجية وتداعياتها على المنطقة** ، مؤسسة مبادرة الإصلاح العربي ، ٢٠١٩ .
- أحمد عبد الأمير الأنباري، **مستقبل مجلس التعاون الخليجي وتأثيره على الأمن القومي العربي في ظل التحديات الراهنة**، (مركز دراسات الاستراتيجية الدولية، جامعة بغداد، ط١، ٢٠١٨)، ص٢٩ https://2u.pw/6O0Kg

- ناصر التميمي ، **الأزمة الخليجية وتداعياتها على مستقبل مجلس التعاون**، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٧، ص٢،https://2u.pw/R2q0U
- محمود الرنتيسي ، **السياسة التركية تجاه ازمة قطر وجيرانها جمع القوة المتوسطة بين ادوات القوة والصلابة** ، دراسات الشرق الاوسط ، – https://2u.pw/yABxneL
- عبد الحافظ الصاوي، حصار قطر الخسائر الاقتصادية لأطراف الأزمة، (إسطنبول: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، تقديرات اقتصادية، ٢٠١٧)،.
- عزة عبد المنعم وآخرون، تأثير الحصار على الأسر في قطر، (الدوحة: معهد الدوحة الدولي للأسرة، ط١، ٢٠١٨)،.
- مقابلة أجراها الباحث مع الأكاديمي الدكتور محمد عوض المشيخي أستاذ الإعلام جامعة السلطان قابوس، ٠٢، مارس، ٢٠٢٣.
- أمجد أحمد جبريل، **أزمة قطع العلاقات مع قطر إلى أين ؟**، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، يونيو ٢٠١٧،.
- لوري بلوتكين بوغارت، **كيف تواجه الكويت رياح الأزمة الخليجية**، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، تاريخ النشر، ٢٧، ٠٧، ٢٠١٧، تاريخ الدخول، ١٥، ١٠، ٢٠٢٢، https://2u.pw/jo4gW
- فارع المسلمي، سيدة سياسة الوسط، مركز مالكوم كري كارنيغي للشرق الأوسط، تاريخ النشر ١٧، ٢٠٢٢، ١٠، ١٢ الدخول تاريخ، ٢٠١٧، ٠٨، https://2u.pw/FlYuy
- مركز الجزيرة للدراسات، تأثيرات أزمة الخليج على التوازنات الإقليمية، ١٩، ٠٩، ٢٠١٧،

الشرق الأوسط، **كيف حولت قطر الأزمة الخليجية إلى فرصة؟**، عربي بوست، تاريخ النشر ٣٠، ٠٦، ٢٠١٩، تاريخ الدخول، ٣٠، ١١، ٢٠١٩، https://arabicpost.net

حمود بن علي الطوقي، "الدبلوماسية العمانية وحل الأزمة الخليجية"، مجلة الرؤية العمانية، تاريخ النشر ١٤، ٠١، ٢٠١٩، تاريخ الدخول، ٠٤، ١٢، ٢٠١٩، https://alroya.om/post/230334

هاني البسوس، السياسة الخارجية العُمانية التوازن الصعب، صحيفة عربي ٢١ الإلكترونية، تاريخ النشر ٢٥ فبراير ٢٠١٩، تاريخ الدخول، ٣٠، ١١، ٢٠١٩.

واشنطن بوست السلطنة الأقدر على حل الأزمة، موقع قناة العالم الأخبارية، تاريخ النشر ٢٤ يوليو ٢٠١٧، تاريخ الدخول ٠٢، ١٢، ٢٠١٩، https://www.alalamtv.net/news/1999251

أحمد يوسف، خبير عماني يحذر قد تجد الكويت ومسقط نفسيهما في المربع القطري، موقع وكالة الأناضول الأخبارية، تاريخ النشر ٢٥، ٠٥، ٢٠١٨، تاريخ الدخول ١٧، ١٠، ٢٠٢٢، https://2u.pw/zOrr6

إحسان الفقيه، ثوابت السياسة العمانية هل تفلح في احتواء أزمة الخليج؟، موقع وكالة الأناضول الأخبارية، تاريخ النشر ١٣، ١١، ٢٠١٧، تاريخ الدخول ١٧، ١٠، ٢٠١٧، https://2u.pw/jvWc3

محمد أبو رزق، أبرز الجهود الدبلوماسية لحل أزمة الخليج، الخليج أونلاين، تاريخ النشر، ٠٥، ٠١، ٢٠٢١، تاريخ الدخول، ١٦، ١٠، ٢٠٢٢، http://khaleej.online/mqzNpD

وساطة أميركية كويتية تقترب من حل أزمة قطر، موقع ميدل أيست أونلاين، تاريخ النشر، ١٢، ١٢، ٢٠٢٠، تاريخ الدخول ١٦، ١٠، ٢٠٢٢، https://2u.pw/8vcbW

يوسف بن علوي الأزمة الخليجية خلاف الأسرة الواحدة، موقع الخليج أونلاين، تاريخ النشر ٠٧، ٠٣، ٢٠٢٠، تاريخ الدخول ١٦، ١٠، ٢٠٢٢، http://khaleej.online/ZYEWqp

موقع الخليج أونلاين، تاريخ النشر ١٨-٠٣-٢٠١٩، تاريخ الدخول ٠١، ١٢، ٢٠١٩، http://khaleej.online/6JZjPn

خالد الخالدي، الوساطة الكويتية في الأزمة الخليجية جهود كبيرة تصطدم بعراقيل دول الحصار، موقع صحيفة العربي الجديد، تاريخ النشر، ٠٥، ٠٦، ٢٠٢٠، تاريخ الدخول ١٦، ١٠، ٢٠٢٢، https://2u.pw/eZ3mk

سهيلة فهد المالك الصباح، "دور الوساطة الكويتية في الأزمة القطرية المنطلقات والتحديات والحلول ٢٠١٧ – ٢٠٢٠"، مجلة البحوث المالية والتجارية، المجلد ٢٢، العدد ٤، (٢٠٢١)، ص٤٠-٤١.

Megan Otoole, **what is Oman's stance on the Qatar Gulf crisis?** Al Jazeera net, Published On 1 Dec 2017, visit date 15,10,2022, https://2u.pw/dUI4b

Máté Szalai, *The Crisis of the and the role of European Union*, (Middle East and North Africa Regional Architecture, Menara Future Notes, 4, September 2018), p 7